

سُئِنَ الْقَرَاءُ وَمَنَاجِجَ الْمُجْرِدِينَ

تأليف

الدكتور أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفلاح القارئ

الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

مكتبة الدار

سُورَةُ الْقُرْآنِ

وَمَنَاجِجِ الْمُجُودِينَ

تأليف

الدكتور أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفلاح القارئ

الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

مكتبة الدار

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

توزيع

مكتبة الدار - المدينة المنورة
شارع الستين - أمام مسجد الإجابة
ص. ب. ٢٠٨ - هاتف: ٨٣٨٣٠٩٥
المملكة العربية السعودية

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَأَزِمٌ
مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثَمٌ
لأنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْزَلَا
وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا
وَهُوَ أَيْضاً حَلِيَّةُ التَّلَاوَةِ
وَزِينَةُ الأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ

«ابن الجزري»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان، نَزَّلَ الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الذى أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، هو أفصح من نطق بالضاد، ورتَّل القرآن، ما أَدَنَّ اللُّهُ لشيءٍ ما أَدَنَّ له وهو يقرؤه ويتغنى به بأجمل الأصوات وأحسن الألحان، ألم تسمع قول جبير بن مطعم رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعتُ أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه . . قال: فلما سمعتهُ قرأ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ خلت أن فؤادي قد انصدع . . .

وفي رواية البخاري: كاد قلبي أن يطير^(١).

ورضي الله عن أصحابه الكرام، الأئمة الأعلام، الذين استنوا سنته، وسلكوا طريقته، وساروا على أثره، فما أعظم توقيرهم له، وما أشد

(١) متفق عليه. انظر ص (٧٧).

اتباعهم لستته، وتمسكهم بخصاله، ومن ذلك اقتداؤهم به في العناية بالقرآن، والترنم به وترتيله، حتى حركوا بقراءته القلوب، وأحيوا بتلاوته النفوس، واشتهرت منهم ثلثة كانوا أحسن صوتاً وأجودَ قراءةً وأفصحَ ترتيلاً: كأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري، وغيرهم.

وقد تمسكت هذه الأمة - والحمد لله - بسنة نبيها، وعادة سلفها، فاعتنت بهذا القرآن عناية كبرى، وعظمته التعظيم الأوفر، وما عُنيت بشيء عنايتها بحفظه، وتجويد قراءته وترتيله، والتغنى به، والترنم بتلاوته، حملت كتابَ الله في صدورِها، وصَدَحَتْ به حَنَاجِرُها، وَعَمَرَتْ به حَارِييَها ونُورَتْ ببركته وبركة تلاوته أرجأؤها، فهم كما جاء وصفهم في بعض الكتب السابقة: أناجيلهم في صدورهم^(١).

فما زال هذا القرآن وقد مضت عليه القرون تلو القرون غَضاً طرياً كما أنزل، محفوظاً بالحفظ الإلهي، مصوناً بالعناية الربانية، وفي هذا شعبة من شعب إعجازه، وجانب من جوانب عظمته، أكثر من أربعمئةٍ وألفِ سنةٍ مرت عليه وهذه الأمة تحفظ نصّه الكامل الذي أنزل على رسول الله ﷺ، بل وتقرأ هذا النصّ بالصفة التي قرأه بها الرسول ﷺ، فكما تناقلت نصّه بأصح مراتب الرواية فأسانيدُها به متصلة متواترة، فقد تناقلت صفةَ قراءته كذلك بأصح مراتب الرواية، فأسانيدُها بها متصلة متواترة.

(١) رواه ابن أبي حاتم / انظر في الاتقان النوع السابع عشر ١/١٨٥ (طبعة الهيئة العامة المصرية ١٩٧٤م).

ومن عجائب العناية الربانية في هذا الصدد أنه ما تكاد ناحية من نواحي المسلمين تغفل عن هذا الكتاب، إلا وُسِّخِرَ اللهُ له أهل ناحيةٍ أخرى، فلا يزال في أمة محمد ﷺ من تتحقق بهم الحاجة إذ يقومون بحق هذا القرآن العظيم.

ونحن نشاهد اليوم والحمد لله نهضة قرآنية عامة، ففي بلاد المسلمين شرقاً وغرباً تجد عناية فائقة بتعليم القرآن الكريم، وعندنا في بلاد الحرمين، ونجد، والقصيم، وغيرها من نواحي المملكة العربية السعودية نهضة شاملة للعناية بتعليم القرآن الكريم، تتمثل في خلايا تحفيظ القرآن الكريم في المساجد في كل مدينة وقرية، وفي انتشار مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة المعارف، ثم في دعم هذا المجال المبارك على مستوى التعليم الجامعي بإنشاء كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام (١٣٩٤هـ)، وإنشاء أقسام القراءات في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وقد وجدتُ الحاجة ماسةً إلى تأليف كتابٍ أجمع فيه بعض المبادئ الضرورية، وأشرح فيه مصطلحات أهل هذا الفن، وأبين منهجهم وطريقتهم، وأحرر فيه الكلام على بعض المسائل، لعل كل ذلك يكون حافزاً للمشتاقين، ومُعِيناً للمبتدئين، وبشارةً للمتقين.

فصنفتُ هذا الكتاب وسميتهُ: (سنن القراء ومناهج المجودين)^(١).
والله جل جلاله المسئول أن يوفقنا وكلَّ محبٍ للقرآن لخدمة كتابه
الكريم والعمل بشرعه القويم، وأن يجعلنا هداة مهتدين يقولون بالحق
وبه يعدلون، آمين.

كتبه

أبو مجاهد

الدكتور/ عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاريء

بالمدينة النبوية

في ذي الحجة من عام (١٤١٠ هـ)

(١) ومما حفزني على المبادرة إلى نشر هذا الكتاب رسالة نفيسة حررها الشيخ بكر أبو زيد
عنوانها (بدع القراء) بين فيها ما يقع فيه بعض قراء العصر من المحدثات، وأجاد في ذلك،
فرايتُ من الضروري أن أكمل ذلك ببيان السنن التي ينبغي للقراء اتباعها، فهذا الكتاب
مع تلك الرسالة شقيقان يكمل أحدهما الآخر.

(تمهيد)
القرآن الكريم

سُمِّيَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنزَّلُ عَلَى خَاتَمِ رَسَلِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَسْمَاءٍ عَدِيدَةٍ،
وُوصِفَ بِأَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ، وَتَعَدَّدَ الْأَسْمَاءُ وَكَثُرَتِ الْأَوْصَافُ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ
الْمُسَمَّى وَعَظَمِ قَدْرِ الْمُوصُوفِ.

من أبرز أسماء كلام الله (القرآن) و(الكتاب).

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحِيْ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ
بَلَغَ﴾^(١).

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَتْ
بِهِ الْمَوْتَى﴾^(٢) أي لكان هذا القرآن .

وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿الَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٥).

وقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٦).

(١) الأنعام : ١٩ .

(٢) الرعد : ٣١ .

(٣) يوسف : ٣ .

(٤) الإسراء : ٩ .

(٥) البقرة : ١ .

(٦) آل عمران : ٣ .

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١).
 وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٢).
 وجمع بين الاسمين في قوله عز وجل: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
 وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

و(القرآن) معناه المقروء، فهو فُعْلَانٌ بمعنى مفعول من باب تسمية
 المفعول بالمصدر كَرُجِحَانَ وَغُفْرَانَ، ومادته (قَرَأَ) بمعنى أظهر وبيّن،
 فالقارئ يُظهِرُ الْقُرْآنَ مِنْ فِيهِ وَيَبِينُهُ وَيُخْرِجُهُ، أخذاً من قول العرب: مَا
 قَرَأْتُ النَّاقَةَ سَلًا قَطٌ، أي ما رمت بولد، أي ما أسقطت ولدًا، أي ما
 حملت قط، والقرآن يلفظه القارئُ وَيُلْقِيهِ فُسْمِي قَرَانًا، حكاة قطرب.
 وقيل سُمِّيَ قَرَانًا لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ عَنْهُ وَالتَّلَاوَةَ مِنْهُ، وقد قُرِئَتْ بَعْضُهَا عَنْ
 بَعْضٍ.

واعتبره آخرون بمعنى جَمَعَ، قال الهروي: كل شيء جمعته فقد
 قرأته.

وقال أبو عبيد: سُمِّيَ الْقُرْآنُ قَرَانًا لِأَنَّهُ جَمَعَ السُّورَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.
 وقال الراغب: سُمِّيَ قَرَانًا لِكَوْنِهِ جَمَعَ ثَمَرَاتِ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ السَّابِقَةِ.

(١) المائدة : ١٥ .

(٢) الأنعام : ٩٢ .

(٣) الحجر : ١ .

لكن يرد على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(١) فغاير بين الجمع والقرآن، وإنما مادته قرأً بمعنى أظهر وبين كما سبق.
ومعنى الآية: إن علينا جمعه في قلبك حفظاً وعلى لسانك تلاوة،
فمعنى «وقرآنه» أي وتعليمك تلاوته وقراءته^(٢).

وقد ورد استعمال (القرآن) بمعنى القراءة، في مثل قوله تعالى:
﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾^(٣)، قال ابن جرير: نصب
﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر إن قرآن
الفجر كان مشهوداً، يقول: ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان
مشهوداً يشهده فيها ذكّر ملائكة الليل وملائكة النهار^(٤).

وقال الزمخشري: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر سُميت قرآناً وهو
القراءة لأنها ركن كما سُميت ركوعاً وسجوداً وقنوتاً، وهي حجة على ابن
عُليّة والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن^(٥).

وكان الشافعي وآخرون يعدون (القران) اسماً غير مشتق من شيء بل
هو علم خاص بكلام الله، قالوا: ولذلك ما كان الشافعي يهمله، أقول:
إنما كان لا يهمله لأنها قراءة المكيين، كان ابن كثير المكّي أحد السبعة
لا يهمز (القران) في سائر قراءته، ولم يكن الهمز من لغة قريش، والشافعي

(١) الأنعام : ١٩ .

(٢) الرعد : ٣١ .

(٣) يوسف : ٣ .

(٤) الإسراء : ٩ .

(٥) البقرة : ١ .

(٦) آل عمران : ٣ .

قرشي، ولكن لا يمنع كون القرآن اسماً عَلماً على كلام الله من أن يكون مشتقاً من القراءة، بمعنى الإظهار والتبيين من فيه، غاية ما يُقال إنه اسمٌ مشتقٌ ثم ضار عَلماً.

وهذا فيه تنويه بصفةٍ من صفات هذا الكلام أنه مَقْرُوءٌ مَتْلُوءٌ على الألسنة، بل يُتَعَبَدُ الناس بتلاوته وقراءته.

ومثل ذلك يُقال في اسمه (الكتاب) فهو بمعنى المكتوب، وهذا مستعمل في القرآن نفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾^(١) أي اللوح المحفوظ، وُصِفَ بأنه كتابٌ بمعنى مكتوبٌ، ألم يأمر الله تعالى القلمَ فكتب فيه كل ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة؟

فكما أن من صفات هذا الكلام الإلهي أنه مقروءٌ محفوظٌ في الصدور مَتْلُوءٌ على الألسنة، فهو أيضاً مكتوبٌ في السطور، منقولٌ في المصاحف.

والمقصود من هذه المقدمة التنبيه على أن هذا القرآن يُنقل بنصِّهِ وطريقةِ أدائه وقراءته، ولذلك لم يكفِ أن يُكتب في المصاحف، بل تَلَقَّتْهُ الأمةُ مشافهةً حتى تعرف طريقةَ أدائه وقراءته، فإن صفة الأداء وهيئة التلاوة لا تعرف إلا بالسمع.

نعم أمر رسول الله ﷺ أصحابه بكتابة القرآن فقال في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري: (لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن)^(٢) وأملاه

(١) الواقعة : ٧٧، ٧٨.

(٢) صحيح مسلم، في كتاب الزهد، الحديث رقم ٢٢٩٨.

عليهم ، واتخذ كتاباً يكتبونه عنه ، كان من أشهرهم زيد بن ثابت ،
ومعاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهم أجمعين .

لكنه لم يكتب بذلك ، بل أمر الصحابة بأن يتلقوا القرآن مشافهة وأن
يتحروا تلقّيه من المتقين ، وقراءته على الضابطين ، ونوه بعدد منهم ، فقال :
(خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ ، وَمَعَاذِ ، وَأَبِي بِنِ
كَعْبٍ)^(١) .

وقال : (من أحب أن يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن
أم عبد)^(٢) يعني عبد الله بن مسعود .

وإصطفى من أصحابه نخبة أقرأهم القرآن ، كلّه أو بعضه ، حتى
اتقنوا صفة أدائه وهيئة قراءته .

وأقبلت الأمة على هؤلاء فتلقت القرآن عنهم مشافهة .

وعندما كتب الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه المصاحف
الخمسة وأحرق ما سواها ، وذلك بالاتفاق مع المهاجرين والأنصار أرسل
إلى كل مصرٍ من أمصار المسلمين المشهورة مصحفاً ، والأمصار التي أرسل
إليها المصاحف هي : مكة ، والشام ، والكوفة ، والبصرة ، وأبقى في المدينة
النبوية مصحفاً .

(١) البخاري في فضائل القرآن من صحيحه (الفتح ٤٦/٩) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (انظر رقم ٤٢٥٥ ، ٤٣٤٠) طبعة أحمد شاكر .

ولكن القرآن لا يُؤخذ من المصاحف، لأن المصاحف لا تنطق فتبين لنا كيفية الأداء ولا صفة القراءة، وهي كصفات لا تُدرك إلا بالسمع، والخط مهما كان حاله يعجز عن تضمين تلك الكيفيات، لذلك لم يكتب الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه بإرسال المصاحف المكتوبة إلى الأمصار، بل أمر في كل مصر مقرئاً متقناً حافظاً أن يقرئ الناس، انتقاهم بدقة واختارهم بروية، وهو الخبير الحاذق بأمور القراءة، إنه هو نفسه رضي الله عنه من أئمة الصحابة في القراءة.

فكان مقرئ أهل الكوفة أبو عبد الرحمن السلمي، ومقرئ أهل البصرة أبو موسى الأشعري، ومقرئ أهل الشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ومقرئ أهل مكة عبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي القاري، ومقرئ أهل المدينة النبوية زيد بن ثابت.

فسواء كان عثمان رضي الله عنه وأرضاه أرسل هؤلاء إلى هذه الأمصار، أو كانوا فيها وأمرهم بإقراء الناس ونصبهم لذلك، فإن أهل هذه الأمصار أخذوا القراءة عنهم كما أخذوها عن غيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وعن غيرهم من أئمة التابعين، فتمسكوا منها بما وافق خطأ المصاحف العثمانية، وأطرحوا ما سواه، وهذه الأمصار الخمسة هي حواضر المسلمين الكبرى في القرن الأول، وفي القرون التالية، وهي مصادر العلم والرواية ومراكز الحكم والقضاء والسلطان والحضارة والمدنية، وقد أصبح أهلها من أرباب القراءة هم أئمة هذا الشأن المقتدى بهم، فما اتفقوا عليه حجة، وما ردوه وأنكروه فهو مردود مهجور، فإذا قيل

(قراءة العامة) أُريد بها هؤلاء دون غيرهم^(١) ومثل ذلك إذا قيل (قراءة الجماعة)، وربما كان معناه أهل مصر، لأن أهل مصر من هذه الأمصار لم يكونوا يتركون أحداً منهم يقرأ إلا بما اشتهر عندهم وعرفوه، وربما كان معناه أحياناً أهل المدينة والكوفة دون غيرها، أو أهل الحرمين دون غيرها، كل ذلك من اصطلاحات أهل هذا الشأن يعرفها من كان له علم به وبصر^(٢).

فإذا قال قائل: إذا كان الأمر كما قلت: إن المصاحف وحدها لا تكفي، وإن القراءة إنما تُتلقى بالسمع من أفواه المقرئين والرواية بالمشافهة عنهم، فما فائدة كتابة هذه المصاحف الخمسة التي كتبها الخليفة الراشد عثمان بن عفان وأرسلها إلى تلك الأمصار؟

قلنا: إن المراد بها أن تكون كالقانون والضابط المدون المكتوب يُرجع إلى خطها عند اختلاف الروايات للتمييز بين الثابت وبين المنسوخ، وبين

(١) انظر (الإبانة عن معاني القراءات) لمكي: ص ١٠١.

(٢) وقد رُوي أن المصاحف التي أرسلها الخليفة الراشد عثمان سبعة فقد أرسل مصحفاً إلى اليمن وآخر إلى البحرين، وإن صح هذا فإن هذين المصحفين لم يُشتهرا اشتهاً تلك الخمسة، لأن تلك الأمصار الخمسة كما نوهنا هي مراكز العلم.

ما هو قرآن وما ليس بقرآن إنما هو من قبيل التفسير^(١) لأنهم لما كتبوا هذه المصاحف أثبتوا النص فيها على ما يوافق العرضة الأخيرة، فجردوه بذلك من الأحرف المنسوخة، كما جردوه من كل ما علقه الصحابة في مصاحفهم من تفسير، وأحكام، وأسباب نزول، ونحو ذلك، مما لو وصل إلى من بعدهم مُدَوَّنًا في المصاحف بحاله الذي كان عليها قبل إحراق المصاحف فإنهم ربما توهموا أنه من النص، وتوهموا أن تلك المدونات على هوامش المصاحف قراءات قرآنية.

فائدة المصاحف العثمانية الخمسة أنه إذا أقبلت الروايات المختلفة محمولةً في صدور الصحابة فمن بعدهم يعرضها أهل المصر على خط المصحف الإمام الذي عندهم فما احتمله خطُّه قرأوا به، وما لم يحتمله أطرحوه، ولو كان قد بلغهم بأسانيد صحيحة.

(١) مثل ما روى ابن جرير: انه كان في مصحف عائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر)، فهذه الرواية تبين أن زيادة (وهي صلاة العصر) أو كما روي عن عائشة في صحيح مسلم وعن حفصة (وصلاة العصر) كل ذلك هو من قبيل التفسير من النبي ﷺ، وربما كانت من الأحرف المنسوخة، يدل على ذلك حديث البراء بن عازب في مسلم قال: نزلت (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها على رسول الله ﷺ ما شاء الله ثم نسخها الله عز وجل فأنزل ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ فقال له زاهر رجل كان مع شقيق: أفهى صلاة العصر قال: قد حدثتكَ كيف نزلت وكيف نسخها الله عز وجل.

وبناء على هذا صارت موافقة مرسوم المصحف الإمام أهم أركان
القراءة بعد تواتر الإسناد، قال ابن الجزري :

وكلُّ ما وافقَ وجهَ نحو وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصحَّ إسناداً هو القرآنُ فهذه الثلاثة الأركانُ
وحيثما يَخْتَلُّ ركنٌ أثبت شدوذه لو أنه في السبعةِ

فاحتمال الرسم يقصد به الناظم موافقةً خط المصحف الإمام ولو
احتمالاً، وصحة الإسناد يريد به التواتر لكن حكمه النظم، أما إذا قلنا إنه
أراد صحة الإسناد ولو لم يبلغ شرط التواتر فهو مردود، وسيأتي مزيد بيان
لذلك.

أما شرط موافقة وجه النحو فهذا في الحقيقة ليس شرطاً، إنما هو
تحصيل حاصل، فالقراءة إذا تواتر إسنادها ووافقت خط المصحف الإمام
لا تُعرض على النحاة، بل يستفيد منها النحاة لغةً وإن كانوا لا يعرفونها.

(الباب الأول)

منهج النبي ﷺ
في تعلُّم قراءة القرآن وتعليمها

العرض والسماع

لقد عُني النبي ﷺ بإقراء أصحابه القرآن كما عُني بتلقيه وقراءته على جبريل عليه السلام .

فقد تلقى رسول الله ﷺ القرآن عن جبريل عرضاً وسماعاً قال تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١).

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال : جمعه له في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال : فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه^(٢).

فسر ابن عباس هنا قوله «بيانه» بتجويد القراءة، وسبق ان ذكرنا أن القراءة في اللغة أصلها من الإظهار والتبيين، وورد عنه تفسيره بغير ذلك،

(١) القيامة : ١٦ - ١٨ .

(٢) البخاري بتصرف، انظر الفتح ٢٩/١ .

روى ابن جرير عنه قال : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ تبين حلاله وحرامه . ومثله عن عطية العوفي ، وقتادة^(١) .

فالنبي إذن كان في ابتداء الأمر إذا لُقِّنَ القرآن نازِعَ جبريل القراءة ولم يصبر حتى يتمها ، مسارعةً منه إلى الحفظ لئلا ينفلت منه شيء ، كذا قال الحسن وغيره ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات ، وآية سورة طه : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢) ، فبين الله في الآيات من سورة القيامة لنبية ﷺ طريقة تلقي القرآن وآداب تعلمه ، عليه أن يصبر ويستمع وينصت لقراءة جبريل عليه السلام حتى ينتهي ، والمقصود هنا ليس حفظ النص فقط ، بل تلقي القراءة أيضاً وتعلم صفتها وهيئة أدائها .

قال الكرمانى معلقاً على قول ابن عباس : ﴿وقرأه﴾ أي وتقرأه . يعني المراد بالقرآن القراءة لا الكتاب المنزَّل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه أي إنه مصدر لا علم للكتاب^(٣) .

قلت : هنا في هذه الآيات ثلاثة أمور : أولها : حفظ نص القرآن وهذا هو المنصوص عليه بقوله ﴿إن علينا جمعه﴾ أي في صدرك فتحفظ نصه ، وثانيها : القراءة وكيفيتها وصفة أدائها ، وهذا هو المنصوص عليه بقوله ﴿وقرأه﴾ أي وعلينا تعليمك قراءته ، فالقرآن هنا مصدر بمعنى القراءة

(١) تفسير ابن جرير (٢٩/١١٧) من طبعة بولاق سنة ١٣٢٩هـ .

(٢) طه : ١١٤ .

(٣) شرح الكرمانى على البخارى ٤٧/١ .

وليس عَلمًا، وثالثها: معرفة ما في القرآن من العلم والعمل، وهذا هو المُشار إليه بقوله ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي علينا تعليمك حلاله وحرامه كما علمناك قراءته.

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المسلة.

هذا لفظ البخاري^(١)، قال العيني: (فيدارسه) من المدارس من باب المفاعلة من الدرس وهو القراءة على سرعة وقدرة عليه، قال: وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «وَلْيَقُولُوا دَارَسْتَ» أي قرأت على اليهود وقرأوا عليك، وهاهنا لما كان النبي ﷺ وجبريل عليه السلام يتناوبان في قراءة القرآن كما هو عادة القراء بأن يقرأ هذا عشرًا والآخر عشرًا أتى بلفظ المدارس، أو أنها كانا يتشاركان في القراءة أي يقرآن معاً، وقد عُلم أن باب المفاعلة لمشاركة اثنين^(٢).

قلت هنا في لفظ البخاري (فيدارسه) وفي حديث فاطمة عليها السلام في البخاري أيضاً في فضائل القرآن قال ﷺ: (إن جبريل يعارضني

(١) فتح الباري ١/٣٠.

(٢) عمدة القارى ١/٧٥.

بالقرآن في كل سنة وإنه عارضني العام مرتين) ومعنى هذا أن جبريل يعرض القرآن والنبي ﷺ يسمع، ثم النبي ﷺ يعرض القرآن وجبريل يسمع، دل على هذا حديث أبي هريرة في فضائل القرآن من الصحيح أيضاً: (كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه) ففي هذه الرواية عَرَضَ جبريل القرآن على النبي ﷺ .

وفي فضائل القرآن من الصحيح أيضاً رواية عن ابن عباس بلفظ: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة) وهذا هو لفظ مسلم أيضاً في فضائل الصحابة من صحيحه^(١).

وخلاصة القول: إن هذه هي الطريقة النبوية في تلقي القرآن، وهي التي جرت عليها عادة القراء وستتهم، وتسمى العَرَضُ والسَمَاعُ، فرسول الله ﷺ تلقى القرآن من جبريل مشافهةً، سماعاً منه أولاً كما دلت عليه آيات سورة القيامة، وكما دل عليه بعض هذا الحديث، وعَرَضاً على جبريل كما هو واضح من بقية الحديث.

(١) مسلم مع النووي ٦٨/١٥ .

منتهى سلسلة الإسناد في القراءة

جبريل عليه السلام مجرد مُبَلِّغ عن ربه، فكيف تلقى القرآن من لدن
حكيم خبير؟

أهل التعطيل يفرون من إثبات صفة الكلام للملك العلام فيقولون:
ينقله من اللوح المحفوظ.

نعم هو مكتوب في اللوح المحفوظ كما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فالكتاب المكنون
المراد به اللوح المحفوظ، ولكن الله سبحانه يتكلم بهذا القرآن كلما قضى
بالوحي، كما دل على ذلك حديث أبي هريرة في الصحيح: (إذا قضى الله
الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على
صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا
للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع هكذا بعضه
فوق بعض - ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين أصابعه - الحديث^(١).

وروى ابن أبي حاتم^(٢) وابن جرير^(٣) وابن خزيمة^(٤) عن النواس بن
سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) البخاري في كتاب التفسير من صحيحه (٦/٢٨ / طبعة اسطنبول سنة ١٣١٥هـ).

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٣٧.

(٣) تفسير ابن جرير (٢٢/٦٣ / من طبعة بولاق سنة ١٣٢٩هـ).

(٤) انظر ابن كثير ٣/٥٣٧.

أن يوحى بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ (الحديث^(١)).

إِذْنِ فَجَبْرِيْلُ أَمِيْنُ الْوَحْيِ تَلَقَّى الْقُرْآنَ سَمَاعًا مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَيَسْلِسُ السَّمَاعَ بِهَذَا الْقُرْآنِ تَنْتَهِي إِلَى مَقَامِ الْأُلُوْهِيَّةِ ، فَمَا أَعْظَمَهَا وَمَا أَجْلَهَا مِنْ سَلْسَلَةٍ .

وتنوباً بهذا ساق الحافظ الذهبي إسناده برواية حفص بن سليمان الكوفي وذلك في (معرفة القراء) فانتهى به إلى رب العالمين^(٢).

وهذا هو معنى قول الجزري في المقدمة :

لأنه به الإله أنزلًا وهكذا منه إلينا وصلًا

أي أن القراءة بالتجويد واجبة لأن الله أنزل القرآن به ، وقد ذكرنا لك طرفاً من ذلك في تفسير آيات سورة القيامة ، فتجويد القرآن وصلنا من الله بسلسلة الإسناد الجليلة هذه ، لأن تجويد القرآن هو الذي نعنيه بهيئة القراءة وصفة الأداء ، إذ المقصود الاصطلاحي بتجويد القرآن : قراءته على الصفة التي قرأها النبي ﷺ وأداؤه بالهيئة التي أداها بها .

(١) ابن كثير عند تفسير الآية من سورة سبأ ٣/٥٣٧ .

(٢) معرفة القراء الكبار في ترجمة حفص .

تَلَقِّي ما في القرآن من علم وعمل

كان من منهج النبي ﷺ في تعليم القرآن أن يقسمه إلى مقاطع ومقارء لا يتجاوز (المقراً) الواحد خمس آيات، وفي رواية عشر آيات، فيتلقون منه ﷺ نص هذه الآيات، ويأخذون عنه صفة أدائها وقراءتها، ويتعلمون ما فيها من العلم والعمل^(١). أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي العالية^(٢) قال: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن رسول الله ﷺ كان يأخذه خمساً خمساً^(٣). وروى ابن سعد في الطبقات^(٤) وابن أبي شيبة في المصنف^(٥) عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: إننا أخذنا هذا القرآن

(١) ولذلك نستحسن أن نُوَضِّع المناهج في تحفيظ القرآن على هذا الأساس، فلا يكتفي التلميذ المبتدئ بحفظ نص الآيات وتجويدها، بل يُعْطَى شيئاً من تفسيرها وفقهها، على قدر مستواه والمرحلة التي يجتازها، فَيُقَسَّم منهج الحفظ إلى دروس كل درس منها يتكون من خمس آيات، أو عشر آيات، يتعلم تجويدها، وحفظها، وتفسيرها وما فيها من فقه في وقت واحد، فهذا أقوى حتى لحفظ النص، ومن التزم ذلك نرجو أنه يُبَارَكُ له جزاء اقتدائه بالمنهج النبوي.

(٢) اسمه رفيع، مولى امرأة من بني يربوع من بني رباح، أسلم لستين مضتاً من خلافة أبي بكر الصديق، ومات سنة ثلاث وتسعين وهو من كبار تابعي البصرة.

(مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص ٩٥).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤٦١/١٠.

(٤) طبقات ابن سعد ١٧٢/٦.

(٥) المصنف ٤٦٠/١٠.

عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عَشْرَ آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قومٌ ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هاهنا - وضع يده على حلقه - (١).

وروى الحاكم في مستدركه، عن أبي عبد الرحمن السلمى (٢) عن عبد الله بن مسعود قال: كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عَشْرَ آيات لم نتعلم من العشر الذى نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه (٣).

فهذا هو المنهج النبوي في تعلم القرآن وتعليمه، إن يتلقى المتعلم العلم والعمل معاً، ولذلك لم يعجلوا بحفظ نصه كله دون بصر بمعانيه وما فيه من عمل، بل تلقوه قليلاً قليلاً، وربما أبطأ بعض الصحابة في حفظ سائر القرآن بسبب ذلك.

(١) أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ اسمه عبد الله بن حبيب، قال الداني: أخذ القراءة عرضاً عن عثمان، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأخذ عنه القراءة عرضاً عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، وعطاء بن السائب، والشعبي، وإسماعيل بن أبي خالد، وغيرهم، وعرض عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما، مات سنة أربع وسبعين. (مشاهير علماء الأمصار: ١٠٢) (معرفة القراء الكبار ١/٥٢).

(٢) وقد سلك أبو عبد الرحمن نفس هذا المنهج النبوي في تعليم القرآن وإقرائه، روى ابن سعد بإسناده عن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان أبو عبد الرحمن يقرئ عشرين آية بالغداة وعشرين آية بالعشي ويخبرهم بموضع العشر والخمس، ويقرئ خمساً خمساً، يعني خمس آيات خمس آيات.

(الطبقات ٦/١٧٢).

(٣) المستدرک ١/٥٥٧.

روى مالك في موطنه : أن عبد الله بن عمر تعلم سورة البقرة في ثمان سنين ، فلما ختمها نحر بَدَنَةَ^(١) .

وهذا مما يفسر لنا قلة من جمعوا القرآن من جيل الصحابة رضي الله عنهم في أول الأمر ، وقلة من حفظه بسائر حروفه ، أي قراءاته المنزلة ، بل كانت تلك الحروف موزعة في صدور الصحابة ، أما أن يجمعها سائرَهَا واحدٌ منهم فهذا نادر قليل .

وللمقريء أن يعين للقارئ أكثر من العشر والخمس حسبما يرى من أهليته ، دل على ذلك حديث ابن مسعود في الصحيح فقد قرأ على النبي ﷺ حتى بلغ قوله : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد . . ﴾ وهذه الآية هي الآية الواحدة والأربعون من سورة النساء (١) .

(١) الموطأ ١/٢٠٥ .

(٢) البخاري في فضائل القرآن من صحيحه (٦/١١٣) / طبعة اسطنبول) وانظر المسند بتحقيق أحمد شاكر/ رقم ٣٦٦٢ ، ٤٢٥٥ ، ٤٣٤٠ .

تعلم قراءات القرآن المختلفة

كان رسول الله ﷺ قد تلقى أحرف القرآن^(١) السبعة، أي أوجهه المقروءة السبعة، رخصةً من الله تعالى لأُمَّته وتوسعةً عليهم وزيادةً في جوانب إعجاز هذا القرآن العظيم، فهو ذو وجوه، في ألفاظه وفي طريقة أدائه وقراءته، كما أنه ذو وجوه في معانيه.

وكان ذلك بعد فتح مكة، حيث بدأت قبائل العرب على اختلاف ألسنها ولهجاتها تدخل في دين الله أفواجاً، وأما قبل ذلك فكان القرآن على حرف واحد يوافق لغة قريش ولهجاتها.

وحتى بعد إنزال الأحرف السبعة ظل القرآن معظمه على وجه واحد وهو الذي يسمونه (مواضع الاتفاق)، ومنه ما أنزل على أحرف مختلفة حرفين فأكثر إلى سبعة، وهو الذي يسمونه (مواضع الاختلاف)^(٢) وقد تضمنت هذه المواضع كثيراً من لغات العرب ولهجاتها الفصحى، وفي هذا أو ذاك ظل القرآن معظمه على لغة قريش ولهجاتها.

ولأن هذه الأحرف المختلفة إنما أنزلت تيسيراً على القارئ للقرآن من

(١) الحرف لغة الوجه، ومعناه هنا وجه القراءة، وعند الصحابة كانوا يستعملون هذا الاصطلاح مرادفاً للقراءة، فقول عمر بن الخطاب: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة، أي على قراءات كثيرة، ويقولون: حرف زيد، وحرف أبي، وحرف ابن مسعود، كل ذلك معناه القراءة التي يرويها هؤلاء، فالنسبة إليهم كنسبة الحديث النبوي إلى راويه.

(٢) وهو موضوع علم (القراءات).

أهل اللغات واللهجات المختلفة كان رسول الله ﷺ وسلم يقرء كل عربي بما يوافق لهجته مما أنزل، أو يكون قريباً منها، لأنه يصعب على العربي أن ينتقل عن لسانه ولهجته، نَقْلُ جِبَلٍ من مكانه وزحزحته أهون من نقل العربي عن لسانه ولهجته التي نشأ عليها كما يقول ابن قتيبة^(١)،^(٢) ومن هنا أصبحت هذه الأحرف المنزلة متفرقة بين الصحابة، مبثوثة في صدورهم، وأحياناً مكتوبة في مصاحفهم.

لكن الرسول ﷺ كان يختار بعضاً من كبراء أصحابه من أهل الفقه والعلم والرأى والفضل، ممن يُعَدُّهم ليكونوا أئمة الناس من بعده، فيقرئهم القرآن بأكثر من حرف، وربما خَصَّ بعضهم بالأحرف كلها، وهؤلاء الذين يُقال عنهم: جمعوا القرآن أي حفظوه بسائر حروفه المنزلة^(٣) أو بأكثرها.

مثل: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، والخلفاء الأربعة، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي الدرداء وأبي موسى الأشعري، وغيرهم.

(١) قارن بتأويل مشكل القرآن / ص ٣٠.

(٢) وهذا مما يفسر لنا مثل قول أنس لما سئل: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ قال: أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد أحد عمومي.
وقوله: مات رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة، فذكر أبا الدرداء بدلا من أبي بن كعب، فيقال: ان المراد بقوله (جمع) حفظ القرآن مع حفظ سائر أحرفه المنزلة، وهذا مما يدل عليه معنى هذا الاشتقاق في اللغة. قاله الباقلافي في (الانتصار).
(انظر المرشد الوجيز ص ٣٩).

وأحياناً يخصص بعضهم بحروفٍ لم يتلقها الآخر، فهذا عمر بن الخطاب سمع هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان بحروف - أي قرأت - غير التي تلقى هو السورة عليها، فكاد يساوره في الصلاة - أي يهجم عليه -، اختلفا وهما قرشيان، وهذا يدل أيضاً على أن الرسول ﷺ ربما علّم أحد أصحابه بعض أحرف القرآن ولو كانت على غير لغته ولهجته وأنه يوزع أحرف القرآن عليهم يخص بعضهم بما لا يلقيه الآخر^(١).

وحدث مثل هذا في أول الأمر لأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، فقد سمع أبي ابن مسعود يقرأ بغير ما تلقى هو من قرأت عن رسول الله ﷺ^(٢)، لكن أبي بن كعب فاقهم جميعاً بعد ذلك في حفظ القرأت حتى قال عنه عمر الفاروق: «أبي أقرؤنا وأنا لندع من لحن أبي وأبي يقول أخذته من في رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾^(٣) ومقصود عمر بقوله: «وأنا لندع من

بغير ما تلقى هو من قرأت عن رسول الله ﷺ

(١) وعلى هذا جرت عادة القراء، فهذا نافع بن أبي نعيم المدني خص ورشاً بما لم يقرء به قالون، وهذا عاصم الكوفي خص حفصاً بما لم يقرء به شعبة فلما اختلفا وذكرنا ذلك له قال لحفص: أقرأتك بما أقرأني به أبو عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب، وأقرأت أبا بكر بما أقرأني زُرُّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود.

(معرفة القراء الكبار للذهبي ٩٢/١).

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين / باب فضائل القرآن (٥٦١/١) وانظر ابن جرير في مقدمة التفسير (٤٢/١).

(٣) البخاري في فضائل القرآن من صحيحه، انظر الفتح (٤٧/٩).

لحن أبي» إلى آخر كلامه : أن أبا متمسك بالأحرف التي تلقاها من رسول الله ﷺ ولا يُسَلَّمُ بنسخها وعمر ينازعه في ذلك ويرى أنها نُسخت، وهذا يبدو أنه يتناول بعض الأحرف المنسوخة التي لم تُثَبَّتْ في المصحف عند كتابته^(١).

(١) انظر العيني على البخارى (٢٠/٢٨ / طبعة المنيرة)، قال العيني: لحن القول فحواه ومعناه والمراد به هنا القول، وقال الهروى: اللحن بسكون الحاء اللغة وبالفتح الفطنة واللحن أيضاً إزالة الإعراب عن وجهه بالإسكان، (وأبي يقول) جملة حالية، قوله (لشيء) أي لناسخ، وكان أبي لا يسلم نسخ بعض القرآن، وقال: لا أترك القرآن الذى أخذته من فم رسول الله ﷺ لأجل ناسخ، واستدل عمر بالآية الدالة على النسخ.

جَمْعُ الْقِرَاءَاتِ

عندما كان ﷺ يقرئهم هذه الأحرف المختلفة كيف كان يصنع؟ هل كان يجمع ما في الآية من قراءات في وقتٍ واحدٍ، أم كان يلتزم بالإفراد كما يقول بعضُ أهل العلم؟

يَجْمَعُ القِراءَات معناه أن تقرأ الآية وتعيد موضع الاختلاف فتقرأ جميع ما فيه من أوجه منزلة، إما بأن تعيد من أول الآية في كل وجه أو تعيد موضع الاختلاف فقط.

حديث المدارس أو عَرْضِ القرآن على جبريل يمكن أن يُستنبط منه أصلُ (الجمع)، فإن قوله في الحديث: (يعرض القرآن على جبريل مرةً . .) معناه يَختِمُه خِتمَةً واحدةً، ويلزم منه أنه يقرأ في هذه الختمة سائر ما أنزل عليه قبلها، ويدخل فيه أحرف القرآن المختلفة، لأنها قرآن، فلا وجه لإخراجها من العرض، كيف والمقصود هو استذكار النبي ﷺ لما أنزل عليه، والنص ليس بأولى بالاستذكار من الأحرف المختلفة المنزلة، بل هي أحوج إلى استذكارها منه.

والسؤال: كيف يعرض الأوجه المختلفة في الموضع الواحد من مواضع الاختلاف عندما يمر به؟ وهو يَختِمُه خِتمَةً واحدةً فقط؟

ليس إلا (الجمع)، أي أنه يكرر ذلك الموضع بسائر ما فيه من أحرف، سواء كرر نفس الموضع واكتفى بذلك، أو أعاد من أول الآية،

كل ذلك محتمل وكله سائغ، وليس في الخبر الثابت ما يبين لنا تفصيل ذلك.

لكن يكفيننا هذا القدر، فإنه دل على أن أصل (جمع القراءات) ثابت من فعل النبي ﷺ^(١).

ثم إن هذه الأخبار الثابتة الصحيحة التي فيها وصف لوقائع كان بعض الصحابة فيها قرأوا بهذه الحروف القرآنية المختلفة، كقول عمر بن الخطاب يصف قراءة هشام بن حكيم بن حزام لسورة الفرقان: «فإذا هو يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ»^(٢).

وكقول أبي بن كعب يصف قراءة ابن مسعود الذي أهدم اسمه في

(١) وحتى في العرصة الأخيرة التي عرض فيها النبي ﷺ القرآن مرتين يرد نفس الاستدلال، لأن من مواضع الاختلاف ما هو على أكثر من وجهين فلا يتأتى أن يقال إنه أفرد كل وجه بختمة.

ومن لم يعجبه هذا الاستنباط فهو ملزم بأحد أمرين: إما أن يقر بأن العرض كان يدخل فيه أحرف القرآن المختلفة - أي قراءته - فليخبرنا حينئذ كيف كان يتم عرضها؟ أو يقول بأن أحرف القرآن المنزلة لا تدخل في العرض وهذا القول يؤدي إلى إسقاط أبعاض كثيرة من القرآن من العرض وخاصة العرصة الأخيرة التي ثبت أن الصحابة توخّوا موافقتها عند جمع المصاحف، وأوضح دليل يرد على هذا القول مصاحف الخليفة الراشد عثمان التي كتبت على العرصة الأخيرة، فقد أثبتوا فيها أحرف القرآن المختلفة.

(٢) البخاري، انظر الفتح (٢٣/٩).

رواية الصحيح^(١) وذكر في رواية ابن جرير^(٢) : «فدخل رجلٌ يصليّ فقرأ قراءة أنكرتها عليه» .

أقول: ليس في هذه الأخبار تصريح بأنهم كانوا يجمعون الأحرف المختلفة في القراءة، ولكن هناك أيضاً ما يمنع ذلك^(٣) .

ولكن الأمر بالنسبة للصحابة هو الجمع بين الحروف المختلفة في الآية بصرف النظر عن الأسانيد والطرق، لأن هذه الأسانيد والطرق إنما نشأت بعد ذلك .

ولما تشعبت الطرق والأسانيد أصبح للجمع معنى زائداً، فيه تحرير الروايات وتمحيص الأسانيد والطرق .

وبالرغم من تشعب هذه الطرق والأسانيد وكثرتها فإن الهمم عند المتقدمين كانت عالية، فلم يُعرف الجمع عندهم، بل كانوا يلجأون دائماً في تلقيّ القراءات إلى الأفراد، وذلك حرصاً على الإتقان واستيعاب الروايات، حتى لقد قرأ الأستاذ أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري

الأستاذ نبيّ دلتني السرايات أنحرص على الإتقان -

(١) مسلم (١/٥٦١) .

(٢) ابن جرير في مقدمة التفسير (١/٤٢) .

(٣) في سورة الفرقان قراءات كثيرة، وفي بعض المواضع منها قراءتان فأكثر، بل في مواضع منها خمس قراءات، وقد جمع الحافظ ابن حجر في الفتح ما فيها من قراءات محاولاً استقصاء ذلك، انظر الفتح (٩/٣٣) .

القيرواني^(١) القراءات السبع على شيخه أبي بكر القصري^(٢) تسعين ختمة، كلما ختم ختمة قرأ غيرها، حتى أكمل في مدة عشر سنين، وأشار إلى ذلك في قصيدته فقال:

وأذكر أشياخي الذين قرأتها عليهم فأبدأ بالإمام أبي بكر
قرأت عليه السبع تسعين ختمة بدأت ابن عشر ثم أكملت في عشر^(٣)

واستمر الأمر على هذا المنوال، وهو الأخذ بالإفراد، إلى أثناء المائة الخامسة عصر الداني، والأهوازي، والهذلي، حيث ظهر جمع القراءات في ختمة واحدة، واستمر إلى اليوم^(٤).

يقول الحافظ ابن الجزري: «وكان بعض الأئمة يكره ذلك من حيث إنه لم تكن عادة السلف عليه، ولكن الذي استقر عليه العمل هو الأخذ به، والتقرير عليه وتلقيه بالقبول»^(٥).

* والخصري هذا هو - رحمه الله - الشيخ الفقيه المشهور الذي سار له (والمراد ابن جرير)

ليقول في، ديوانه

بالبيل والشمس من خلفه في أيام الأمانه حيدر...
مثل الأبراهيم... [بعض الأئمة يكرهون...]
... من الأدب... كبر العبد... الله...

- (١) هو ابن خالة أبي إسحاق إبراهيم الحصري صاحب زهر الآداب، وأبو الحسن هذا أستاذ ماهر في القراءات، توفي بطنجة سنة (٤٦٨هـ). (غاية النهاية ١/٥٥٠ الترجمة ٢٢٤٩).
- (٢) إمام جامع القيروان، ذكره ابن الجزري ولم يترجم له. انظر (غاية النهاية ١/١٨٥).
- (٣) النشر ٢/١٩٤، ولطائف الإشارات ١/٣٣٥.
- (٤) نفس المصدر.
- (٥) النشر ٢/١٩٥، وقارن بغيث النفع للصفاسي (على هامش سراج القاريء) ص ١٠.

أقول: والحاجة إليه في زماننا ماسة، لتقاصر الهمم، وضعف العزائم، ومن يصبر من الطلبة عشر سنين كما صبر أبو الحسن؟ لا يصبرون حتى على أقل من ذلك، وهو أن يختم أربع عشرة ختمة كل من أراد تلقي السبعة، وعشرين ختمة كل من أراد تلقي العشرة.

وبعض الشيوخ كان يلزم طلابه بإحدى وعشرين ختمة لمن أراد السبعة، وثلاثين ختمة لمن أراد العشرة، وذلك بأن يفرد كل راوٍ بختمة، ثم يجمع كل راوٍ عن شيخها بختمة.

وجمع القراءات: لا أرى مانعاً شرعياً من الأخذ به عند قراءة القرآن مطلقاً، في الصلاة وخارج الصلاة، للقارئ أن يفعل ذلك بشرط صحة النية، وسلامة القصد، وأمن المفسدة^(١) لأنه داخل في الرخصة الثابتة في عموم قوله ﷺ: (فاقرأوا منها ما تيسر) أي اقرأوا من هذه الحروف المنزلة ما تيسر لكم، فهذا مما يتيسر، بل هو اليوم أيسر من الأفراد.

(١) نقصد بهذه الشروط: إخراج ما يفعله بعض قراء الإذاعات من جمع القراءات أمام الغوغاء يستثرون بذلك إعجابهم ويثرون هياجهم، فإن مثل هؤلاء يخشى عليهم وعلى سامعيهم من قول النبي ﷺ: (مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم)، والمفسدة التي يلزم تجنبها هي جمع القراءات أمام من يحتمل أن ينكروا القراءات لجهلهم بها، فإن خلو الذهن من تصور هذا المقام قد يؤدي بالسامع إلى الإنكار، وهذه مفسدة، لأنها تؤدي إلى إنكار بعض القرآن.

ولكن الحاجة إلى هذا الجمع أشد عند التعلُّم والتعليم، ولذلك فالأولى الأخذ به، والتعويل عليه، وعدم الالتفات إلى مُنكره، كيف وقد تلقاه أئمة هذا الفن بالقبول، وعملوا به، حتى من ينكره ويرجح عليه الأفراد كالصفاقسي فإنه يعمل به، بدليل أنه بينَ كَيْفِيته وآدابه ومذاهب القراء في كَيْفِيته^(١) ولكن الأولى أن يُقال إن التخيير بين الأفراد والجمع يكون للمقرئ بحسب ما يرى من أهلية المتلقِّي واستعداده، وقد كان بعض الشيوخ لا يسمح به إلا لمن أفرد القراءات وأتقن معرفة الطرق والروايات، فهذا الكمال الضرير^(٢) صهر الشاطبي لما أراد القراءة عليه لم يقرأ عليه قراءة واحدة من السبعة إلا في ثلاث ختمات، فكان إذا أراد مثلاً قراءة ابن كثير يقرأ أولاً برواية البزِّي ختمةً، ثم ختمةً برواية قنبل، ثم يجمع البزِّي وقنبل في ختمة، هكذا حتى أكمل القراءات في تسع عشرة ختمة ولم يبق عليه إلا رواية أبي الحارث، قال: فأردتُ أن أقرأ بروايته فأمرني بالجمع. فجمعه مع الدوري، فلما انتهى إلى سورة الأحقاف توفي الشيخ رحمه الله^(٣).

١- هذا الكتاب من الأصول الستة المتألفة (حج) رد الزهبي
 ٢- هذا الكتاب من الأصول الستة المتألفة (حج) رد الزهبي

(١) الأصول: هي القراءات المضبوطة تحت أصل واحد، والفرش القراءات التي لا تندرج تحت أصل واحد يجمعها.

(٢) النشر ٢/٢٠١.

(٣) المصدر السابق، وقارن بلطائف الإشارات للقسطلاني ١/٣٤٠.

وفي كيفية الجمع للشيوخ مذاهب :

أولها: مذهب المصريين، وهو أن يشرع القارئ في القراءة فإذا مر بكلمة فيها خُلف أصولي أو فَرَشِي^(١) أعاد تلك الكلمة بمفردها حتى يستوفي ما فيها من الخلاف، ثم إن كان مما يسوغ الوقف عليه، وقف واستأنف مابعداها على الحكم المذكور، وإلا وصلها بآخر وجه انتهى عليه حتى ينتهي إلى وقف فيقف، وإن كان الخُلف مما يتعلق بكلمتين كمد المنفصل والسكت على ذي كلمتين وقف على الكلمة الثانية واستوعب الخلاف، ثم انتقل إلى مابعداها.

ويُسمى هذا المذهب بالجمع الحرفي^(٢).

قال ابن الجزري: وهو أوثق في استيفاء أوجه الخلاف وأسهل في الأخذ وأخصر، ولكنه فيه خروج عن رونق القراءة وحسن أدائها^(٣).

وثانيها: الجمع بالوقف، وهو: إذا شرع القارئ بقراءة من قدمه من القراء لا يزال بذلك الوجه حتى ينتهي إلى وقف يسوغ الابتداء بها بعده فيقف، ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إن لم يكن دخل خُلفه فيها قبله، ولا يزال حتى يقف على الوقف الذي وقف عليه، ثم يفعل ذلك بقارئ

(١) انظر غيث النفع (على هامش سراج القارئ) ص ١٥ - ١٥.

(٢) اسمه علي بن شجاع بن سالم أبو الحسن الهاشمي العباسي الضرير المصري الشافعي شيخ الإقراء بالديار المصرية، توفي سنة (٦٦١هـ). (غاية النهاية ١/٥٤٥ الترجمة ٢٢٣١).

(٣) النشر ١٩٥/٢.

قارىء حتى ينتهي الخُلف، وابتدىء بها بعد ذلك على هذا الحكم .
وهذا يُسمى جمع الشاميين، وهو أشد في الاستحضار وأسد في
الاستظهار وأطول زماناً، وأجود إمكاناً .

قال ابن الجزري : «وبه قرأت على عامة من قرأت عليه مصراً وشاماً،
وبه آخذ»^(١) .

ثالثها: مذهب ابن الجزري، قال في النشر^(٢) بعد ذكره للمذهبين
السابقين :

ولكني رُكبتُ من المذهبين مذهباً، فجاء في محاسن الجمع طرازاً
مُذهباً، فأبتدىء بالقارىء وأنظر إلى من يكون من القراء أكثرَ موافقةً له،
فإذا وصلتُ إلى كلمةٍ بين القارئين فيها خلافاً وقفتُ وأخرجته معه، ثم
وصلتُ حتى أنتهي إلى الوقف السائغ جوازه، وهكذا حتى ينتهي
الخلاف .

وفي كل هذه المذاهب في الجمع على القارىء أن ينتبه إلى فواصل
المعاني، ويتجنب مالا يليق الوقف عليه مما يخجل بالمعنى، أو يوهم غيرَ
المراد، لا يجعله حرصه على استيفاء أوجه الخلاف على إهمال ذلك فيقع في
المحذور .

(١) النشر ٢/٢٠١ .

(٢) المصدر السابق .

حكى ابن الجزري : أن شخصاً كان يقرأ على الأستاذ بدر الدين محمد بن بضخان^(١) وكان الأستاذ كثير التدبير، فكان ذلك الشخص يجمع عليه فقرأ «تَبَّتْ يَدَا أَبِي . . .» ووقف وأخذ يعيدها حتى يستوفي مراتب المد، فقال له : يستاهل الذي أبرز مثلك^(٢) . ١٤٠

وعلى من يقرأ بالجمع إضافةً إلى رعاية الوقف أن يحرص على حسن الأداء، ويتجنب التركيب .

وأما رعاية الترتيب والتزام تقديم قارئٍ بعينه فلا يُشترط، وإن كان الأحسن للمتلقّي أن يلتزم بترتيب الكتاب الذي حفظه ويقرأ بمضمونه .

كالدُّشَاطِيْبِيَّةِ وَالطَّيْبِيَّةِ رَحْمَةً

(١) محمد بن أحمد بن بضخان بن عين الدولة أبو عبدالله الدمشقي، شيخ مشايخ الإقراء بالشام، تصدر للإقراء بالجامع الأموي بدمشق فقصده القراء وبعد صيته واشتهر فضله، توفي سنة (٧٤٣هـ) . (غاية النهاية ٥٧/٢ الترجمة ٢٧١٠) .
(٢) النشر ٢٠٤/٢ .

تَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنَ الْقُرَّاءِ الضَّابِطِينَ

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(١)، أي يُلَقَى إِلَيْكَ وَحِيًّا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَادَّة (تَلَقَّى) مِنَ اللَّقْيَا، فِيهَا لِقَاءٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ، هُمَا الْمُتَلَقِّي - بِكسْرِ الْقَافِ - وَالْمُتَلَقَّى مِنْهُ - بِفَتْحِهَا - ، وَالْمُتَلَقَّى هُنَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، وَالْمُتَلَقَّى مِنْهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَكِنْ بِوَسْطَةِ جِبْرِيلَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهِ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أَي إِذَا قَرَأَهُ عَلَيْكَ رَسُولُنَا وَسَفِيرُ وَحِينَا جِبْرِيلَ، وَبُنِيَ الْفِعْلُ لِلْمَفْعُولِ: «تَلَقَّى» إِشَارَةً إِلَى أَهْمِيَةِ الْمَقْرُوءِ الَّذِي تُؤْخَذُ عَنْهُ الْقِرَاءَةُ، وَقَالَ: ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ مَعَ أَنَّ التَّلَقِّيَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ مَبَاشَرَةً، بَلْ بِالْوَسْطَةِ وَهَذَا أَوَّلُ السَّلْسَلَةِ، سَلْسَلَةُ الرِّوَايَةِ وَالْإِسْنَادِ، فَأَمْرٌ هَذَا الْقُرْآنَ فِي تَلْقِيهِ مَبْنِيٍّ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنْ مَنْتَهَى السَّلْسَلَةَ إِلَى مَقَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا نَوَهْنَا سَابِقًا، فَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ تَلَقَاهُ الرَّسُولُ الْأَمِينُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمَاعًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا بَيَّنَّاهُ آنفًا، وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ السَّفِيرُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ رَسَلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، قَوِيٌّ أَمِينٌ، ضَابِطٌ لِلْوَحْيِ، لَا يَغْلُطُ وَلَا يَخُونُ، فَبِئْسَ مَا اتَّهَمْتَهُ بِهِ الْيَهُودُ وَالرُّوَافِضُ، إِنَّهُ عَدُوَّهُمُ الْأَوَّلُ، لِأَنَّهُ لَا يَخُونُ، وَهُمْ أَهْلُ خِيَانَةٍ وَتَحْرِيفٍ وَتَبْدِيلٍ.

ثم تلقاه رسول الله محمد ﷺ من جبريل، وحفظه في قلبه وأتقن قراءته، أقرأه ربه سبحانه فلا ينسى، أي أمر جبريل بإقرائه وتكفله هو

(١) النمل: ٦ .

سبحانه بعصمته من أن يُضَيِّع شيئاً منه أو ينساه، فلا يذكره أبداً. هذا بداية التنبيه على أهمية تلقّي القرآن من الحافظين الضابطين المتقنين، الذين تلقوه بالأسانيد المتصلة.

أخرج البخاري في فضائل القرآن من صحيحه^(١) عن مسروق: ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال: لأزال أحبه، سمعتُ النبي ﷺ يقول: (خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمَعَاذٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ).

فهؤلاء المذكورون اثنان منهم من المهاجرين وهما الأولان: عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه، وهو الملقَّب في الحديث بابن أم عبد، وقد ورد فيه من جهة القراءة قول النبي ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ بِقِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ^(٢)). وذلك أنه تلقَّى القراءة مشافهة من في رسولِ الله ﷺ وأتقنها، وكان مع ذلك حسن الصوت قوي التأثير، بكى رسولُ الله ﷺ لما سمع منه آيات منها قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. وثبت عنه في الصحيح أنه رضي الله عنه قال: والله لقد أخذتُ من في رسولِ الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحابُ النبي ﷺ أني أعلمهم

(١) انظر الفتح (٤٦/٩).

(٢) مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر/ الحديث رقم ٤٢٥٥، ٤٣٤٠.

(٣) متفق عليه: البخاري (الفتح ٩٨/٩) ومسلم (٥٥١/١) الحديث رقم (٨٠٠).

بكتاب الله وماأنا بخيرهم^(١)، فابن مسعود رضي الله عنه كان من أقرأ الصحابة وأعلمهم بالقرآن، وأحسنهم إتقاناً لقراءته، وأعلمهم بالعرضة الأخيرة، ولعل هذا هو السر في تقديم النبي ﷺ له على باقي الأربعة، ولما رأى عبدالله بن عمرو النبي ﷺ قَدَّمَهُ في الذكر أدرك فضله وإمامته في قراءة القرآن التي هي مُتعلِّقٌ هذا الخبر فأحبه.

وأما سالم بن معقل: فهو مولى أبي حذيفة بن عتبة بن عبد شمس، وكان سالم من السابقين الأولين، وقد روى البخاري أنه كان يؤمُّ المهاجرين بقباء لما قدموا من مكة وفيهم عمر بن الخطاب وسلمة بن عبد الأسد، واستدل البخاري بذلك على جواز إمامة العبد^(٢).

وإثنان من المذكورين من الأنصار، وهما معاذ، وأبي:

أما معاذ: فهو ابن جبل الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الرحمن، وأما أبي: فهو ابن كعب النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو المنذر سيد القراء بعد رسول الله ﷺ.

(١) انظر الفتح (٦٤/٩).

(٢) في كتاب الصلاة من الصحيح، انظر الفتح (١٨٤/٢).

وقد مات ابن مسعود وأبي في خلافة عثمان، ومات معاذ في خلافة عمر، واستشهد سالم مع مولاه أبي حذيفة في وقعة اليمامة في خلافة أبي بكر، رضي الله عن الجميع.

وهذا الحديث يدل على مشروعية تحري الضابطين من أهل القرآن للأخذ عنهم والتلقي منهم، فهذا القرآن لا يُؤخذ عن كل أحد.

ويدل قبل ذلك على أن قراءة القرآن تُؤخذ بالتلقي من أفواه المقرئين، أتدري من خاطب النبي ﷺ بقوله: (خذوا القرآن من أربعة)؟ خاطب الصحابة، وهم عرب فصحاء، بل هم أفصح الأمة، ومع ذلك لم يكلمهم إلى فصاحتهم بل أمرهم بالتلقي، وما ذاك إلا لأن قراءة القرآن لها هيئة مخصوصة توقيفية، فلم يُبح للصدر الأول وهم عرب أقحاح أن يقرأ كل منهم حسياً يتيسر على لسانه.

وفي الحديث دلالة على محبة أهل القرآن، القراء الحافظين المتقنين، هذا على وجه الخصوص، وإلا فمحبة أهل الفضل والعلم عموماً من علامات الإيمان، ولكن لما كانت صدور القراء الماهرين أوعية لكتاب الله المنزل وكلامه المبجل، وهم في إتقانهم له حفظاً وقراءة وأداء كالملائكة الكرام البررة، كانوا أولى بالمحبة وأجدر بالتبجيل.

بقي أن نجيب على سؤال يرد هنا عادة، وهو: لم خص النبي ﷺ هؤلاء الأربعة بينما في الصحابة قراء كثيرون غيرهم؟.

برز من جيل الصحابة من القراء غير هؤلاء المذكورين كثيرون، مثل زيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وأبي الدرداء، ومن الخلفاء الأربعة قرأ الناس على عثمان بن عفان، ثم شغلته الخلافة، وعلى علي بن أبي طالب، والأسانيد في رواية حفص وغيرها متصلة به .

إذن فقوله: (خذوا القرآن من أربعة) ليس على وجه الحصر، وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر تقديماً لهم على غيرهم في ذلك الوقت، أي وقت صدور هذا الحديث منه ﷺ، وهذا لا يمنع أن يوجد بعدهم من هم مثلهم أو أقرأ منهم .

زيد بن ثابت من أقرأ الصحابة وأعلمهم بالقرآن، وأعرفهم بالعرضة الأخيرة، إضافةً إلى خبرته بكتابة القرآن، حيث كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وعاش زمناً حتى قرأ عليه كثيرون وانتفع به أمم، فقد توفي سنة اثنين وأربعين، وقيل ثلاث وقيل خمس .

وأبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس، من أهل اليمن من بني الأشعر، قدم المدينة بعد فتح خيبر، مات سنة اثنين وأربعين، وهو ابن نيف وستين سنة بالكوفة، وقيل بمكة .

وأبو الدرداء: واسمه عويمر بن عامر، اختلف في اسم أبيه كما اختلف في اسمه، الخزرجي الأنصاري، مات في خلافة عثمان، قيل لستين بقيتاً من خلافته .

تعليم الصغار القرآن

الأصل في هذا الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ففي صحيح البخاري^(١) قال : باب تعليم الصبيان القرآن، ثم ساق بإسناده عن سعيد بن جبير رحمه الله قال : إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم، قال : وقال ابن عباس : توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم . المفصل

وفي رواية في البخاري عنه أيضاً : جمعتُ المحكم في عهد رسول الله ﷺ فقلت له : وما المحكم ؟ قال : المفصل .

المحكم : ضده المتشابه، والمفصل السور التي كثرت فصولها، وهي من الحجرات إلى آخر القرآن، هذا هو الذي يسمى حزب المفصل، ودل هذا الحديث على أنه يسمى أيضاً المحكم .

ودل أيضاً على أنه يستحب تعليم الصغار القرآن كما عنون الإمام البخاري، خلافاً لمن كرهه كسعيد بن جبير راوي الحديث وإبراهيم النخعي^(٢) .

ودل الحديث أيضاً على أنه يستحب البدء بالمفصل عند تعليم الصغار لأنه أسهل عليهم، ويمكن تقسيمه حسب حال الصغير، فيبدأ أولاً

(١) (٢) فتح الباري ٨٣/٩ .

بتعليمه من قصار المفصل : من سورة (الضحى) مثلاً إلى (الناس)، ثم من (عم يتساءلون) إلى الضحى، ثم من أول الحجرات إلى (النبأ) وهكذا، لا مانع من ذلك ولا بأس به^(١).

ولكن ما هي السن التي يُبدأ عندها بتعليم الصغير القرآن ؟ .

الحديث دل على أنه يستحسن ألا يبلغ عشر سنين إلا وقد حفظ المفصل، ومعنى هذا أنه يُبدأ بتعليمه في سن السابعة، إذ لا يحتاج الصغير إلى أكثر من ثلاث سنين ليحفظ المفصل ويُجوده، وأرى أن نبدأ مع الصغير منذ يعقل أو يميز، فنعلمه بعضاً من قصار المفصل كالمعوذتين، والإخلاص، مع سورة الفاتحة، يكون ذلك تمهيداً للبدء بتلقي المفصل كله، ولا بأس بتعليمه آيات معينة من غير ذلك . أليس الأمر جاء بتعليمه الصلاة في سن السابعة، ومن أركان الصلاة القرآن .

بل جاء النص عن الصحابة بما قلنا : فقد روى ابن أبي شيبه في مصنفه عن عمرو بن شعيب قال : كان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علمه النبي ﷺ هذه الآية سبعا « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً »^(٢).

(١) ولا يقال في هذا إنه تنكيس للقرآن فإن الحديث دل على جوازه عند التعليم، وإنما التنكيس أن يبدأ بـ(الناس) ثم (الفلق) ثم (الإخلاص) ثم (المسد) وهكذا، وهذا لا يجوز .
(٢) المصنف ٥٥٦/١٠، وعمل اليوم والليلة لابن السني / ص ١٦٠ .

وروى أيضاً عن إبراهيم^(١) قال : كانوا يكرهون أن يعلموا أولادهم حتى يعقلوا^(٢).

وهذا هو مقصود من كره تعليم الصغار القرآن، أي كره تعليمهم قبل سن التمييز، فإنه لا يتحمل ذلك، وقد يحصل له الملل منه، وقد يهين القرآن وهو لا يشعر^(٣).

(١) هو النخعي .

(٢) المصنف ٥٥٧/١٠، والمطالب العالية ٢٩٧/٣ .

(٣) بقيت مسألة أشكلت على بعض أهل العلم في حديث ابن عباس الذي صدرنا به هذا الباب وجعلناه أصلاً له : فإنه يوهم ظاهره أن عمر بن عباس عند وفاة النبي ﷺ كان عشر سنين، بينما الذي ورد في الصحيح في كتاب الصلاة أنه في حجة الوداع كان قد ناهز الاحتلام . وقد قال عمرو بن الفلاس : الصحيح عندنا أن ابن عباس كان له عند وفاة النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة قد استكملها . . وأجاب القاضي عياض عن حديث الباب بأنه يحتمل أن يكون قوله : (وأنا ابن عشر سنين) راجع إلى حفظ القرآن لا إلى وفاة النبي ﷺ ويكون تقدير الكلام : توفي النبي ﷺ وقد جمعت المحكم وأنا ابن عشر سنين . ففيه تقديم وتأخير . (راجع فتح الباري ٨٤/٩) .

المرأة تحفظ القرآن

كل أمر ورد بقراءة القرآن فالخطاب فيه للرجال والنساء، وكذا كل نص جاء فيه الحث على استظهاره، والترغيب في تعلمه وتعليمه، يدخل في ذلك النساء، ولذلك عُني النساء من الصحابة بهذا الفضل العظيم، وعلى رأسهن أمهات المؤمنين .

ومما يدل على عنايتهن بالقرآن اتخاذهن المصاحف، ومن تفحص كتب المصاحف والتفسير يجد النقل عن مصاحف أمهات المؤمنين : عائشة، وحفصة، وأم سلمة .

ولكن لم يشتهر من النساء قارئات كما هو الشأن في الرجال^(١)، وهذا لا يدل على عدم الوجود، لأنه حتى لو وجد حافظات للقرآن جامعات له، فإنهن قد لا يُذكرن، لأنهن لا يُبرُزنَ، إذ الأصل في المرأة الستر، والقرار في البيوت، ألم تؤمر بأن تُصلي في بيتها، فصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، كذلك الشأن في قراءة القرآن، لا يحل لها أن تبرز بها أمام الناس، وتسمعهم صوتها، بل تكنُ في بيتها، وتسرع قراءتها ولا تعلنها، إلا عند بنات جنسها، أو مع الصغار إن أرادت تعليمهم .

(١) حتى في تراجم القراء لم يذكروا أحداً من النساء ولا أفردوا لهن باباً، لا تجد شيئاً من ذلك عند الذهبي في (معرفة القراء الكبار) ولا عند ابن الجزري في (غاية النهاية في طبقات القراء) وقد ترجم فيه لما يقارب أربعة آلاف .

ولكن الغالب على النساء قلة من جمع القرآن منهن، حتى أمهات المؤمنين مع عنايتهن بتلاوة القرآن، وسماعه، لم يجمع القرآن كله منهن أحد، هذا هو الذي يظهر لنا من أخبارهن، ويدل عليه أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان يؤمها عبد لها يكنى أبا عمرو وفي رواية عن ابن أبي شيبه والبخاري (معلقاً) أنه كان يؤمها في المصحف^(١).

ولم يعرف من الصحابيات من جمع القرآن إلا أم ورقة بنت نوفل رضي الله عنها^(٢) فقد أخرج أبو داود في سننه : أن النبي ﷺ لما غزا بدرأ قالت : قلت له : يا رسول الله إئذن لي في الغزو معك، أمرض مرضاكم، لعل الله يرزقني شهادة. قال : «قري في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة» فكانت تسمى الشهيدة، قال : وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذناً، فأذن لها، قال : وكانت دبرت غلاماً لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت، وذها، فأصبح عمر فقام في الناس فقال : من كان عنده علم من هذين فليجيء بهما، فأمر بهما فصلبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة.

وفي رواية قال : وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها وجعل لها مؤذناً يؤذن لها، وأمرها أن تؤم أهل دارها.

(١) تلخيص الحبير ٤٣/١ .

(٢) ترجمتها في الإصابة ٣٢٢/٨ طبعة البجاوي .

قال عبد الرحمن - يعني ابن خلاد الأنصاري - : فأنا رأيت مؤذنها شيخاً كبيراً^(١).

١٠ دل هذا الحديث على فضل من تحفظ القرآن من النساء، كما دل على أن المرأة إذا قرأت القرآن وجودته وحفظته لا يجوز لها أن تبرز به للرجال ليسمعوا صوتها، تأمل قول النبي ﷺ : «قَرِّي فِي بَيْتِكَ» وفي رواية : «أَقْعِدِي فِي بَيْتِكَ»^(٢) فهذا الأمر للمرأة بالقرار في البيت عام، فلا يقال إنه متعلق بالجهاد دون غيره، دل على العموم قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٣) ودل عليه أيضاً ما ورد من أحاديث تبين أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وغير ذلك من الأحاديث، ثم إنه في حديث الباب أمرها أن تؤم أهل دارها، فهذه المنقبة أيضاً حُصرت في أهل الدار، لم يؤهلها جمعها للقرآن للإمامة خارج نطاق بيتها.

١١ والحديث دليل على مشروعية إمامة المرأة للنساء، وقد يوهم ظاهره جواز إمامتها لبعض الرجال، لأن قوله (أهل دارها) في ظاهره يشمل ذلك

(١) سنن أبي داود / باب إمامة النساء (٢٣٠/١) وفي إسناده الوليد بن جميع الأزهري الكوفي، قال المنذري : فيه مقال وقد أخرج له مسلم (مختصر سنن أبي داود ٣٠٧/١).

(٢) أخرجه ابن السكن، انظر الإصابة (٣٢٢/٨).

قال الحافظ السيوطي في الإتقان (٢٥٠/١) : ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن لم يعدها أحد ممن تكلم في ذلك، فأخرج ابن سعد في الطبقات : أنبا الفضل بن دكين، قال ثنا الوليد بن عبد الله بن جميع . . ثم ساق خبر أم ورقة . قلت : كأن السيوطي رحمه الله لم يطلع على رواية أبي داود وإلا فهي أولى بالذكر.

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

المؤذن، والغلام، مع الجارية، ومع غيرهم من نساء الدار، وقد أخذ بهذا الفهم أبو ثور، والمزني، والطبري، وهو قول شاذ، جماهير أهل العلم على خلافه .

أما إمامة المرأة للنساء فقال بعض الفقهاء بمشروعيتها، فتقوم وسطهن، كما ورد ذلك عن أم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة، رضي الله عنهما .

وقال بعضهم : إنه منسوخ^(١) فلا إمامة ولا جماعة للنساء، وللمرأة إذا اشتاقت لشهود الجماعة، وسام القرآن في المكتوبة أو في التراويح أن تلحق بآخر الصفوف في جماعة الرجال .

(١) انظر نصب الراية للزيلعي (٢/ ٣٠ - ٣٣) والتلخيص لابن حجر (١/ ٤٣).

أخذ الأجرة على تعليم القرآن

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله »^(١) .
دل هذا الحديث على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، وعلى جواز الاشتراط، والحديث وإن كان سببه الرقية فإن لفظه عام، ولذلك استدل به جمهور العلماء على الجواز، وإليه ذهب عطاء، والحكم، وبه قال مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو ثور، وقال الحسن، وابن سيرين، والشعبي : لا بأس بأخذ المال ما لم يشترط^(٢) .

وذهب جماعة من أهل العلم إلى منعه، وهو قول الزهري وأبي حنيفة، وإسحاق^(٢) .

واحتج الحنفية : بأن كل طاعة يختص بها المسلم لا يجوز الاستئجار

(١) رواه البخاري في الإجارة وفي الطب في باب (الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب) ولفظه : عن ابن عباس أن نقرأ من أصحاب النبي ﷺ مروا بقاء فيهم لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لذيغاً أو سليماً . فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شيء فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرأ! حتى قدموا المدينة، فقالوا : يارسول الله أخذ على كتاب الله أجرأ . فقال رسول الله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله »، ورواه أبو داود في البيوع باب كسب الأطباء : عن أبي سعيد الخدري وليس فيه آخر الحديث، وفيه بدلاً منه : «من أين علمتم أنها رقية أحستتم وأضربوا لي معكم بهم» .

(٢) إسحاق هو ابن راهويه، وانظر شرح السنة للبعوي ٢٦٨/٨ . والمعني لابن قدامة الحنبلي ١٣٦/٨ طبعة التركي وأخلو ١٤٠٩ هـ .

عليها، وذلك عندهم مثل : تعليم القرآن والفقه، والأذان، والتذكير، والتدريس، والحج، والغزو، لأن هذه الأشياء طاعة وقربة تقع عن العامل، قال تعالى : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (١).

فلا يجوز أخذ الأجرة من غيره كالصوم والصلاة (٢).

ويجاء عن هذا بالتفريق بين نوعين من العبادات : ما كان نفعه يتعدى لغيره وهو في الغالب من فروض الكفاية، كتعليم القرآن والفقه، وكالأذان، والغزو، وما كان نفعه مقتصرًا على فاعله وهو من فروض الأعيان كالصلاة، والصوم.

واستدل المانعون بجملة أحاديث لا يصح منها شيء، وما صح منها لا يدل على مرادهم :

منها : ما رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : علمت ناساً من أهل الصفة (٣) القرآن، فأهدى إليّ رجل منهم قوساً فقلت : ليست بهال، وأرمي عليها في سبيل الله عز وجل؟ لآتين رسول الله ﷺ فلا سأله، فأتيته فقلت : يارسول الله رجل أهدى إليّ قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن، وليست بهال، وأرمي عنها في سبيل الله؟ قال : «إن كنت تحب أن تطوق طوقاً من نار فاقبلها».

(١) النجم : ٣٩ .

(٢) انظر عمدة القارى للعيني ٩٥/١٢ .

(٣) الصُّفَّةُ مكان في آخر مسجد رسول الله ﷺ كان يؤوي إليه الفقراء من الصحابة .

وهذا الحديث ضعيف^(١)، ولو صح فإنه لا يدل على تحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن مطلقاً، مع ورود الإباحة في حديث ابن عباس وأبي سعيد، ويجمع بينهما بأن أهل الصفة كانوا فقراء يعيشون بصدقة الناس فأخذ الرجل المال منهم مكروه ودفعه إليهم مستحب، والأولى بعبادة رضي الله عنه أن يكون قد علمهم القرآن احتساباً وتبرعاً ولذلك حذر النبي ﷺ من إبطال نيته بأخذ العوض.

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى الجمع بين الأحاديث في هذه المسألة
بهاياتي :

قالوا : إن أخذ الأجرة على تعليم القرآن له حالات :

١) فإذا كان في المسلمين غيره ممن يقوم به حل له أخذ الأجرة عليه ، لأن فرض ذلك لا يتعين عليه .

٢) وإذا كان في حال أو موضع لا يقوم به غيره : لم يحل له أخذ الأجرة^(٢) .

(١) قال المنذري : في إسناده المغيرة بن زياد أبو هاشم الموصلي وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وتكلم فيه جماعة ، وقال الإمام أحمد : ضعيف الحديث حدث بأحاديث مناكير وكل حديث رفعه فهو منكر ، وقال أبو زرعة : لا يحتج بحديثه . (مختصر سنن أبي داود ٧٠ / ٥) .
وروى الحديث عنه بلفظ (ما ترى فيها يارسول الله ؟ قال : جرة بين كتفك تقلدتها ، أو تعلقتها) وفي هذه الطريق بقية بن الوليد .
(٢) معالم السنن للخطابي ٧٠ / ٥ بتحقيق حامد الفقي .

ولكن الأسد من هذا أن نقول إنه حتى في هذه الحالة لا يجوز له الاشتراط على من يعلمهم، أما لو أعطوه من غير شرط منه ولا استشراف نفس فله أن يأخذ كما ذهب إليه الحسن البصري وابن سيرين والشعبي، ثم حالة أخرى وهي أن الأجرة إذا كانت من وقف أوقفه أهل الخير على ذلك، أو من بيت مال المسلمين، أي تدفعها له الدولة فلا بأس بأن يأخذ، وحاجة المسلمين في كثير من البلاد ماسة إلى من يتفرغ لهم من أجل ذلك، فإذا انقطع لهذا العمل فمن أين ينفق على نفسه وأهله، فالتشديد في هذه المسألة قد يؤدي إلى تعطيل هذه الحاجة الضرورية للمسلمين، وهي تعليم القرآن.

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرزق المعلمين، وأنه كتب إلى بعض عماله: أن أعط الناس على تعليم القرآن^(١).

(١) راجع في المسألة: عمدة القارى شرح صحيح البخاري للعيني ١٢/٩٥-٩٧، ونصب الراهة للزيلعي ٤/١٣٤-١٣٩، ومساعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ٣٥٠/١.

الباب الثاني

صفة قراءة النبي ﷺ

كانوا يُعربون القرآنَ ويتجنبون اللَّحْنَ

اللَّحْنُ : بسكون الحاء : الخطأ، ومنه ماروي عن عمر رضي الله عنه أنه انتهى إلى قوم يقرء بعضهم بعضاً، فلما رأوا عمر سكتوا، فقال: ماكنتم تراجعون؟ قلنا: كنا نقرء بعضنا بعضاً. فقال: اقرأوا ولا تلحنوا^(١).

ومنه أيضاً ماروي عن ابن عمر أنه كان يضرب ولده على اللحن^(٢).
ومنه حديث عمر: تعلموا اللَّحْنَ والفرائض والسنة كما تعلمون القرآن^(٣). على قول من فسر اللحن هنا بالخطأ، ومعناه عنده: تعلموا اللحن أي الخطأ في الكلام لتحترزوا منه^(٤).

ويأتي اللحن بمعنى اللغة، ومنه قول عمر المذكور على رأي من فسره باللغة، يريد: تعلموا لغة العرب بإعرابها.

ومنه أيضاً قول عمر رضي الله عنه: **أبيُّ أقرؤنا وإنَّا لنرغب عن كثير**

(١) ابن أبي شيبة عن سليمان بن يسار (المصنف ١٠/٤٥٩) وانظر شعب الإيمان (٥/٢٤٢) وإيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري (١/١٩).

(٢) ابن أبي شيبة (١٠/٤٥٧)، وابن سعد (٤/١١٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢/٢٢٩).

(٣) ابن أبي شيبة (١٠/٤٥٩) وشعب الإيمان (٥/٢٤٤).

(٤) انظر النهاية لابن الأثير ٤/٢٤٢.

من لحنه^(١) . أي لغته^(٢) .

ويأتي بهذا المعنى أيضاً مفتوحاً، ومنه ماروي (إن القرآن أنزل بلحن قريش) أي بلغتهم^(٣) .

ويأتي اللحن بمعنى التنغيم والتطريب وترجييع الصوت وتحسينه، والتغني بالقراءة أو الشعر أو الغناء .

ومنه حديث حذيفة بن اليمان يرفعه: (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها . الخ)^(٤) . ويأتي اللحن لغير ما ذكرنا من المعاني، فبابه واسع .

والمقصود في هذا الباب تجنب اللحن الذي هو الخطأ في القراءة، فإن من عادة الصحابة رضي الله عنهم الحرص على إعراب القرآن، ومعرفة لغته، حتى يقرأوه كما أنزل، وإعراب القرآن لا يختص بحركات الإعراب، بل يشمل أيضاً اللهجات فإنها من لغة العرب، وأكثر ما يختلفون وتباين ألسنتهم في اللهجات .

عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: إني لأحب أن أقرأه كما أنزل -
تعني إعراب القرآن -^(٥) .

(١) البخاري في صحيحه في فضائل القرآن (انظر الفتح ٤٧/٩) .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢٤٢/٤ .

(٣) المصدر السابق ٢٤١/٤ .

(٤) يأتي تخريجه / ص ٧٤ .

(٥) ابن أبي شيبة في المصنف ٤٥٩/١٠ .

وروي عن أبي جعفر قال: من فقه الرجل عرفانه للحن^(١).
أي اللغة والإعراب حتى يقيم لسانه بقراءة القرآن.

وهم في هذه العادة متبعون ماسنه لهم رسول الله ﷺ، فقد روي عنه
في غير ما حديث أنه أمر بإعراب القرآن، من ذلك حديث أبي هريرة قال:
قال رسول الله ﷺ: (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)^(٢).

عن ابن بريده رضي الله عنه، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال:
لأن أقرأ آية بإعراب أحب إليّ من أن أقرأ كذا وكذا آية بغير إعراب.

وروى عن عمرو بن دينار قال: كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد
فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي، وتعدّدوا
فإنكم معدّيون^(٣).

وهذه الأوامر للوجوب، لأن من وقع في اللحن الذي هو الخطأ في
كتاب الله لم يؤد القرآن، إذ القرآن هو اللفظ والمعنى، واللفظ إنما يؤدي كما
أنزل، أي بهيئة النطق التي أنزل بها وقرأ بها النبي ﷺ وأقرأ بها، ولأنه
لا يمكن أصلاً أداء لفظ القرآن إلا بتلك الهيئة، أو بهيئة أخرى مخالفة لها
بعيدة عنها، والله عز وجل أنزل القرآن عربياً، ويؤدي بهيئة في النطق
عربية، ولذلك قيل: أعربوه فهو عربي.

(١) نفس المصدر.

(٢) ابن أبي شيبة في المصنف ٤٥٦/١٠، والبيهقي في الشعب (٢٣٨/٥)، وانظر إيضاح
الوقف والابتدا للأنباري (ص/١٥).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٤٥٦/١٠.

والإعراب أصلاً معناه الإبانة والإفصاح، ولا يتمان إلا بتحقيق الحروف، وتصحيح هيئات النطق. وتحقيق الحركات من فتح وضم وكسر.

فالخطأ الذي يمكن أن يقع فيه القارئ إما أن يكون في تحقيق الحرف، بالألا يميز بين حرف وآخر، ولا يخرج الحرف من مخرجه الصحيح، كما يحدث في الذال والطاء والسين، والطاء والذال والزاي، والضاد والذال والطاء، والحاء والهاء، وإما بأن يخل بشيء من هيئات النطق بالحرف، مثل الفك والإدغام، والفتح والإمالة، والقصر والمد، ونحو ذلك.

وإما بأن يخل بحركات الإعراب بأن يضم مفتوحاً، أو يفتح مكسوراً، أو يسكن متحركاً، أو يحرك مسكناً. وسوف يأتي حكم ذلك وتحريره مفصلاً إن شاء الله تعالى^(١).

(١) في باب حكم اللحن في القراءة.

ترتيل القراءة

قال تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾^(١).

والأصل في الأمر الوجوب، إلا إذا صرفه صارف، ولا نعلم هنا أي صارف يمكن أن يصرف هذا الأمر عن أصله، فترتيل القرآن إذن واجب على كل من قرأه.

والترتيل في اللغة من قولهم: نُغَرُّ مُرْتَلٌ وَرَتَّلُ، أي مفلج مستوي^(٢) النبته حسن التنضيد^(٣)، والرتل أصله حسن تناسق الشيء^(٤) ومن مجاز اللغة قولهم: رَتَّلَ الكلامَ ترتيلاً، أي أحسن تأليفه.

وعليه فمعنى: رَتَّلَ القرآنَ، أي ترسَّلَ في تلاوته وأحسن تأليف حروفه بالتأني في قراءته وتبيين حروفه وحركاته، تشبيهاً بالشعر المرتل^(٥).

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره^(٥).

قلت: وهو معنى قوله أيضاً: «وقراءاً لنا لفرقتنا لتقرأه على الناس على

(١) المزمّل : ٣ .

(٢) أساس البلاغة ١/٣٢١ . ١١

(٣) القاموس / مادة رتل .

(٤) النهاية لابن الأثير ٢/١٩٤ ، أساس البلاغة ١/٣٢١ .

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٣٤ .

مكث ونزلته تنزيلاً»^(١) أي لتبلغه للناس وتقرأ عليهم على مهل^(٢).

وهذا تفسير للترتيل ببعض معناه، على عادة السلف في التفسير، فلا يفهم من كلامه أن الترتيل معناه التمهّل فحسب، إذ المراد من هذا الأمر التبيين والإفصاح والتحسين، حتى يؤدي القرآن على أكمل وجه، فيظهر حسنه، ويبدو رونقه، وذلك لا يتم إلا بالتجويد.

فبلا تجويد مهما ترسل في القراءة وتمهل فيها وتأنى فإنه لا يفصح عن حسن القرآن بل يُخفي بلحنه وكثرة خطئه محاسن القرآن. ولذلك روي عن بعض السلف تفسير الترتيل بالتجويد.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف^(٣).

وهذا أكثر ما يتسنى في التحقيق من مراتب التلاوة، ثم في التوسط، ويسمى التدوير، فإنهما أحسن درجات الترتيل لمن أراد ضبط الأحكام وتجويد الحروف، ولمن أراد تدبر المعاني والتفسير.

أما الحدر فلا يتأتى معه ضبط أحكام القراءة إلا للمتقنين المهرة. والتحقيق مأخوذ من حقق الشيء تحقيقاً، إذا بلغ يقينه وبالغ في الإتيان به على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه، وهو في اصطلاح القراء: إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام

(١) الإسراء: ١٠٦.

(٢) ابن كثير ٦٨/٣.

(٣) النشر للجزري ٢٠٩/١.

الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف، ولا يكون معه غالباً قصر، ولا اختلاس، ولا إسكان محرك، ولا إدغامه، فالتحقيق يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ، وإقامة القراءة بغاية التريل، وهو الذي يستحسن الأخذ به على المتعلمين، من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط، من تحريك السواكن وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الرءات، وتظنين النونات، بالمبالغة في الغنات.

روي عن حمزة الزيات أحد القراء السبعة أنه سمع من يبالغ في ذلك فقال له: أما علمت أن ما كان فوق الجُعُودَةِ فهو قَطَطٌ^(١)، وما كان فوق البياض فهو بَرَصٌ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة^(٢).

والتحقيق هو مذهب حمزة، وورش من غير طريق الأصبهاني، وكتيبة عن الكسائي، والأعشى عن أبي بكر (شعبة)، وبعض طرق الأثناني عن حفص، وبعض المصريين عن الحلواني عن هشام، وأكثر العراقيين عن الأخفش عن ابن ذكوان.

✦ وأما الحدر: فمن حَدَّرَ يَحْدُرُ، إذا أسرع، فهو عبارة عن إدراج القراءة وسرعتها، وتخفيفها بالقصر، والتسكين، والاختلاس، والبدل،

(١) جَعَدَ الشَّعْرُ جُعُودَةً إذا كان فيه التواء وتقبض فهو جَعْدٌ، وذلك خلاف المسترسل، وإذا زادت الجعودة فذلك قَطَطٌ، قال في التهذيب: القَطَطُ شعر الزنجي [المصباح المنير].
(٢) لطائف الإشارات (١/٢٠٨).

والإدغام، الكبير، وتخفيف الهمز، ونحو ذلك مما صحت به الرواية، ووردت به القراءة، مع إثبات الوصل، وإقامة الإعراب، ومراعاة تقويم اللفظ، وتمكن الحروف، وهو عندهم ضد التحقيق، ومُحْتَرَز فيه من بتر حروف المد، وذهاب صوت الغنة واختلاس أكثر الحركات، وعن التفريط إلى غاية لاتصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة، ولا يخرج عن حد الترتيل.

والحدر هو مذهب ابن كثير، وأبي جعفر، وسائر من قَصَرَ المنفصل، كأبي عمرو، ويعقوب، وقالون، والأصبهاني عن ورش في الأشهر عنهم، والولي عن حفص، وأكثر العراقيين عن الحلواني عن هشام.

وأما التدوير فهو عبارة عن التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن روى مد المنفصل ولم يبلغ فيه إلى الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وصح عن جميع الأئمة، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء^(١).

وقد كانت قراءة النبي ﷺ التحقيق من مراتب الترتيل:
عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها^(٢).

(١) من قوله: «التحقيق مأخوذ من حقق الشيء...» إلى هنا من النشر للجزري بتصرف ٢٠٥/١.

(٢) مسلم في صحيحه / في صلاة المسافرين (الحديث ١١٨).

وعن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فإذا هي تَنَعَتْ قراءةً مفسرةً حرفاً حرفاً^(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة^(٢).

وفي رواية عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى أصبح بآية، والآية: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (يُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتَلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ مَنَزَلَتْكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤْهَا)^(٤).

وروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إن درج الجنة بعدد آي القرآن^(٥).

(١) الترمذي في أبواب ثواب القرآن (السنن / رقم ٢٩٢٣) والنسائي (١٨١/٢).

(٢) أحمد في مسنده (١٤٩/٥) والبغوي في تفسيره (٤٠٨/٤).

(٣) النسائي (١٧٧/٢)، وابن ماجه (٤٢٩/١) رقم ١٣٥٠، والبغوي في تفسيره (٤٠٨/٤).

(٤) الترمذي (رقم ٢٩١٤).

(٥) قال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا مروان بن معاوية القاري عن محمد بن عبد الرحمن السدوسي عن مقعس بن عمران بن حطان قال: سمعت أم الدرداء تقول: سألت عائشة عن من دخل الجنة ممن قرأ القرآن ما فضله على من لم يجمعه؛ قالت: إن عدد درج القرآن بعدد آي القرآن فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن فليس فوقه أحد.

وضد الترتيل (الهدُّ) أو (الهدْرَمَة)، وهو الإسراع بالقراءة إلى الحد الذي لا يُمكن القارئ من ضبط أحكام القراءة، ولا يُمكن السامع من التدبر.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لا تنثروه نثر الدَّقْل، ولا تهذُّوه هذُّ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة^(١).

وعن أبي وائل^(٢) قال: جاء رجل إلى ابن مسعود قال: قرأت الفصل الليلة في ركعة. فقال: هَذَا كَهَذَا الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهما، فذكر عشرين سورة من المفصل، كل سورتين في ركعة^(٣).

والهدرمة مكروهة في القراءة، ولذا ورد النهي عن ختم القرآن في أقل من سبع، وفي رواية في أقل من ثلاث^(٤).

وورد في نفس الحديث عنه ﷺ أنه قال: (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)^(٥). فاختلفوا أيهما أفضل وأكثر أجراً وأحسن ثواباً، التحقيق مع قلة عدد الآي المقروءة، أم الحذر مع كثرتها؟.

(١) البغوي في تفسيره (٤/٤٠٧)، والأجري في أخلاق حملة القرآن (ص/١١).

(٢) هو شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي، والحديث في صحيح البخاري مختصراً (٦/١٠١).

(٣) انظر باب القراءة بالنظائر.

(٤) في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، انظر / ص ١٤٤

(٥) انظر / ص ١٤٤

ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول
ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف)^(١) .

فهذا الحديث يدل على أن كثرة القراءة أفضل ، وهذا معناه أن الحذر
أفضل ، وورد ما يدل على حرص كثير من السلف على كثرة القراءة .
من ذلك ماروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قرأ القرآن في
ركعة^(٢) .

ومنه ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يختمه في كل
ثلاث .

وإلى تفضيل الحذر ذهب أصحاب الشافعي .

ولكن ما عليه معظم السلف ، وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس
رضي الله عنهم ، أن التحقيق مع التدبر أفضل ، وهو فعل النبي ﷺ ، ولأن
المقصود من تلاوة القرآن الفهم والتدبر ، والتفقه والعمل .

قال شعبة : حدثنا أبو حمزة^(٣) قال : قلت لابن عباس : إني رجل
سريع القراءة وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين . فقال ابن عباس :

(١) الترمذي في باب ثواب القرآن (السنن / رقم / ٢٩١٠) والدارمي (٢ / ٣٠٨) ، والحاكم في
مستدرکه (١ / ٥٦٧) .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإبان (٥ / ١٤٥) وفي السنن (٣ / ٢٤) .

(٣) اسمه نصر بن عمران أبو حجرة الضبعي البصري (تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٣١) .

لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إليّ من أن أفعل الذي تفعل ، فإن كنت فاعلاً
ولا بد فاقراً قراءة تسمع أذنيك ويعيها قلبك^(١) .

وقال إبراهيم^(٢) : قرأ علقمة على ابن مسعود وكان حسن الصوت
فقال : رتلّ فذاك أبي وأمي فإنه زين القرآن^(٣) .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : دخلت عليّ امرأة وأنا أقرأ سورة هود ،
فقال : يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود؟ والله إني فيها منذ ستة أشهر
وما فرغت من قراءتها^(٤) .

وعن محمد بن كعب القرظي رحمه الله أنه كان يقول : لأن أقرأ في ليلتي
حتى أصبح «إذا زلزلت الأرض . . .» و«القارعة» لا أزيد عليهما ، وأتردد
فيهما وأفكر أحب إليّ من أن أهذ القرآن هذاً - أو قال : أنثره نثراً^(٥) .

وسئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران
في الصلاة ، وركوعهما وسجودهما واحد ، فقال : الذي قرأ البقرة وحدها
أفضل^(٦) .

واعلم أن الترتيل واجب ، والتحقيق أفضل مراتبه ، للمجرد التدبير
فإن العجمي الذي لا يفهم معاني القرآن يتعلق به نفس الحكم ، فيجب

(١) زاد المعاد لابن القيم ١/ ٣٣٩ .

(٢) هو النخعي .

(٣) رواه ابن أبي شيبة (المصنف ١٠/ ٥٢٤) وأبو نعيم (الحلية ٢/ ٩٩) .

(٤) زاد المعاد ١/ ٣٤٠ .

(٥) ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢٦) وانظر النشر (١/ ٢٠٩) .

(٦) ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢٦) .

عليه في القراءة الترتيل ، لأن ذلك أقرب إلى توقيف كلام الله ، وأشد تأثيراً في القلب^(١).

قال الحافظ ابن القيم : والصواب في المسألة أن يُقال : إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدراً ، وثواب كثرة القراءة أكثر عدداً ، فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة ، أو أعتق عبداً قيمته نفيسة جداً ، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم ، أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة^(٢).

أما في صلاة التراويح جماعة في المسجد ، فإن التوسط هو المناسب للمقام ، وأما الحذر فلا يناسب إلا المتقين الماهرين الذين لا يلحنون ، ولا يتتعتعون ، إذ قد تؤدي السرعة بالقارئ إلى الإخلال بكثير من الأحكام إذا لم يكن متقناً.

وسبب تفضيلنا التوسط والحذر في هذا المقام ما فهمناه من أن قصد التخفيف على المأمومين معتبر ، وإلا فما الذي جعل السلف رضوان الله عليهم يزيدون في عدد الركعات وينقصون في القراءة؟ لأن في كثرة الركعات تخفيفاً ، حيث يتروح المصلون بعد كل تسليم ، أما طول القيام مع زيادة عدد الآيات المقروءة ومع تحقيق القراءة ، الذي هو صفة قيام النبي ﷺ فتكل دونه الهمم .

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٣/١١٤) طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية بمصر .

(٢) زاد المعاد (١/٣٣٩) .

سنة التغني بالقرآن

من سنن المصطفى ﷺ وهو سيد القراء: التغني بالقرآن:

(١) - في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:
(لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن يجهر به) (١).

معناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويتغنى بها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت، لكمال خلقهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء (٢).

ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى:
﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ (٣).

والأذن هنا معناه الاستماع، ومنه قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت..﴾ (٤) أي استمعت لربها، وحق لها أن تستمع لأمره

(١) متفق عليه: البخاري في فضائل القرآن (انظر الفتح ٦٨/٩) ومسلم في صلاة المسافرين (رقم الحديث ٧٩٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٦٠/٨) طبعة دار الشعب بمصر.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) الانشقاق: ٢٠١.

وأن تطيعه . وما يدل على تفسير الأذن هنا بالاستماع حديثُ فَصَّالَةَ بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ : (الله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته)^(١) .

فكان النبي ﷺ يتغنى بالقرآن ويترنم به ، وما سُمع أحسن من صوته بالقرآن ، ففي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه .

وفي رواية : فلما سمعته قرأ : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . ﴾^(٢) خِلْتُ أن فؤادي قد انصدع^(٣) .

هذا وجبير إذ ذاك كان مشركاً ، ومع ذلك أثرت فيه قراءة النبي ﷺ ، بحسن صوته ﷺ وترتيله ، ومع عظم المعاني التي فهمها جبير بسليقته اللغوية .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحسن منه . متفق عليه^(٤) .

(١) رواه ابن ماجه في السنن (رقم الحديث ١٣٤٠) ، ومن قوله : «معناه أن الله تعالى ما استمع لشيء . . .» إلى هنا من ابن كثير (٣٣/٤) بتصرف .

(٢) الطور : ٣٥ .

(٣) البخاري (في التفسير ٤٩/٦) ومسلم مختصراً في الصلاة (٣٣٨/١) .

(٤) البخاري في الأذان (١/١٩٤) من طبعة الحلبي ومسلم في الصلاة

٢ - في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول
 ﷺ: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن). وفي رواية (يجهر به)^(١).
 قال سفيان بن عيينة: معناه يستغني به^(٢).
 وقال وكيع: يستغني به عن أخبار الأمم الماضية.
 وكذا نقل ابن راهويه عن ابن عيينة أن مراده ذلك وليس الاستغناء
 به هو ضد الفقر^(٣).

وهذا هو ما يذهب إليه البخاري ويفهم من صنيعه في صحيحه،
 قال: باب من لم يتغنّ بالقرآن وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا
 كِتَابًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾^(٤).

وعن يحيى بن جعدة^(٥) قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد
 بها فيها بعض ماسمعه من اليهود، فقال النبي ﷺ: (كفى بقوم حمقاً
 سلاية أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى
 ثم) فنزلت. وهذا المرسل له شواهد^(٦).

بوب البخاري بلفظ هذا الحديث في فضائل القرآن (١٠٧/٦)، ثم رواه مسنداً في
 نيد (٢٠٩/٨).

ذكره البخاري تعليقاً (١٠٨/٦) وانظر مناقب الشافعي لابن أبي حاتم (ص ١٠٦).
 انظر فتح الباري (٦٨/٩).
 العنكبوت: ٥١.

ابن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، ثقة يرسل عن ابن مسعود ونحوه
 ريب (٣٤٤/٢).

رواه الطبري (٧/٢١/طبعة بولاق) وابن أبي حاتم (انظر الدر المنثور =

ومما يؤيد هذا التفسير ما رواه ابن أبي مليكة^(١) عن عبيد الله بن أبي نهبك^(٢) قال: لقيني سعد بن أبي وقاص وأنا في السوق فقال: تجار كَسَبَةٌ! سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)^(٣).

وقد ارتضى أبو عبيد القاسم بن سلام هذا التفسير واستشهد له من كلام العرب بقول الأعشي:
وكنْتُ امرءاً زَمناً بالعراق خفيفَ المناخ طويلَ التغني^(٤)
أي كثير الاستغناء.

وبقول المغيرة بن حبناء^(٥):

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

-
- = ١٤٨/٥ طبعة إيران) وأبو داود في مراسله (ص ٣٢٠/ بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط).
وانظر فتح القدير للشوكاني (٤/٢٠٩).
وقد أنكر ابن كثير على البخاري استشهاده بالآية فلم يصنع شيئاً، لأن هذا المعنى الذي يشير إليه البخاري داخل أيضاً في معاني اللفظ (يتغنى)، كما سيأتي بيانه.
(١) اسمه عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المدني، من أكابر التابعين، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، وقال محمد بن حبان: رأى ثمانين من أصحاب النبي ﷺ (مشاهير علماء الأمصار / ص ٨٢).
(٢) ويقال عبد الله بن أبي نهبك.
(٣) أبو داود في سننه (٢/ص ٧٤) وابن الضريس في فضائل القرآن (عزاه إليه الحافظ ابن حجر، انظر الفتح ٩/٦٩) وانظر فضائل القرآن لابن كثير (في آخر تفسيره / ص ٣٣).
(٤) ديوان الأعشي / ص ٧٥ (بشرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين / طبع سنة ١٩٧٤م بيروت).
(٥) انظر ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ص ٤٠٦).

قال أبو عبيد: فعلى هذا يكون المعنى: من لم يستغن بالقرآن عن الإكثار من الدنيا فليس منا، أي على طريقتنا^(١).

واحتج بقول ابن مسعود: من قرأ سورة آل عمران فهو غني^(٢).

قلت: وقول ابن مسعود هذا مقتبس من قول النبي ﷺ لأهل الصفة كما رواه عقبه بن عامر أنه ﷺ قال: (أيكم يجب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟) قلنا: يارسول الله نحب ذلك. قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)^(٣).

ولكن حتى لو سلمنا بصحة ورود (التغني) بهذا المعنى لغة، فهل هو المراد هنا؟ قال حرمله بن يحيى^(٤): سمعت ابن عيينة يقول: معناه يستغني به. فقال لي الشافعي: ليس هو هكذا، ولو كان هكذا لقال: يتغاني، إنما هو يتحزن ويترنم به^(٥).

-
- (١) هكذا في الفتح (٧٠/٩) وانظر غريب الحديث لأبي عبيد (١٦٩-١٧٢).
 - (٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ق ٤٩ / من نسخة ألمانيا) قال: حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن أبي اسحاق عن سليمان بن حنظلة عن عبدالله: وذكره بنحوه، وعزاه في فتح القدير (٣١١/١) إلى البيهقي في الشعب ولم أجده فيه.
 - (٣) مسلم في صلاة المسافرين (ص ٥٥٢).
 - (٤) أبو حفص التجيبي المصري صاحب الشافعي (ترجمته في تهذيب الكمال ٥/ص ٥٤٨).
 - (٥) فضائل القرآن لابن كثير (في آخر تفسيره /ص ٣٣).

قال حرملة: وسمعت ابن وهب^(١) يقول: يترنم به. وهكذا نقل
المزني^(٢) والربيع^(٣) عن الشافعي رحمه الله.

روى ابن أبي حاتم بإسناده عن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي
رحمه الله في حديث النبي ﷺ: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) قال: يقرأه
حدرأً وتحزينا^(٤).

وذكر الطبري عن الشافعي أنه سئل عن تأويل ابن عيينة التغني
بالاستغناء فلم يرتضه وقال: لو أراد الاستغناء لقال: لم يستغن وإنما أراد
تحسين الصوت^(٥).

قال أبو مجاهد: ثم إن سياق الحديث يأبى تفسير ابن عيينة، فإنه ورد
في معرض القراءة، ووصف فيه النبي ﷺ بحسن الصوت، وذكر فيه
استماع الله له، وجاء بعده في بعض الروايات ذكر الجهر بالقرآن^(٦)، فما

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه (تهذيب
التهذيب) (٧١/٦).

(٢) هو إسماعيل بن يحيى أبو إبراهيم صاحب الشافعي (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي
٢/ص ٩٣).

(٣) الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي وراوي كته (طبقات الشافعية الكبرى
٢/١٣٢).

(٤) مناقب الشافعي (ص/١٥٧).

(٥) انظر فتح الباري (٧١/٩).

(٦) قال البخاري في حديث أبي سلمة: «وقال صاحب له: يريد يجهر به» قلت: كأنها يريد
أنه تفسير منه للحديث، لكن جاء التصريح برفعه إلى النبي ﷺ في رواية مسلم من طريق
الأوزاعي بلفظ (ما أذن الله لشيء كأذنه لشيء يتغن بالقرآن يجهر به) (صحيح مسلم/
ص ٥٤٥).

شأن هذا كله بالمعنى الذي ذكره ابن عيينة رحمه الله؟ .

ثم إن في هذا الحديث ما يدل على الحث على تكلف التغني بالقراءة، فكأنه يقول: ليس منا من لم يتطلب الغنى بملازمة تلاوته، والمعنى هكذا فيه تكلف، وتكليف بما لا يطاق، إذا أن الغني لا يحصل بمجرد ملازمة القراءة لكل أحد؟! (١).

وهذا كله إذا كان مقصود ابن عيينة رحمه الله الاستغناء الذي هو ضد الفقر كما قرره أبو عبيد.

أما إذا كان المراد كما نقل ابن راهويه: عنه: الاستغناء المعنوي، بمعنى الاستغناء به عن غيره من كتب السابقين وأخبارهم، فهذا له وجه. ومن الاستغناء المعنوي بالقرآن، التغني به بمعنى الترم، لأن فيه انشغالاً بغناء القرآن عن غناء الشيطان.

ومما يرجح أن المراد بالتغني هنا المعنى الذي ذكره الإمام الشافعي رحمه الله وهو الترم بالقرآن وتحسين الصوت بقراءته ما يأتي:

أ - أن هذا المعنى هو الذي يناسب سياق الحديث كما ذكرنا.

ب - رواية عبد الأعلى عن معمر عن ابن شهاب للحديث بلفظ:

(ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي في الترم بالقرآن) أخرجه الطبري (٢).

(١) من الفتح بتصرف (٧٠/٩).

(٢) الفتح (٧١/٩).

وفي رواية عبد الرزاق عن معمر: (. . ما أذن لنبي حسن الصوت في الترنم بالقرآن) (١).

وهذا اللفظ عند مسلم من رواية محمد بن إبراهيم التميمي عن أبي سلمة: (. . ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن مجهر به) (٢).

وفي رواية عند ابن أبي داود، والطحاوي: (. . لنبي حسن الترنم بالقرآن) (٣).

ج - حديث فضالة بن عبيد وفيه التصريح باستماع الله للرجل حسن الصوت يقرأ القرآن، ولفظه لا يحتمل معنى آخر، فحديث الصحيح من هذا القبيل، بل النبي ﷺ أولى به وأجدر (٤).

د - ورد من قول النبي ﷺ الحث بلفظ صريح على الترنم بالقرآن وتحسين الصوت بقراءته، مما يدل على أنه المقصود.

من ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) (٥).

(١) كذا في الفتح (٧١/٩) والذي في المصنف (٢/ص٤٨٢) عبد الرزاق عن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليأذن للرجل يكون حسن الصوت - قال: حسبته - يتغنى بالقرآن).

(٢) مسلم / ص ٥٤٥ .

(٣) الفتح (٧١/٩).

(٤) ولهذا استشهد الحافظ ابن كثير بحديث فضالة على نصرة هذا المعنى (انظر فضائل القرآن / ص ٣١).

(٥) رواه أبو داود (٢/ص٧٤) والنسائي (٢/ص١٧٩) وابن ماجه (١/ص٤٢٦) والحاكم في مستدركه (١/٥٧٥) كلهم عن طلحة بن مصرف عن عبدالرحمن بن عوسجة =

وفي رواية : (فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً)^(١) .

ومنه حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
(تعلموا القرآن و غنوا به واكتبوه ، فوالذي نفسي بيده هو أشد تفصيلاً من
المخاض من العُقل)^(٢) .

= عن البراء ، ورواه أيضاً زاذان وأوس بن ضممعج ، وزاذان هو أبو عمر الضرير صدوق من
التابعين يقال إنه سمع خطبة عمر بالجابية (تهذيب التهذيب ٣/٣٠٢) .

(١) هذه رواية زاذان وأوس ، وهذه الزيادة تنفي مادعاها بعضهم من أن هذا الحديث
مقلوب فهو من قبيل قولهم : عرضت الحوض على الناقة (انظر التذكار للقرطبي / ص ١١٤)
وأوردوا روايات بلفظ (زينوا أصواتكم بالقرآن) أو (أحسنوا أصواتكم بالقرآن) فهذه الروايات
إن صحت نفهم منها نفس ما فهمناه من قوله ﷺ : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) من حيث
على الترنم به وتحسين الصوت بقراءته ، فمعنى (زينوا أصواتكم بالقرآن) أي حسنوها عند
قراءتكم للقرآن ، فإن الصوت الحسن والقرآن حليتان تزين كل واحدة منهما الأخرى ، ولا مريمه
في أن الصوت الحسن زينة وحلية للقرآن ، أي للقراءة ، كما قال الجزري في تعريف التجويد
من مقدمته :

وهو أيضاً حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة

وأما حديث البراء فصحيح ، قال الحافظ ابن كثير في إسناده النسائي وابن ماجه : هذا
إسناده جيد ، وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا ونقل الأزدني عن يحيى
ابن سعيد القطان أنه قال : سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمده . قال : وقال أبو عبيد
القاسم بن سلام : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال : نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث
(زينوا القرآن بأصواتكم) قال أبو عبيد : وإنما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث
الرخصة من رسول الله ﷺ في الألقان المبتدعة فلماذا نهاه أن يحدث به . قال الحافظ ابن كثير :
قلت ثم إن شعبة رحمه الله روى الحديث متوكلاً على الله كما روي له ، ولو ترك كل حديث
يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير ، بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها
على غير محاملها الشرعية المرادة - أي فهل تُترك هي أيضاً .

(٢) رواه ابن أبي شيبه ، هكذا ذكره القرطبي في التذكار (ص ١١٩) وقال : وقد احتج
أبو الحسن بن بطال لمذهب الشافعي رحمه الله تعالى فقال : وقد رفع الإشكال في هذه المسألة
مارواه ابن أبي شيبه . . فذكره . =

ومنه ماروي عن السائب^(١) قال: قال سعد^(٢): يا ابن أخي هل قرأت القرآن؟ قلت: نعم. قال: غنّ به، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (غنوا بالقرآن ليس منا من لم يتغن بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدرُوا على البكاء فتباكوا)^(٣).

ومنه ما رواه ابن أبي مليكة قال: قال عبيد الله بن أبي يزيد: مر بنا أبو لبابة^(٤) فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رث البيت رث الهیئة، فانتسبنا له فقال: تجار كسبة. فسمعتة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) قال: فقلت لابن أبي مليكة -

= وعزاه الحافظ ابن حجر أيضاً إلى ابن أبي شيبة ولكن لفظه كما أورده: (تعلموا القرآن وغنوا به وأفشوه) وقال: كذا وقع عنده - أي ابن أبي شيبة - والمشهور عند غيره في الحديث (وتغنوا به) (الفتح ٧١/٩).

قلت: والعجيب أننا بمراجعة المصنف (طبعة الدار السلفية في بمباي) لانجد في الحديث لا هذا الذي ذكره الحافظ ابن حجر ولا ذلك الذي ذكره القرطبي، فلا ندري هل استوفى المحققون الهنود نسخ الكتاب؟ (انظر المصنف ٤٧٧/١٠)، والحديث رواه أبو عبيد بلفظ (تعلموا كتاب الله واقتنوه - قال وحسبت أنه قال: وتغنوا به...) ورواه مرة بغير شك، وهكذا رواه النسائي في فضائل القرآن (ص ٨٦) عن موسى بن علي.

(١) هو عبيد الله بن أبي نهبك (انظر التقريب ٤٥٧/١، ٤٨١).
(٢) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي بعض الروايات عن سعد بن مالك وهو نفسه ابن أبي وقاص.

(٣) فضائل القرآن لابن كثير (في آخر تفسيره / ص ٣٤، ٣٥) وهذا الحديث رواه أبو داود (٢/٧٤) وابن ماجه (١/ص ٤٢٤) بلفظ (تعنوا بالقرآن...) من طريق أبي رافع عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب، وكذا البيهقي في الشعب (١٥/٥) وانظر مستدرک الحاكم (١/٥٦٩).

(٤) أبو لبابة الأنصاري، اسمه بشير وقيل رفاعه، ابن عبد المنذر، صحابي.

أي قال له الراوي عنه وهو عبد الجبار ابن الورد - : يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال : يحسنه ما استطاع^(١).

ففي هذا الحديث تفسير من الراوي لقوله (يتغنى) بتحسين الصوت .
ومنه ثناؤه على بعض القراء من أصحابه ذوي الأصوات الحسنة ،
وأرباب الترنم بالقرآن ، فقد أقرهم النبي ﷺ على تلك الحال ، وأثنى على
صنيعهم مما يدل على أنه المقصود :

منهم عبدالله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه : طلب منه النبي ﷺ أن
يقرأ عليه ، فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : (إني أحب أن أسمعه
من غيري) فقرأ عليه من سورة النساء حتى إذا أتى إلى هذه الآية : « فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » قال : (حسبك
الآن) قال ابن مسعود : فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان . متفق عليه^(٢) .

وثبت عنه ﷺ أنه قال : (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل
فليقرأه ، بقراءة ابن أم عبد)^(٣) .

وهذا لقب عبد الله بن مسعود ، وكان معروفاً رضي الله عنه بإتقانه
للقراءة وحسن صوته ، وقوة تأثيره ، ألا ترى كيف أثرت قراءته على النبي
ﷺ حتى ذرفت عيناه .

(١) أبو داود (٢/ص٧٤) .

(٢) البخاري (٨٥/٩) ومسلم (٥٥١) .

(٣) ابن ماجه في المقدمة (١/ص٤٩) وأحمد في مسنده في مواضع عن عمر بن الخطاب (انظر
١/ص٢٦٥ / بتحقيق أحمد شاكر) .

وأثنى ﷺ على أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس فقال له : (يا أبا موسى لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود) هكذا في البخاري مختصراً^(١).

وفي مسلم أنه ﷺ قال له : (لورأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود)^(٢).

وفي رواية أن أبا موسى قال للنبي ﷺ : أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحببتهما لك تحبيراً^(٣).

وعن أبي يعلى : أن النبي ﷺ وعائشة مرآ بأبي موسى وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح لقي أبو موسى رسول الله ﷺ فقال : (يا أبا موسى مررت بك البارحة لو رأيتي وأنا أستمع لقراءتك لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود) فقال أبو موسى : أما إني لو علمت بمكانك لحببته لك تحبيراً^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه : أن أبا موسى قام ليلة يصلي، فسمع أزواج النبي ﷺ صوته - وكان حلو الصوت - فقمين يستمعن، فلما أصبح قيل له، فقال : لو علمت لحببته لهن تحبيراً^(٥).

(١) انظر الفتح ٩٢/٩.

(٢) صحيح مسلم / ص ٥٤٦ .

(٣) رواها بقي بن مخلد (انظر فضائل القرآن لابن كثير/ ص ٣٥).

(٤) مسند أبي يعلى (١٣/٢٦٦) وانظر الجزء السابع منه / ص ١٣٤، ١٣٥. وشرح السنة للبغوي ٤٩٢/٤.

(٥) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم (الفتح ٩٣/٩). وانظر طبقات ابن سعد (٤/١٠٨).

وفي رواية: لو علمت لشوقت تشويقاً وحبرت تحبيراً^(١).
 والمزامير جمع مزمار، شبه حسن صوته، وحلاوة نغمته بصوت
 المزمار^(٢) والمراد بآل داود: داود نفسه، فالآل هنا مقحمة.
 وقد كان أبو موسى الأشعري أوتي حظاً عظيماً من حلاوة الصوت
 وحسن الأداء وجمال الترجم بالقرآن، فشبّه النبي ﷺ حاله هذه بحال داود
 عليه السلام وداود أوتي في هذا الباب شيئاً عجيباً^(٣).
 أما أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فأخرج ابن أبي داود من طريق
 أبي عثمان النهدي^(٤) قال: دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت
 صوت صَنْجِ قَط، ولا بَرَبِطِ قَط، ولا نايٍ أحسن من صوته^(٥).
 ورواه أبو عبيد بلفظ: كان أبو موسى يصلي بنا، فلوقلت إني لم أسمع
 صوت صَنْجِ قَط، ولا بَرَبِطِ قَط، ولا شيئاً أحسن من صوته^(٦).
 ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى قال:

- (١) رواها أبو عبيد في فضائل القرآن (ق١٦ / من نسخة ألمانيا) انظر التذكار للقرطبي / ص١١٧.
- (٢) النهاية لابن الأثير (٢/٣١٢).
- (٣) سيأتي شيء من وصف ذلك في باب القراءة بالألحان.
- (٤) هو عبد الرحمن بن مل.
- (٥) انظر فضائل القرآن لابن كثير (ص٣٥) وطبقات ابن سعد (٤/١٠٨).
- (٦) وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ق١٧) قال الحافظ في الفتح (٩/٩٣): سنده صحيح، وهو في الحلية لأبي نعيم. (انظر الحلية ١/٢٥٨)، والصَّنَجُ قال: بفتح المهملة وسكون النون بعدها جيم، هو آلة تتخذ من نحاس كالطبقتين يضرب أحدهما بالأخر، والبَرَبِطُ: بوزن جعفر هو آلة تشبه العود، فارسي معرب، والناي: بنون بغير همز هو المزمار.

ذكرنا ربنا يا أبا موسى . فيقرأ عنده^(١) .

وأثنى رسول الله ﷺ على سالم مولى أبي حذيفة، وكان من قراء الصحابة .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئتُ، فقال : (أين كنتِ؟) قال : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد . قالت : فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم قال : (هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا)^(٢) .

هـ - ورد من فعل النبي ﷺ ما يدل على مشروعية الترنم، وتحسين الصوت بالقرآن :

من ذلك ما سبق ذكره، وهو حديث جبير بن مطعم، وحديث البراء ابن عازب^(٣) ومنه ما ورد عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته - أو جملة - وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قراءة لينة، يقرأ وهو يُرجع^(٤) .

وفي رواية قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقه له يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قال : فرجع فيها .

(١) فضائل القرآن لابن كثير (ص ٣٥) .

(٢) ابن ماجه (١/ص ٤٢٥) وانظر فضائل القرآن لابن كثير (ص ٣٥) .

(٣) انظر/ ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٤) البخاري في فضائل القرآن من صحيحه، باب الترجيع (انظر الفتح ٩/٩٢) .

قال ثم قرأ معاوية^(١) يحكي قراءة ابن مغفل وقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعتُ كما رجَعَ ابنُ مغفل يحكي النبي ﷺ .
فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟^(٢) .
قال: ء ، ء ، ء ، ثلاث مرات^(٣) .

قال بعضهم^(٤): يحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة كما يعترى رافع صوته إذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هذا المركوب، وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه / هـ .

قلت: ياعجباً من هذا التكلف في ضرب الاحتمالات، لماذا اللجوء إلى هذا الاحتمال، مع توافر النصوص الأخرى التي دلت على مشروعية التغني والترنم بقراءة القرآن، وعلى أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك .

والترجيع هو التغني والترنم، أو هولون من ألوانه، وفي حديث حذيفة وسيأتي^(٥) قال النبي ﷺ: (. . . وسيجيء بعدي أقوام يُرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح . .) أي يترنمون بالقرآن على نغمات المغنين والنواحين، فإذا كان هذا هو الترجيع المحرم، فذاك هو الترجيع المشروع .

وما يدل على أن المراد هنا بالترجيع: الغناء والترنم، قول الراوي نفسه

(١) هو معاوية بن قرة راوي الحديث عن عبدالله بن مغفل .

(٢) القائل هو شعبة من رجال السند .

(٣) البخاري في التوحيد من صحيحه (٢١٣/٨) والحديث في فضائل القرآن أيضاً (انظر لفتح ٩٢/٩) .

(٤) هو القرطبي في التذكار (ص ١٢٠) .

(٥) في باب القراءة بالألحان .

وهو معاوية بن قرة: لولا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن^(١).
ويدل عليه أيضاً ماروى عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: كنتُ
أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يُرَجِّع القرآن^(٢).
فإذا كان ذلك الترجيع بسبب اهتزاز الناقة فهذا بسبب ماذا؟

ثم هؤلاء الذين يفرون من سنة الترنم بالقرآن، ويتأولون ماورد فيه
من نصوص بهذه التأويلات المتكلفة ينسون أمراً هاماً في التشريع، وهو أن
الله تعالى لما حرم على الإنسان مزار الشيطان، أباح بدلاً منه مزامير القرآن
وشرعها له، أي شرع له التغني بالقرآن والترنم به، ليشغل بهذا عن ذاك،
فإن النفس البشرية تميل إلى الغناء وسماع الأصوات الحسنة بفطرتها
وجبلتها.

قال ابن الأعرابي^(٣): كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى، وإذا
جلست في أفنيتها، وفي أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن
يكون هجيراًهم^(٤) القراءة مكان التغني^(٥).

فعلى المرتل للقرآن أن يبذل جهده في الترنم به وتحسين صوته بتلاوته،
وأن يجعل ذلك ديدنه وعادته، اتباعاً لسنة النبي ﷺ، وامثالاً لأمره.

(١) انظر الأمر بالمعروف للخلال (ص ١٧٣)، وفتح الباري (٩٢/٩).

(٢) الطحاوي في معاني الآثار (٣٤٤/١).

(٣) هو محمد بن زياد اللغوي أبو عبدالله، ت سنة (٢٣١) هـ (سير أعلام النبلاء ٦٨٧/١٠).

(٤) هجّيراه: بكسر الهاء والجيم المشددة: الدأبُ والعادة.

(٥) لطائف الإشارات للقسطلاني (٢١٣/١) وفتح الباري (٧٠/٩).

فإن كان حُسْنُ الصوتِ خِلْقَةً له فإن ذلك سوف يسهل عليه . وإذا لم يكن حَسَنَ الصوتِ فعليه أن يتكلف تحسينه ، ويحاوله حتى يصبح سليقةً له بالدُرْبَةِ والممارسة ، كما قال ابن مليكة رحمه الله لما سئل : أرايتَ إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال : يحسنه ما استطاع .

ثم إن تكلف هذا الأمر منه قدر مشروع ، سواء لمن كان حاله كما وصفنا ، أو كان حَسَنَ الصوتِ أصلاً ، فإن له أن يتكلف تحسينه ، والترنم به أكثر ، بدليل قول أبي موسى رضي الله عنه للنبي ﷺ : لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً .

والتحبير معناه : التزيين والتحسين والتجميل ، ومعنى كلامه رضي الله عنه : أي لزدت في تحسين صوتي والترنم بقراءتي ، وذلك لا يكون إلا بتكلف قدر زائد على الطبيعة ، أي قدر زائد على ذلك سمعه النبي ﷺ (١) .

(١) وأكثر من يحتاج إلى تكلف هذه السنّة المتعلّم المبتدئ ، فإنه سيلقى جهداً ومشقة حتى يسلس له قيادُ القراءة والترنم والتنغيم ، ولا بأس بذلك حتى يتقن ، فإذا أتقن فإن التغمي والتجويد يكونان حينئذ سجيّتين له فلا يحتاج إلى تكلفهما ، وإنك لتسمع بعض أهل الحدر والتحزين يعمرّون المحاريب بترتيل يحرك القلوب ، في غاية من الحسن والروعة ، أداءً ، وصوتاً ، وتلحيناً ، وراحلةً ، ولا تحس بأنه يتكلف ، لأنه متقن ، بينما تسمع آخر فإذا به يتكلف حتى يتعب السامع معه ، وماذا لك إلا لعدم إتقانه .

القِرَاءَةُ بِالْأَلْحَانِ

هذه مسألة مشهورة لدى العلماء، واللحن من معانيه في اللغة: التطريب والغناء، والمقصود هنا شيء أكثر من ذلك، وهو أن الأصوات عند التغني لها أنواع ومذاهب، تُسمى أنغاماً أو ألحاناً، ويُميز كل نوع منها عن الآخر باسم اصطلاحى، ويُسمى مجموع هذا بقانون النغم، كما سماه الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١) والشهاب القسطلاني^(٢)، وهذا القانون هو مجرد ضبط لأنواع الأصوات، وألوان النغمات والألحان، كما هو الشأن في (العروض) الذي هو قانون الشعر، حيث تضبط به الأوزان، وكما أن قانون الشعر هذا لا يختص بأهل الفسق والمجون من الشعراء، وهم أكثر من استعمله، فكذلك قانون النغم لا يختص بأهل الموسيقى وأهل الغناء الشيطاني.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن داود عليه السلام كان يقرأ الزبور بسبعين لحناً، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم، وكان إذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت^(٣).

قوله: «سبعين لحناً» هذا العدد معناه أن كل لحن منها يتميز على الآخر، فهو لون من ألوان النغمات، ونوع من أنواع الأصوات، وهذا هو مانحن بصدده.

(١) فتح الباري (٧٢/٩).

(٢) لطائف الإشارات (٢١٧/١).

(٣) فتح الباري (٧٢/٩).

فإذا تَغَنَّى المُرْتَل بالقرآن العظيم هل له أن يتغنى بهذه الألحان؟
ويستعين بقانونها؟ .

الأصل في هذا الباب حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين، وسيجيء بعدي أقوام يُرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم)^(١).

في هذا الحديث: الحث على التغني بالقرآن بألحان العرب وأصواتها، والنهي عن التغني به بألحان الفساق من أهل الغناء الشيطاني، وألحان الرهبان في كنائسهم، والأخبار في بيعهم، من اليهود والنصارى، وألحان أهل النوح من الندابين، ويدخل فيهم ألحان الروافض في نياحاتهم التي يقيمونها في عاشوراء، فإنها يجتمع فيها وصفان من الأوصاف المعتبرة في التحريم، وهما: أنها ألحان أعجمية، وأنها من ألحان أهل النوح.

٢

١

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل (انظر مختصره/ص٥٨) والطبراني في الأوسط (انظر مجمع الزوائد ١٦٩/٧) والبيهقي في الشعب (٥٨٠/٥) كلهم من طريق بقية قال: ثني حصين بن مالك قال: سمعت شيخاً يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة . قال الفسوي في (المعرفة والتاريخ ٤٨٠/٢ / طبعة الدار): قال بقية: ليس له إلا حديث واحد وهو من أهل الإفريقية. وقال الذهبي في الميزان (٥٥٣/١): تفرد عنه بقية ليس بمعتمد والخبر منكر. يقصد حصين بن مالك الفزاري، وكذا في اللسان (٣١٩/٢)، وقوله: الخبر منكر لأنه لم يتابع حصيناً أحد. والعلة في هذا الخبر ليست هذه، وإنما هي جهالة أبي محمد، لكن المتن صحيح وله شواهد كثيرة.

فهذا الحديث إذن ليس فيه تحريم القراءة بمطلق الألحان، وإنما فيه نهي وأمر، أما الأمر فبالألحان والأصوات العربية، وأما النهي فعن الألحان والأصوات الأعجمية، والكنسية، والألحان أهل التطريب الشيطاني، والألحان أهل النياحة.

فإذا فقهنا هذا التاصيل المأخوذ من هذا الحديث، ومن غيره من النصوص التي تشهد له، نقول:

إن تحسين الصوت بالقرآن على وجه الإجمال لانزاع فيه بين العلماء^(١) لكن الاختلاف بينهم في القدر الزائد على ذلك، وهو الاستعانة بالألحان وقانونها في تحسين الصوت والتغني بالقرآن.

فذهب إلى إباحة ذلك أبو حنيفة وأصحابه^(٢)، والشافعي وأصحابه^(٣)، بل قال الفوراني^(٤) من الشافعية: يستحب.

ومن ذهب إلى الإباحة: ابن المبارك، والنضر بن شميل، وعطاء قال محمد بن نصر: قال ابن جريج: قلت لعطاء: القراءة على الغناء؟ قال: وما بأس ذلك؟^(٥).

وذهب إلى الكراهة: مالك، وأحمد في رواية، وسعيد بن المسيب،

(١) انظر فتح الباري (٧٢/٩) والتهيان للنووي (ص ٥١).

(٢) فتح الباري (٧٢/٩).

(٣) السنة للبعوي (٤٨٧/٤) وانظر فتح الباري (٧٢/٩).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران أبو القاسم الفوراني المروزي (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠٩/٥).

(٥) انظر مختصر قيام الليل (ص ٥٨/ باب الترجيع في القراءة).

وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن البصري، وابن سيرين،
والنخعي. وهو مروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وحكاه ابن بطلال^(١) والماوردي^(٢) والبُنْدَنِيْجِي^(٣) والغزالي من
الشافعية، وعياض^(٤) والقرطبي^(٥) من المالكية، وصاحب الذخيرة^(٦) من
الحنفية.

واختاره أبو يعلى^(٧) وابن عقيل^(٨) من الحنابلة.
ونقل عبد الوهاب المالكي^(٩) التحريم عن مالك، وحكاه أبو الطيب

(١) هو أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال القرطبي المالكي، ت سنة (٤٤٤هـ) ترتيب
المدارك ٨/١٦٠).

(٢) علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي (انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي
٥/٢٦٧).

(٣) هو الحسن بن عبد الله بن يحيى أبو علي، ت سنة (٤٢٥هـ) (طبقات الشافعية الكبرى
٥/٣٠٥).

(٤) عياض بن موسى أبو الفضل اليحصبي (الديباج المذهب ٢/٤٦).

(٥) صاحب التفسير واسمه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي
(الديباج المذهب ٢/٣٠٨).

(٦) هو محمود بن أحمد بن عبدالعزيز بن عمر بن مازة، برهان الدين، صاحب المحيط
البرهاني، والذخيرة، وغيرهما من المصنفات (انظر الفوائد البهية / ص ٢٠٥) و(كشف الظنون
١/٨٢٣).

(٧) محمد بن الحسين أبو يعلى القاضي، ت سنة (٤٥٨هـ) (المنهج الأحمد ١/١٠٥).

(٨) أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي، ت سنة (٥١٠هـ) (طبقات الحنابلة لابن رجب
١/١٤٢).

(٩) عبد الوهاب بن نصر البغدادي القاضي أبو محمد المالكي، ت سنة (٤٢٢هـ) (الديباج
المذهب ٢/٢٦).

الطبري^(١) والماوردي، وابن حمدان الحنبلي^(٢) عن جماعة من أهل العلم .
والذي نختاره بعد دراسة النصوص وأقوال السلف: أن الاستعانة
بالألحان وقانونها لتحسين الصوت بالقرآن لا بأس به بشروط أربعة:
أولها: ألا يطغى ذلك على صحة الأداء، ولا على سلامة أحكام
التجويد فإنه إذا ماسبب التلحين إخلالاً بأحكام الأداء، وقواعد التجويد
والقراءة حُرْم^(٣).

ثانيها: ألا يتعارض التلحين والتنغيم مع وقار القرآن وجلاله، ومع

(١) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر القاضي الشافعي، ت سنة (٤٥٠هـ) (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٢/٥).

(٢) أحمد بن حمدان بن شبيب الحرازي نجم الدين، ت (٦٩٥) (المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد/ لابن مفلح ٩٩/١).

(٣) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد أن ساق في الفتح (٧٢/٩) اختلاف العلماء في القراءة بالألحان: «ومحلى هذا الاختلاف إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه، فلو تغير قال النووي في التبيان أجمعوا على تحريمه». وعبارة النووي في التبيان (ص/٥١): «... قال العلماء رحمهم الله: فيستحب تحسين الصوت بالقراءة ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام، وأما القراءة بالألحان فقد قال الشافعي رحمه الله في موضع: أكرهها، وقال في موضع: لا أكرهها. قال أصحابنا: ليست على قولين بل فيه تفصيل: إن أفرط في التمطيط فجاوز الحد فهو الذي كرهه، وإن لم يجاوز فهو الذي لم يكرهه. وقال أفضى القضاة الماوردي في كتاب (الخواوي): القراءة بالألحان الموضوع إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه أو قصر ممدود أو مد مقصور أو تمطيط يخفي به بعض اللفظ ويلتبس المعنى فهو حرام يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج والله تعالى يقول: ﴿قرءاناً عربياً غير ذي عوج﴾، قال: وإن لم يخرج اللفظ عن لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحاً لأنه زاد على الحائز في تحسينه ١/هـ.

الخشوع والأدب معه، فإن بعض هذه الألقان لا يليق بالقرآن، وهي التي يكون فيها تطريب لا يبعث على الخشوع والخشية والتذكر، بل هو هو وعبث، ويسبب للسامع تفريحاً وترقيصاً لا يليقان بمقام القرآن، بينما هناك ألقان أخرى فيها تحزين وخشوع، تناسب مقام القرآن الذي هو مقام خشوع وتذكير. قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق...﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشبهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله...﴾ (٣).

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (إن أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله) (٤).

(١) الحديد : ١٦ .

(٢) الحشر : ٢١ .

(٣) الزمر : ٢٣ .

(٤) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان عن عائشة (٥٨/٢) والطبراني في الكبير عن ابن عباس مرفوعاً (انظر مجمع الزوائد) ورواه من طريقه أبو نعيم في الحلية (١٩/٤)، ورواه الدارمي عن عطاء ولم يذكر ابن عباس (السنن ٣٣٨/٢) وابن أبي شيبة (٤١٤/٥) بنحوه، ثم رواه بلفظ: (كان يُقال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أحشاهم لله . ورواه ابن ماجه =

وفي هذا المقام على المرتل الذي يترنم بقراءته على بعض الألحان، أن يجتنب التشبه بمن ورد ذكرهم في حديث حذيفة، فيحرص على الابتعاد عن اللحن الخاصة بالأعاجم، لأن القرآن عربي، فليسلك به مذاهب العرب في لحنهم ونغماتهم، مثل لحن القراء المصريين، أو لحن قراء الحجاز، ونحو ذلك، ويحرص على الابتعاد عن التشبه بحال أهل الغناء الشيطاني من الترقصات والتأوهات، والتلاعبات والخلاعات، والمدود الزائدة والتمطيطات، وأكل الحروف والإخلال بالأحكام والصفات، مما يتنافى مع جلال كلام الله العلي العظيم، ويحرص على الابتعاد عن التشبه بإيقاعات التراتيل الكنائسية والأنغام اليهودية والنصرانية فإن مطلق التشبه بهم حرام، فكيف به في هذا المقام؟! .

ويحذر من الانزلاق إلى النواح حتى لا يتشبه بأهل النوح من الذين لا يؤمنون بقدر الله ولا يرضون بحكمه .

ثالثها : أن يميل عند القراءة بالألحان إلى التحزين، فإنه اللحن المناسب لمقام القرآن، وهو اللحن الداعي إلى الخشوع والتذكر، والجالب للخشية والبكاء، ولذا فسر بعض السلف التغني في الحديث بالتحزين^(١) . يدل على هذا حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال

= عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً (٤٢٥/١) وانظر أخلاق حملة القرآن للأجري بتحقيقنا /ص٧٧ .

(١) فسرهُ بذلك الشافعي كما سبق (انظر/ص٨٠) والليث بن سعد أخرجه عنه أبو عوانة قال : (يعنى به) يتحزن به ويرقق به قلبه (انظر فتح الباري ٧٠/٩) .

رسول الله ﷺ : (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا)^(١).

وعن عبدالله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : (اقرأوا القرآن بحزن فإنه نزل بحزن)^(٢).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحسن الناس قراءة من قرأ يتحزن به)^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه قرأ سورة فحزَّنها شِبْهَ الرَّثْمِيِّ^(٤).

ولكن على المُرتِّل ألا يبالغ في ذلك، حتى لا يقع في لحون النياحة المنهي عنها، وهذا مقام يضبطه المتقنون، ويعجز عنه المبتدئون^(٥).

(١) رواه أبو داود (٧٤/٢) والدارمي (٣٣٨/٢) وأحمد (١٧٥/١) والحاكم (٥٦٩/١) من طرق عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن أبي نبيك عن سعد بن أبي وقاص، ورواه ابن ماجه عن ابن أبي مليكة عن عبدالرحمن بن السائب عن سعد (٤٢٤/١). والأجري في أخلاق حملة القرآن (ص ٧٨) عن اسماعيل بن رافع عن ابن أبي مليكة عن عبدالرحمن بن السائب وقال: عن سعد بن مالك بدلاً من سعد بن أبي وقاص، واسماعيل بن رافع أبو رافع المدني ضعيف الحفظ، والحديث لا تخلو طرقة كلها من ضعف. لكنه يتقوى بها (وقد سبق الكلام عليه ص ٨٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (انظر مجمع الزوائد ١٦٩/٧). وأبو نعيم في الحلية (١٩٦/٦) والأجري في أخلاق حملة القرآن (ص ٧٨)، وفي أسانيدهم كلهم إسماعيل بن سيف، وهو ضعيف.

(٣) الطبراني (انظر مجمع الزوائد ١٧٠/٧) و(فضائل القرآن لابن كثير/ ص ٥٥) وفي إسناده ابن لهيعة.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧٠/٩): رواه ابن أبي داود بإسناد حسن.

(٥) ومن أحسن من سمعته يتقن نعمة التحزين من قراءة الإذاعات المشاوي =

رابعها: أن يأخذ من الألحان، ويستعين بها، على قدر حاجته إلى تحسين صوته، وتزيين ترنمه بالقرآن، أو قدر حاجته إلى زيادة هذا التحسين والترنم - كما قال أبو موسى الأشعري - ، دون أن يخرج به ذلك عن هذا الحد المشروع، إلى التكلف والتعسف المعروفين ممن اتخذ هذا الأمر صنعة وحرفة يتكسبون بها ويأكلون، من قرآء المآتم، وكثير من قرآء الإذاعات، يقرأ الواحد منهم بتعسف وتصنع، حتى تنتفخ أوداجه، وتجحظ عيونه وتبرز عروقه، يقرأ إشباعاً للشهوة، أو سعياً للشهرة، أو طمعاً في المال، والذين يعجبهم شأن هؤلاء مثلهم، إنما يسمعون أصواتهم، ويستحسنون صراخهم، أما القرآن، فلا يفقهون من آياته شيئاً.

قال القرطبي: روي عن القاسم بن محمد، عن مالك: أنه سئل عن

= رحمه الله، وعن يتقن القراءة بالألحان مع المحافظة على الشروط المذكورة الشيخ محمد رفعت رحمه الله، ولصوته وقراءته تأثير عجيب على النفس ولعل سر ذلك في اتقانه، وفي صدقه وخشوعه، فهو يقرأ من قلبه، لا من حنجرتة كما هو شأن أكثر قرآء الإذاعات، لا يجاوز القرآن حناجرهم، وعن يرتل دون أن يلتزم بالألحان محمود خليل الحصري فترتيله مناسب للمتعلمين المبتدئين، ومنهم عبد الباسط عبدالصمد فإنه مع جمال صوته لا يتقن الألحان، وعن يتكلف الألحان ويبالغ في ذلك حتى يكاد أن يخل أحياناً بالشروط مصطفى إسماعيل، وأسوأ منه في ذلك أبو العينين شعيشع، وأسوأ منها الطبلاوي فإنه يخل كثيراً بقواعد الأداء وبالحرورف، خاصة الرءاء، وأما أشنع مثال على التطريب المذموم المجمع على تحريمه فما سمعته من شريط لِدَعِي يُسمى (عتر) آناه الله صوتاً خللاً، وجهلاً فادحاً بالتجويد، وجرأة بالغة على اللعب بالقرآن، وقد سمعت شيخ المقارئ المصرية السابق العلامة الشيخ عامر بن السيد عثمان المدفون ببيق الغرقد - رحمه الله - سمعته يقفي بقتله إذا لم يتب .
وإنما مثلت بقرآء الإذاعات لشهرتهم، وسعاع الناس لأصواتهم، وانتشار ذلك بينهم .

الألحان في الصلاة فقال: لا يعجبني. وقال: إنها هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم^(١).

هذا القول الذي اخترناه نرى أنه الصواب، وهو قول وسط بين طرفين، عدل بين نقيضين، بين من يشدد في هذه المسألة ويغلق بابها بالكلية^(٢) وبين من يترخص فيها ويتوسع بدون ضوابط.

وهو قول لم نبتدعه، بل سبقنا إليه جمع من أهل العلم، وقد ذكرنا لك أن بعض الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والحنابلة يقولون بالاستحباب وليس بالإباحة فقط^(٣).

وهذا الذي رجحناه هو اختيار النووي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، تأمل كلامه، فبعد أن ساق كلاماً طويلاً في (التغني) وبعد أن لخص مذاهب الفقهاء في القراءة بالألحان، بين ما ترجح لديه فقال:

(١) مقدمة التفسير (١/١٠).

(٢) إن أسلوب سد الأبواب لانراه مفيداً، خاصة في زماننا هذا، فقد اشتدت حاجة الناس فيه إلى (البديل) الشرعي الذي يستغنون به عن مزمар الشيطان الذي استفحل أمره وانتشر، فهل من الحكمة أنه بينما يقف العلماء عاجزين عن إزالة هذا المنكر الذي فتن به كثير من الناس، يغلقون باباً شرعياً أتاحه الشارع الحكيم؟ إن التشديد في مسألة القراءة بالألحان وتحريمه على القراء، كان من نتائجه عندنا إغراض طلبه العلم - أعني الحفاظ منهم - عن إجادة الترم، وتجبير التغني، حتى يحركوا القلوب، فتصدّر للقراءة - خاصة في المحاريب - من لم يتقن ذلك، فلم يحركوا القلوب، بل أتعبوا السامعين وعذبوهم، وبعض الأصوات (المتصدّرة) أصوات مبتدئين لم تصقل مواهبهم، ولم تحب تلاوتهم. وأعجب من ذلك أن التشديد فرّخ تشديداً آخر، فوجد من طلبه العلم من يعدّ قواعد الأداء والتجويد بدعة، فإذا كان التجويد بدعة، والقراءة بالألحان بدعة، فأعان الله السامعين.

(٣) راجع / ص ٩٥

والذي يتحصل من الأدلة أن حُسْنَ الصوتِ بالقرآن مطلوبٌ، فإن لم يكن حَسَنًا فليحسُنْه ما استطاع، كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح، ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحَسْنَ الصوتِ يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحَسَنِ ربما انجبر بمراعاتها، ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسِينُ الصوت بقبح الأداء، ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام، لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء^(١) فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره، لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت، ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء، والله أعلم^(٢).

قال أبو مجاهد: وما ورد عن بعض السلف: سواء كان من الصحابة كأنس رضي الله عنه، أو من بعدهم كسعيد بن المسيب، ومن في طبقتهم، أو من بعدهم كمالك وأحمد ومن في طبقتهم، من كراهة قراءة القرآن بالألحان، يُحمل على ما كان فيه إخلال بشرط الأداء كما قال الحافظ، أو كان من باب التطريب المنافي لمقام القرآن ووقاره كما بينا، أو كان فيه مشابهة لمن ذكروا في حديث حذيفة، وليس مرادهم منع القراءة بمطلق الألحان^(٣).

(١) يقصد بالأداء وشرطه قواعد التجويد وأحكام القراءة، من تحقيق الحروف من مخارجها، وتحقيق صفاتها، واستيفاء أحكامها: من فك وإدغام، وترقيق وتفخيم، ومد وقصر، وغن، ونحو ذلك.

(٢) فتح الباري (٧٢/٩).

(٣) لا يتصور أن يترنم القارئ بالقرآن ويتغنى به ولا يوافق ذلك لحناً من هذه =

والدليل على ذلك اختلاف النقل عن الإمام أحمد، وهو من أشد من منع ذلك، واختلافه أيضاً عن الإمام الشافعي وهو من أوسع من أباحه، فهذا الاختلاف هو من باب اختلاف حالين، وليس من باب اختلاف قولين، كما قرره النووي.

روى الخلال أن رجلاً سأل الإمام أحمد فقال: ماتقول في القراءة بالألحان؟ فقال له أبو عبدالله: ما اسمك؟ قال: محمد، قال: فيسرك أن يُقال: ياموحد^(١). وروى عن أبي بكر المروزي قال: سمعت عبدالرحمن المتطرب يقول: قلت لأبي عبدالله في قراءة الألحان فقال: يا أبا الفضل اتخذه أغاني لاتسمع من هؤلاء^(٢).

فالخبر الأول يتناول من قرأ بالألحان فأخل بشرط الأداء، لأن من قال: موحد، فقد زاد حرفاً، وهذا محرم بالاتفاق. والخبر الثاني فيمن طرَّبَ بها لا يليق بمقام القرآن من ألحان الفساق أهل الغناء الشيطاني، التي هي من الباطل، واللهو. وهذا هو ما يُفهم أيضاً من إنكار القاسم بن محمد على رجل قرأ في

= الألحان المعروفة في قانون النغم، شعر بذلك أم لم يشعر، تعمله أم لم يتعمده، ويبدو أن كثيراً ممن يشدد في هذه المسألة من أهل العصر دخل الألفُ والعادة في أحكامهم، فقد سمعت أحدهم يستنكر أذان مؤذن بمسجد النبي ﷺ حُنْ في أذانه إلى حد التمطيط، وبالغ في ذلك، والعجب ليس من إنكاره على هذا المؤذن، ولكن من عدم إنكاره على مؤذن آخر كان يؤذن بالجامع الكبير بالرياض، مع أنه يفعل نفس الشيء، يلحن ويمطط، بل إنني عدت يوماً طول مدَّة للألف من لفظ الجلالة في قوله (الله أكبر) فوجدته أكثر من ثلاثين حركة، مع أن المد الذي في هذه الألف طبيعي لا يجوز مده أكثر من حركتين بإجماع القراء.

(٢، ١) الأمر بالمعروف للخلال / ص ١٦٩، ١٧٧.

مسجد النبي ﷺ فطربَ فقرأ القاسم هذه الآية: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾^(١).

إذا يبدو هذا المعنى من استشهاده بهذه الآية، ويبدو أن الرجل سلخ قراءته من بعض الأغاني المحدثه من ألحان أهل الفسق والكبائر. أما إذا قرأ الرجل بشيء من هذه الألحان قراءة سهلة حزينة، وحرك بذلك القلوب فهل يمنع هذا أحد؟.

قال الخلال: أخبرني أبو بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله ونحن راجعون من العسكر يقول لرجل: لو قرأ. وجعل أبو عبد الله ربا تغرغرت عيناه^(٢).

قال الخلال: وكنت أرى أبا بكر المروزي إذا جاء من يقرأ القراءة السهلة الحزينة يأمره فيقرأ، وكان أكثر ما أراه يقول له: اقرأ: ﴿إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾^(٣).

ومعروف أن القراءة الحزينة لحن من الألحان، ولون من الأصوات. فلعل مراد الإمام أحمد وغيره من السلف من التشديد في هذه المسألة منع التكلف الزائد الذي يخرج القراءة عن حدها، وليس منع التنغيم والتلحين مطلقاً، لأن القارئ إذا ترنم بالقرآن وتغنى به لا بد أن يوافق صوته لحناً من هذه الألحان الموضوعه المعروفة في قانون النغم، سواء تعمد

(١) فصلت، ٤٢، والخبر عند الخلال / ص ١٧٦.

(٢) نفس المصدر / ص ١٧٨.

(٣) نفس المصدر.

ذلك أم لم يتعمده، فإذا تعمده وكان متقناً فالغالب أنه يزيد قراءته حُسناً على حُسْن، فما بأس ذلك كما قال عطاء^(١).

هذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: لو علمت أنك تسمع قراءتي لحببتها لك تحبيراً. أي لتكلفت تحسينها أكثر مما سمعت، مع أن الذي سمعه منه النبي ﷺ كان في غاية الحُسْن، حتى شبهه من حُسْنه بمزامير آل داود، فكيف لو زاد على ذلك، فهذا التحسين الطبيعي من أبي موسى، ثم تكلف زيادته كما قال هو ضمن الحد الشرعي، وهو الحد الذي لا ينبغي أن ينازع فيه أحد.

ولعل مراد السلف أيضاً من التشديد في هذه المسألة منع ما حصل في زمانهم من التماذي في هذا الباب، حتى خرج به بعضهم إلى ما لا يليق بمقام القرآن، فقرأوا القرآن على ألحان الحداء والرهبانية، ومنهم من قرأه على الأغاني المولدة المحدثّة، فمن ذلك قراءة الهيثم: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر...﴾^(٢).

سليخه من صوت الغناء كهيئة:

أما القِطاةُ فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها^(٣)

ومثل هذا هو ما احترزنا منه بالشرط الثاني والرابع من الشروط التي قررناها لإباحة القراءة بالألحان، فارجع إليها وتأملها.

(١) راجع / ص ٧٥.

(٢) الكهف : ٧٩ .

(٣) المعارف لابن قتيبة / ص ٥٣٣ .

فصل :

يؤخذ من قول ابن أبي مليكة راوي حديث (التغني) حينما قيل له :
أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ماذا يصنع؟ قال : يحسنه ما استطاع^(١) .
أنه لقارئ القرآن أن يستعين بما تيسر له من الوسائل لتحسين صوته ، ومنها
أن يتعلم من قانون النغم وما يختاره أو يُختار له من الألحان المناسبة لقراءة
القرآن ، وذلك بقدر ما يحتاج إليه للتغني بالقرآن ، يتلقى ذلك عن شيخه
الذي يقرئه إن كان ممن يتقن ذلك^(٢) .

ومنها : التقليد والمحاكاة ، بأن يحاكي شيخه ، وهذا لا بد منه عند
التعلم ، أو يحاكي أحد المتقنين من القراء أصحاب الأصوات الحسنة ،
والأنغام المؤثرة ، كالمشايخي ، أو عبد الباسط عبدالصمد ، أو أصحاب
الترتيل المتقن حذراً وتخزيناً من أئمة التراويح الذين يصدحون في المحاريب
بأجمل الأصوات وأحسن الأداء ، لا نرى بذلك بأساً ، بل نعلم بالتجربة
وقد قرأنا على شيوخنا وأقرأنا بعدهم زمناً أن الحاجة إلى ذلك ماسة ، خاصة
للمبتدئين ، حتى يتقن المرتل ويصير صاحب تفرّد في صوته ، ولحنه ،
وراحلته^(٣) ، والتقليد في القراءة واللحن مطلقاً جائزة : يكفي دليلاً على
ذلك نصاب :

(١) راجع / ص ٨٦ .

(٢) لا بد من هذا القيد وهو أن يأخذ الألحان من المقرئين لا من أهل الموسيقى ولا من
معاهدها لأن النبي ﷺ نهى كما بينا سابقاً عن ألحان أهل الفسوق والكبائر .

(٣) الراحلة في اصطلاح بعض القراء المتأخرين يرمزون بها إلى سلاسة القارئ في سرعته
وأدائه .

أولهما: في حديث عبدالله بن مغفل في الصحيح في ترجيع النبي ﷺ
بسورة الفتح - أو بآيات من سورة الفتح - (١).

وجه الدليل فيه هو قول الراوي وهو معاوية بن قرة: لو شئت أن
أحكى لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت (٢).

وفي رواية في الصحيح أيضاً: لولا أن يجتمع الناس لرجعت كما رجعت
ابن مغفل يحكي النبي ﷺ (٣).

وعند أبي عبيد: لولا أن يجتمع الناس لأخذت لكم في ذلك
الصوت - أو قال: اللحن - (٤).

فإذن الصحابي هنا - وهو عبدالله بن مغفل رضي الله عنه - قلد النبي
ﷺ في ترجيعه بذلك اللحن، أو الصوت.

والتابعي - وهو معاوية بن قرة رحمه الله - كاد أن يفعل.

ثانيتها: حديث سعد الصحيح في الحث على القراءة بالتحزين (٥)،
وإذا حث النبي ﷺ على فضيلة فهو أول من يفعلها، ولذلك كان ﷺ إذا
ترنم بالقرآن يبكي ويُبكي، وهكذا الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحاكونه
في هذا اللحن، فإن التحزين لحن من الألحان، وسبق أن أوردنا الخبر عن

(١) راجع / ص ٨٩.

(٢) البخاري في صحيحه / في التفسير (انظر الفتح ٨/٥٨٣).

(٣) البخاري في صحيحه / في التوحيد (٨/٢١٣).

(٤) أبو عبيد في فضائل القرآن (ق ١٥ / من نسخة ألمانيا).

(٥) راجع / ص ٧٩ و ٨٥.

أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ سورة فحزنها شبه الرثى^(١).

أفلا يشرع لكل قارئ أن يحاكي النبي ﷺ في هذا اللحن؟

وهل يلزم أن ينقل إلينا نص بأن الصحابة كانوا يحاكونه ﷺ في لحنه؟
ألا يكفي ما نعلمه من شدة حرصهم على متابعتة والافتداء به.

إذا كان لكل تلميذ أن يحاكي شيخه في أدائه، وصوته، ولحنه، أفلا
نحاكي معلمنا الأول وإمامنا ونبينا وسيدنا ﷺ في ذلك كله؟! .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١) انظر / ص ١٠٠ .

حكم تجويد القرآن

يجب على كل من يقرأ القرآن أن يجوده، أي يجب عليه مراعاة شرط الأداء، وقواعد التجويد، وأحكام القراءة .

وأول ذلك تجويد الحروف : بأن يحققها من مخارجها، ويستوفي صفاتها اللازمة لها، حتى لا يلتبس بعضها ببعض، ثم بأن يستوفي أحكامها من غنٍّ، وفكٍّ، وإدغام، وترقيق، وتفخيم، وفتح، وإمالة، ومد، وقصر، وغير ذلك .

ثم معرفة الوقوف ومراعاتها : فيقف عند فواصل المعاني، ويتجنب الوقف على ما يستتبع الوقف عليه، ويتجنب وصل ما يلزم الوقف عليه .

والتجويد بقواعده هذه هو عبارة عن وصف اصطلاحى لما ثبتت الرواية به من صفة قراءة النبي ﷺ، وإلا فالمقصود هو تلك الهيئة التي نزل بها الوحي، وتلقاها رسول الله ﷺ من جبريل مشافهة، عرضاً وساعاً، كما سبق بيانه، وأقرأ بها عدداً من أصحابه .

قال الحافظ شمس الدين ابن الجزري في مقدمته :

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتَّمُ لَأَزِمُ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ
لأنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْزَلَا وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

والأدلة على هذا الحكم كثيرة منها^(١) :

(١) لم تكن هذه المسألة محل نزاع بين السلف، لذلك لم يبحثوها، بل انصرفوا =

أولاً : أن قراءة القرآن عبادة أمر بها المكلفون، قال تعالى : ﴿فأقرأوا ما تيسر من القرآن﴾^(١)، والعبادات توقيفية في جميع متعلقاتها، ومن ذلك هيئات أدائها فكما أن صفة الصلاة توقيفية تُتلقى عن رسول الله ﷺ بالأسانيد المتواترة المتصلة إلى رسول الله ﷺ، لا فرق في ذلك بين الصلاة وقراءة القرآن، ألا ترى شدة التلازم بينهما حتى سميت الفاتحة صلاة، بل سميت قراءة القرآن مطلقاً صلاة في قوله : ﴿لَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا وَابْتَغَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿لَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن ﴿وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تُسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك^(٣).

ثانياً: قد يقول قائل، ولكن في الصلاة ورد النص بالأمر بتلقي كيفية أدائها عن النبي ﷺ في قوله : (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(٤) أما القراءة فليس الأمر فيها كذلك ؟

= إلى العمل بها، وطرحها للمناقشة من محدثات هذا الزمان، ونحن مشفقون من هذا الأسلوب في التفكير، لأنه إذا لم نرجع كل مسألة إلى أهل الاختصاص وإذا أطرد التشكيك في العلوم الشرعية فإن نظام العلم ينتقض ونجد أنفسنا حينئذ وسط خصم مريع من الفوضى العلمية، والانحطاط العلمي .

(١) المزمل : ٢٠ .

(٢) الإسراء : ١١٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٧٣/٣

(٤) البخاري في الأذان / الباب ١٨ (١/ ص ١٥٥).

فنقول في جوابه : قد بينا أن قراءة القرآن تسمى صلاة، فهي داخلة في قوله : (صلوا كما رأيتموني أصلي).

ثم إن الشأن في العبادات كلها من حيث التوقيف كالشأن في الصلاة، وإلا فهاهو النص في الصيام الذي يأمرنا فيه بأن نصوم كما صام ﷺ، وما قال أحد ممن عنده علم إن كيفية الصيام ليست توقيفية . ومع ذلك فإن النص الذي يأمرنا بتلقي كيفية القراءة عنه ﷺ ثابت : فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا علي بن أبي طالب : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم^(١).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (خذوا القرآن من أربعة : عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب)^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد) أي عبدالله بن مسعود^(٣). وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الله يحب أن يُقرأ القرآن كما أنزل)^(٤).

(١) ابن جرير في مقدمة تفسيره (٢٣/١) وأبو الفضل الرازي في اللوامح (مخطوط/ ص ٣).

(٢) البخاري في فضائل القرآن من صحيحه / الباب ٨ (١/ ص ١٠٢).

(٣) سبق تخريجه / ص ٨٦ .

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالضعف وعزاه إلى السجزي أبي نصر في (الإبانة) (انظر فيض القدير ٢/ ٢٩٧).

فهذه النصوص واضحة الدلالة على أن القراءة توقيفية، فلا يجوز أن يقرأ أحد إلا بالهيئة التوقيفية المتلقاة من الحضرة النبوية، والتي يتعلمها مشافهة من المقرئين، وقد عين النبي ﷺ لجليل الصحابة هؤلاء المقرئين ليتعلموا منهم القراءة، ويتلقوا منهم نص القرآن، وذكرهم ليس على سبيل الحصر، فقد نوه النبي ﷺ في أحاديث أخرى بقراء آخرين من الصحابة .

ثالثاً : فإذا قال قائل : ولكن القرآن أنزل بلسان العرب، فلا يحتاج العربي إلى من يُعلمه كيفية النطق به، بل يقرأه دون أن يتكلف ذلك، كيف وهذه لغته .

نقول : لم يُترك الصحابة للغتهم يقرأون القرآن حسباً يتيسر على ألسنتهم بل أمروا بأن يتعلموا كيفية قراءته، وهم عرب فصحاء، لا يعرفون اللحن، ومع ذلك أمروا بالالتزام بالكيفية المتلقاة : (أن تقرأوا كما عُلِّمتم) وما ذاك إلا لأن القرآن إنما أنزل بلغة مصطفاه من لغاتهم ولهجاتهم، وليس بكل ما جرى على ألسنتهم، فمن لغاتهم الجيد والردىء، وقد نزه القرآن عن الردىء المستثقل من لغاتهم، لا تجد فيه شيئاً من كَسْكَسَةِ تميم، ولا كَشْكَشَةِ هوازن، ولا قَرَاتِيَةَ العراق، ولا طَمْطَمَانِيَةَ حمير^(١)، بل أنزل أكثره بلسان قريش، وكانوا أفصح العرب، وأنزل كثير

(١) قال أبو الفضل الرازي : قراتية العراق لعلها الإمالات الكثيرة المُشْبَعَة التي توجد في لسان أهل الحيرة، والقراتية على قاف وتخفيف الياء هي الانعقاد الذي يوجد في كلام المستعربين الذين ليسوا من صميم العرب، والكسكسة إبدال الكاف سيناً، بينها الكشكشة إبدالها شيئاً، والطمطمانية هي العجمة (اللوامح/ أو شرح حديث الأحرف السبعة/ق/٤٤ بتصرف).

منه بلسان غيرهم، كالإمالة، والهمز، فإنهما ليستا من لغة قريش، فقريش لا يُميلون ولا يهمزون، ولذا كان الإمام الشافعي وهو قرشي لا يهمز (القرآن).

قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه للرهط الذين كتبوا المصاحف : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم^(١).
أي أنزل معظمه وأكثره .

وروى ابن الأنباري أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقرأ : «عتى حين» فقال : من أقرأك هذا؟ قال : عبدالله بن مسعود. فكتب إليه : إن القرآن أنزل بلغة قريش فأقرىء الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل^(٢).

ومعنى هذا أنه لم يكن مرخصاً للصحابة وهم العرب الفصحاء أن يقرأ كل منهم القرآن حسبما يتيسر على لسانه من لغته، فغيرهم من باب أولى.

بل إن رسول الله ﷺ نفسه وهو أفصح من نطق بالضاد لم يرخص له ذلك بل عُلِّم القراءة تعليماً، وتلقاها مشافهة وتلقيناً من القوي الأمين، عرضاً وسماعاً، وأمر بهذا التلقي، بل وأمر بالحرص على سماعه جيداً عند التلقي، كما سبق بيانه^(٣).

(١) المصاحف لابن أبي داود / ص ٢٠ . (٢) إيضاح الوقف والابتداء ١٣/١ .

(٣) انظر / ص ٢٣ - ٢٦

فهل يُقال بعد ذلك إنه للعربي في هذا الزمان أن يقرأه حسبها يتيسر على لسانه، لا يحتاج إلى تعلم قراءته، وتلقي كيفياتها من أفواه الضابطين؟!!

كيف وقد اشتد اعوجاج الألسنة، وغلبت العجمة، وفشا اللحن؟!!

رابعاً : فإذا قال قائل : وهل قراءة القرآن بالتجويد متصلة الأسانيد بالنبي ﷺ؟ وأين هذه الأسانيد التي يدعيها القراء؟

نقول : القاعدة المعروفة عند السلف، وتمسك بها القراء في كل جيل أن قراءة القرآن تُتلقى بالرواية، ولا تثبت إلا بالأسانيد المتواترة، بل ولا تؤخذ إلا بطريق المشافهة دون غيرها من طرائق الرواية، على أصح الأقوال، فلا إجازة ولا مناولة، ولا وجادة، قال الناظم :

ولا يجوز أخذها من الكتب كما به قد صرّحوا، بل قد يجب
عليك أن تعرفها ممن يريك كيفية النطق بها فاهُ لفيك^(١)

أما السلف فقالوا : قراءة القرآن سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

روى ذلك أبو بكر بن مجاهد التميمي البغدادي (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ) في كتابه (السبعة) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، ومحمد بن المنكدر، وعروة بن الزبير، والشعبي^(٢).

(١) من إملاءات شيخنا محمد الأمين بن أيذا الجكني الشنقيطي .

(٢) السبعة / ص ٤٩ - ٥٢

وَرُوِيَ أَيْضاً عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ^(١)، وَعَنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٢).
 أما حديث زيد فرواه أبو بكر بن مجاهد من طريق أبي الزناد^(٣) عن
 أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، أنه قال : القراءة سنة متبعة
 فاقراؤه كما تجدوه .
 وعن شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر^(٤) أنه قال : قراءة
 القرآن سنة يأخذها الآخر عن الأول .
 وعن الشعبي^(٥) أنه قال : القراءة سنة فاقراؤها كما قرأ أولوكم .
 وعن ابن لهيعة^(٦) قال : حدثنا خالد بن أبي عمران، عن عروة بن
 الزبير^(٧) : إنها قراءة القرآن سنة من السنن فاقراؤه كما علمتموه .
 فهل بعد هذه النصوص يبقى شك لدى أحد في هذه المسألة ؟

-
- (١) ذكره الحافظ ابن الجزري في النشر (١٧/١) .
 (٢) ذكره أبو شامة في (المرشد الوجيز) ص / ١٧٠ .
 (٣) عبد الله بن ذكوان القرشي المعروف بأبي الزناد، مولى ابن عمر (انظر التقريب
 ٤١٣/١) .
 (٤) محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي أبو عبد الله، كان من سادات قريش وعباد أهل
 المدينة وقرائهم، مات سنة (١٣٠) هـ (مشاهير علماء الأمصار / ص ٦٥) .
 (٥) عامر بن شراحيل الشعبي الإمام المشهور من كبار التابعين بالكوفة، مات سنة
 (١٠٥) هـ . (مشاهير علماء الأمصار / ص ١٠٢) .
 (٦) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري (انظر التقريب ٤٤٤/١) .
 (٧) أخو عبد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق، من أفاضل التابعين بالمدينة
 (علماء الأمصار / ص ٦٤) .

وأما أين هذه الأسانيد؟ فعلى من كانت همته عالية أن يطالعها في مقدمة : «التيسير»، و(جامع البيان) كلاهما لأبي عمرو الداني، والغاية لابن مهران، وسوق العروس لأبي معشر الطبري، وإرشاد المبتدئ للقلانسي، والتذكرة لابن غلبون، والإقناع لابن الباذش، والنشر للحافظ شمس الدين ابن الجزري، وفي غير ذلك من كتب هذا الفن. ثم سيجدها عند المسندين في عصرنا من أهل هذا الفن.

خامساً : وردت نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، تدل على وجوب مراعاة شرط الأداء، وأحكام التجويد، من ذلك :

قوله تعالى : ﴿وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(١) روى ابن جرير عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : بَيَّنَّهُ بَيَاناً^(٢).

والبيان لا يتأتى بدون مراعاة شرط الأداء، فهذا أمرٌ بذلك، والأمر يقتضي الوجوب، إلا إذا صرفه صارف، فما الصارف هنا؟

ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ . . .﴾^(٣).

روى ابن جرير الطبري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما

(١) المزمل : ٤ .

(٢) تفسير ابن جرير / طبعة بولاق (٢٩/٨٠) .

(٣) البقرة : ١٢١ .

أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه^(١).

ومن ذلك ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل : كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال : كانت مداً، ثم قرأ : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم^(٢).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ . . .﴾ مرسله^(٣) فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ! فقال : كيف أقرأها يا أبا عبدالرحمن؟ فقال : أقرأنيها : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ فمدها^(٤).

وعن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ في الفجر ﴿ق﴾ فمرَّ بهذا الحرف : ﴿هَآ طَلَعَ نَضِيدٌ﴾ فمدَّ ﴿نَضِيدٌ﴾^(٥).

(١) تفسير ابن جرير ٤١١/١ .

(٢) تعجّل بعض الناس فزعموا أن القراء لا يثبتون مدّاً في هذه المواضع الثلاثة بينما هذا الحديث الصحيح يدل على إثبات المد فيها، وهذا الزعم خطأ من هذا القائل، فإن القراء أجمعوا على إثبات المد فيها: أما الألف في (الله) وفي (الرحمن) ففيها مد طبيعي، وأما الياء في (الرحيم) ففيها في حال الوصل مد طبيعي، وفي حال الوقف مد عارض فيه ثلاثة أوجه . . . والحديث رواه البخاري في فضائل القرآن من صحيحه (١١٢/٦).

(٣) أي بدون مد، والمقصود المد المتصل في (للفقراء) والآية رقمها (٦٠) من سورة التوبة.
(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه ورواه عنه بإسناده الحافظ ابن الجزري في النشر (٣١٥/١).

(٥) رواه ابن أبي داود بإسناد جيد (انظر فتح الباري ٨/٩).

وهذه النصوص كلها في المدود .

وعن زِرِّ بن حُبَيْش رحمه الله قال : قرأ رجل على عبد الله بن مسعود ﴿طه﴾ ولم يكسر^(١) فقال عبد الله : ﴿طه﴾ وكسر، ثم قال : والله هكذا علمني رسول الله ﷺ^(٢) .

وعن إبراهيم النخعي قال : كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء . قال : يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (أنزل القرآن بالتفخيم)^(٣) .

الشيخ
أبو عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الإمالة الكبرى تسمى كسراً وتسمى إضجاعاً، كأنه أضجع الألف بعد أن كانت قائمة .
(٢) رواه السخاوي علم الدين في جمال القراءة (٤٩٨/٢) بإسناده، والداني في طبقات القراء ونقله عنه ابن الجزري في (النشر) ثم رواه بإسناده (٣١/٢) .
(٣) الحاكم في المستدرک (٢٣١/٢، ٢٤٢) ولفظه : (أنزل القرآن بالتفخيم، كهيئة الطير، عذراً أو نذراً، والصدفين، ألاله الخلق والأمر، وأشباهها) قال الذهبي : الحديث واه منكر .
ورواه البيهقي أيضاً في شعب الإبان (٢٣٧/٥) .

حكم اللحن في القراءة

الأصل في هذا الباب ما رواه الحاكم في مستدركه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمع النبي ﷺ رجلاً قرأ فلحن ، قال ﷺ : (أرشدوا أحاكم)^(١).

هذا اللحن بمعنى الخطأ في القراءة مع ندرة وقوعه في جيل الصحابة - إذ كانوا عرباً فصحاء - فإن هذا الحديث يدل على ذمه ، فهو نوع من الضلال يحتاج صاحبه إلى إرشاد .
وقد يصل اللحن إلى تحريف للكلم عن مواضعه ، وحينئذ فهو أكثر شناعة وإثماً مع القدرة على توقيه .

روى ابن جرير عن أبي العالية^(٢) قال : قال ابن مسعود رضي الله عنه : والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه^(٣) .

واللحن في القراءة : إما أن يكون خطأً في الإعراب ، وهو الذي نظن أن الرجل وقع فيه ، أو خطأً في نص الآية بتبديل كلمة بأخرى أو حرف بآخر ، فإن هذا يعد تحريفاً ولو كان المعنى صحيحاً ، لأن الكلمة التي جاء بها ليست من القرآن ، أو يكون اللحن خطأً في اللهجة ، وهذا

(١) المستدرک ٤٣٩/٢ وقال الحاكم : صحيح الإسناد وأقره الذهبي .

(٢) أبو العالية الرياحي ، واسمه رُفيع بن مهران (انظر التقريب ١/٢٥٢) .

(٣) تفسير ابن جرير/ بتحقيق محمود شاکر ٥٦٧/٢ .

هو أكثر ما يقع من أنواع اللحن .

أما الخطأ في الإعراب فمثاله : ما رواه محمد بن القاسم الأنباري :
أن زياداً بعث إلى أبي الأسود فقال له : يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد
كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس
كلامهم ويعربون به كتاب الله . فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى
ما سأل ، فوجه زياد رجلاً وقال : اقعد في طريق أبي الأسود فإذا مر بك
فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه ، ففعل ذلك ، فلما مر به أبو الأسود
رفع الرجل صوته يقرأ ﴿ أن الله برىء من المشركين ورسوله ﴾ فاستعظم
ذلك أبو الأسود وقال : عزَّ وجهُ الله أن يبرأ من رسوله . ثم رجع من فوره
إلى زياد فقال له : يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيتُ أن أبدأ بإعراب
القرآن^(١) .

وهذا اللحن في الإعراب أفسد المعنى ، بل أوهم معنى آخر غير
مراد ، بل أوهم معنى فاسداً لو تعمده القارئ ككفر ، روى الأنباري أن

(١) انظر القصة بتامها في إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل (١/ ٣٩) ورواها
الداني عن محمد بن أحمد بن علي البغدادي عن الأنباري (المحكم/ص٣) وهناك روايات
أخرى ذكرها الأنباري أسانيداً معلولة ، وهذا الخبر الذي ذكرنا طرفاً منه هو أمثلها ، واتفق
الرواة على أن أول من وضع علم النحو ونقط المصحف فقط الإعراب أبو الأسود الدؤلي
واسمه ظالم بن عمرو ، ولكن في بعض الروايات أن الذي أمره بذلك عمر بن الخطاب وفي
بعضها أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، وفي بعضها أن أبا الأسود هو الذي استأذن زياداً
في ذلك ، وهنا في هذا الخبر - وهو المشهور لدى المصنفين - أن زياداً أمير الكوفة في عهد معاوية
رضي الله عنه هو الذي طلب منه ذلك ، والله أعلم .

أعربياً في زمن عمر لما سمع رجلاً يقرأها بالجر قال : والله ما أنزل الله هذا على نبيه محمد ﷺ^(١).

وأما اللحن بتبديل حرف بآخر فإنه يعد لحناً وإن كان وافق لغة عربية مادامت غير منزلة، فمثاله :

ما رواه الأنباري أيضاً : أن عمر بن الخطاب سمع رجلاً يقرأ هذا الحرف ﴿ليسجننه عتى حين﴾ قال : فقال له عمر : من أقرأك هذا؟ قال : ابن مسعود . فقال عمر : ﴿ليسجننه حتى حين﴾^(٢) قال : ثم كتب إلى ابن مسعود : سلام عليك ، أما بعد : فإن الله أنزل القرآن فجعله قرآناً عربياً مبيناً ، وأنزله بلغة هذا الحي من قريش ، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل^(٣) .
ويمكن أن يعد هذا لحناً في لهجات القرآن^(٤) .

أما ما كان من قبيل الأداء وكيفيات النطق من مد وقصر، وفتح

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٣٧/١ .

ومن لطائف تصرف الأعراب في هذا الباب ما رواه ابن الضريس في فضائل القرآن (مخطوط/ نسخة الظاهرية/ق ٦٥) : عن أبي وائل أن وفد بني أسد أتوا النبي ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال للحضرمي بن عامر : (هل تقرأ من القرآن شيئاً)؟ قال : نعم . فقال : (اقرأ) فقرأ من عبس وتولى ما شاء الله أن يقرأ ثم قال : وهو الذي من على الجبل فأخرج منها نسمة تسعى بين شراسيف وحشا . فقال النبي ﷺ : (لا تزد فيها فإنها كافية) .
(٢) يوسف : ٣٥ .

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ١٣/١ .

(٤) لا نظن أن عبدالله بن مسعود قرأ بذلك الحرف سهواً منه ، أو غلبه لسانه وهو هذلي ، بل لعله كان من الأحرف المنسوخة ، ولذلك أنكر عليه عمر ، فابن مسعود من كبار قراء الصحابة .

وإمالة، وفك وإدغام، ونحو ذلك، فإن العرب تختلف لهجاتهم في ذلك
اختلافاً كثيراً، ولم ينزل القرآن بكل ما نطقت به ألسنها بل نزل بالفصح
الجيد منه، فمثاله :

ما رواه عن عبدالله بن مسعود أنه كان يقرىء رجلاً فقراً الرجل ﴿إنما
الصدقات للفقراء والمساكين﴾ .^(١) مرسله، فقال ابن مسعود : ما هكذا
أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال :
أقرأنيها : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ . فمدها^(٢) .

فقوله : مرسله . أي لم يمد الألف من قوله ﴿للفقراء﴾ فعده ابن
مسعود لحناً، فنبه القارئ إلى ذلك بهذا الأسلوب الذي يحفزه على
العناية .

ومثله ما روى الداني في طبقات القراء عن زر بن حبیش قال : قرأ
رجل على عبدالله بن مسعود ﴿طه﴾ ولم يكسر، فقال عبدالله : ﴿طه﴾
وكسر، ثم قال : والله هكذا علمني رسول الله ﷺ^(٣) .

واللحن : قسمه القراء إلى جلي وخفي، وأحسن ما قيل في تعريف
الجلي أنه : الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخل بالعرف^(٤) سواءً أخل

(١) التوبة : ٦٠ .

(٢) انظر تخريجه / ص ١١٨ .

(٣) انظر / ص ١١٩ .

(٤) أي يعرف التجويد، والمقصود شرط الأداء وأحكام التجويد، هذا هو الذي سمي هنا
«عُرفاً»، وهذا التعريف مقتبس من كلام ابن الجزري في (التمهيد) انظره ص ٧٦-٧٧
بتحقيق العلامة قسري أحمد .

بالمعنى أم لا، ويكون ظاهراً بحيث يعرفه المجودون وغيرهم .

فمثال الأول : تغيير بعض الحركات عما ينبغي نحو أن يضم التاء في قوله تعالى : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أو يكسرهما، أو يفتح التاء في قوله ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ . . .﴾^(١) فإن المعنى يتغير بذلك .

ومثال الثاني : أن يضم الهاء أو ينصبها من قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أو يفتح الدال .

ومن أمثلته أيضاً : ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ إذا أبدل الضاد دالاً فقال : ولا الدالّين، وهذا مع تغيير بنية الحرف فإن فيه إخلالاً بالمعنى لأن الدالّين من الدلالة، والضالين من الضلال .

ومنه إذا أبدل الحاء هاءً في قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهذا فيه إخلال بالمعنى أيضاً، لأن (الهمد) كالممود من همد يهد بمعنى السكون والموت والجدب، كقوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْتَبَتْ . . .﴾^(٢) .

ومن الإخلال بينية الحرف دون أن يخل بالمعنى أن يقرأ الذال زايماً في : «الذين» و«هذا» و«هذان» ونحوها، وهذا الضرب من اللحن الجلي والذي قبله سببه عدم تحقيق مخارج الحروف وصفاتها فهذا البابان من أبواب التجويد هما أهم مطالبه، وأكثر اللحن الجلي يقع بسبب الجهل بهما .

(١) المائة : ١١٧ .

(٢) الحج : ٥ .

أما اللحن الخفي : فهو الخلل الذي يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف ولكن لا يعرفه إلا أهل الفن ، وهو متفاوت ، فبعضه يعرفه كل مجود ، كتكرير الرءاءات ، وتغليظ اللامات ، وترك الإدغام أو الإخفاء ، وتلين المشدد ، وتشديد المخفف ، وقصر الممدود ، ومد المقصور ، وبعضه لا يعرفه إلا الضابطون من أهل الفن كزيادة مقدار المدود أو نقصه ، وبعضه لا يتنبه له إلا المتقنون المحققون كالاتكاء على الحرف ، والتسوية بين مواضع الحكم الواحد في مقداره ، على معنى قول ابن الجزري :

واللفظ في نظيره كمثلته^(١) .

وهذا الضرب من اللحن الخفي لا يمكن تجنبه إلا بضبط شرط الأداء وإتقان أحكام التجويد ، وذلك لا يتسنى إلا لمن تلقى القرآن من أفواه الضابطين المتقنين .

وأما حكم من يقع في اللحن : فإنه مبني على حكم تعلم التجويد ، وقد بينا أنه واجب^(٢) ، ومن أحسن ما قيل في ذلك : إن علم التجويد فرض كفاية والعمل به فرض عين في الجملة ، وإن كانت القراءة سنة^(٣) . ولكن بعض القراءة واجب ، كقراءة مالا تصح الصلاة إلا به ، فإذا تصحيح النطق بهذا القدر من القرآن فرض عين على كل من تجب عليه

(١) من المقدمة الجزرية .

(٢) انظر / ص ١١٠ - ١١٩ .

(٣) عبارة الملا علي بن سلطان الفارسي في المنح الفكرية بشرح الجزرية عند شرحه لقول الجزري : (والأخذ بالتجويد حتم لازم) / ص ١٩ .

الصلاة، والنبي ﷺ قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »^(١) وعلى ذلك فمن وقع في أي نوع من أنواع اللحن الجلي فقد أدخل بالقراءة إخلالاً ظاهراً جلياً، ومن وقع في اللحن الخفي فقد أدخل بها إخلالاً خفياً، وابن الجزري يقول :

من لم يُجود القرآن آثم

أي من لم يصح قراءته فإنه يَأثم بالوقوع في اللحن، خاصة اللحن الجلي، فإنه يَأثم به أكثر، والصواب أن يقيد ذلك فيقال : يَأثم إذا لم يجتهد في التصحيح مع القدرة عليه، أما إذا اجتهد وعجز عن تقويم لسانه فلا حرج عليه، ولكن مثل هذا لا ينبغي أن يؤم الناس، خاصة إذا كان فيهم من يجود القرآن، فهنا مسألتان :

المسألة الأولى : ما حكم صلاة من يلحن في القرآن .

والثانية : ما حكم الصلاة خلف من يلحن في القرآن .

المصلي إذا لحن في الفاتحة فإنه أدخل بركن من أركان الصلاة، وعليه فإنه تفسد صلاته، وللفقهاء في ذلك تفصيل دقيق^(٢) :

أولاً : اللحن إذا كان فاحشاً وأحال المعنى فإنه يفسد الصلاة، هذا بالاتفاق، وبعضهم يرى أنه إذا كان اللحن يخرج المقروء من كونه قرآناً

(١) متفق عليه : البخاري (١٩٩/٢) ومسلم / ص ٣٩٤ .

(٢) أوسع من تكلم في هذه المسألة من فقهاء الحنفية صاحب (المحيط البرهاني) في أبواب الصلاة، أفرد لها باباً بعنوان : (زلة القارئ) . ويمكنني من هذا الكتاب الكبير نسختان خطيتان، ثم قاضيخان في فتاويه في الصلاة أيضاً (١١٦/١) . فقد أفاض في ذكر الأمثلة .

فيصير كلاماً آخر فإنه يفسد الصلاة ولو لم يتغير المعنى .
ونحن نرى أن اللحن إذا غير المبنى سواءً أحوال المعنى أم لا فإنه يفسد
الصلاة، كما لو قرأ : همالة الهتب^(١) .

ثانياً : موافقة قراءة قرآنية، فإذا وافق لحنه قراءة ثابتة مقروءة فإنه لا
تفسد صلاته سواءً علم بها أم لم يعلم، كما لو قرأ ﴿ الصراط ﴾ و﴿ صراط ﴾
بالسين بدل الصاد، أو بالصاد المشمة بالزاي^(٢)، وهذا من الحكمة في
إنزال الأحرف السبعة التي قال عنها رسول الله ﷺ : (كلها كافٍ شافٍ)
وقال : (فاقرأوا منها ما تيسر)^(٣) . وقال : (فبأيها قرأوا فقد أصابوا) أي
القرآن^(٤) .

(١) نص عليه صاحب غنية المستملي من الحنفية (ص ٤٦١ / كما نقله عنه التهانوي في إعلاء
السنن)، ويفهم هذا الذي رجحناه من كلام الفقهاء في تعريف الأمي وحكم الصلاة خلفه،
فلا ندري بأي اعتبار قيدوا فساد الصلاة بإحالة المعنى، بينما أي تغيير لمبنى الكلمة أو الحرف
يخرج الكلام عن كونه قرآناً، ويخل بالقراءة إخلالاً جلياً، بل ربما عدّ تحريفاً للقرآن، وهذا
هو اختيار المتقدمين من فقهاء الحنفية .

(٢) نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكنه أضاف إلى المثال الذي ذكرناه أمثلة أخرى
فقال : «وأما ما قرئ به مثل «الحمد لله ربّ» وربّ وربّ، ومثل «الحمد لله» والحمد، بضم
اللام، أو بكسر الدال، ومثل : «عليهم» و«عليهم» و«عليهم» وأمثال ذلك فهذا لا يعدّ لحناً»
[الفتاوى المصرية ١٧١/٢، ١٨٢] قال أبو مجاهد : (رب) لم يُقرأ بالضم ولا بالفتح،
(والحمد لله) لم يُقرأ بضم اللام، أما بكسر الدال فهي قراءة الحسن البصري إتباعاً لكسرة
لام الجر، وهي من القراءات الأربعة بعد العشرة [انظر انحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي /
بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ٣٦٣/١] أما ما يذكر من قراءات بلا أسانيد في كتب
التفسير أو في كتب أهل اللغة كابن جني وابن خالويه فلا يعتد به .

(٣) (٤) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم بن حزام وهو حديث
مشهور انظر تحريجنا له في كتاب (حديث الأحرف السبعة) / ص ١٠ من طبعة دار النشر
الدولي بالرياض .

ثالثاً : يعتبر الجهد الذي يبذله المكلف في تصحيح قراءته، فإن كان مع اجتهاده وحرصه على التصحيح غلبه لسانه ولم يقو على اجتناب اللحن فلا حرج عليه، لأن التكاليف مقيدة بالاستطاعة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فبعد استفراغ الوسع في تصحيح القراءة إن وقع المصلي في اللحن فصلاته تجزئه، كصلاة الأثغ والأعجمي الشديد العجمة، والشيخ الفاني الذي لا يستطيع أن يقوم لسانه، ونحوهم من طوائف الأمة الذين لا يقدرّون على تحاشي اللحن^(١)، ومثل هؤلاء يكفيهم أن يرتفع عنهم الحرج وتجزئهم قراءتهم فيثبت لهم أجر القراءة، ولكن هل يدخلون وهم لحانون في أهل الأجرين، في قوله ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)^(٢)، نرجو ذلك لمن كان منهم مجتهداً في تصحيحه وتجويده حريصاً على تقويم لسانه به، وإن كنا في شك من ذلك .

بقيت مسألة إمامة اللحّان وصحة الصلاة خلفه : لا خلاف بين

(١) المحيط البرهاني / لبرهان الدين محمود بن أحمد البخاري المتوفى سنة (٦١٦هـ) [مخطوط/ نسخة هندية بحوزتنا نسخة مصورة عنها/ ص ١٣٩ باب زلة القارئ من أبواب الصلاة]، وفتاوى قاضيخان (١/١٣٠)، والمغني لابن قدامة [طبعة التركي وعبدالفتاح الحل] ١٥٩/٢، والدردير على مختصر خليل [طبعة بولاق] ٧١/١.

(٢) متفق عليه : البخاري في تفسير سورة عبس من صحيحه، ومسلم في صلاة المسافرين / الحديث ٧٩٨. ويدل لفظ البخاري على أن المراد بالماهر: في حفظه، والذي يتتعتع فيه: أي في استذكار حفظه فهذا مع تعاهده له وعنايته باستذكاره ثبت له الأجران، لفظ البخاري: (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفارة الكرام ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران) [تفسير سورة عبس من صحيح البخاري ٨٠/٦].

الفقهاء في أنه تكره إمامة من يلحن في القراءة، وأنه لا ينبغي له أن يؤم الناس، فإن أمهم فما حكم صلاة من خلفه؟

يسمى الفقهاء مثل هذا (أمياً) ويعرفونه بأنه الذي لا يحسن قراءة ما لا تصح الصلاة إلا به من القرآن^(١) ولا يحفظه.

والصحيح بطلان الاقتداء به، وفساد الصلاة خلفه، وهذا مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، والأصح من مذهبي الشافعي، وقال به أبو ثور، وابن المنذر، واختاره المزني، وهو مذهب عطاء، وقتادة من التابعين^(٢).

وقال بعض الفقهاء: تفسد صلاة القارئ خلف الأمي، وتصح صلاة من كان مثله^(٣).

(١) (الأمي) عند الشافعي هو من لا يحفظ الفاتحة بكماها ولا يحسنها، وعند الحنفية هو من لا يحفظ آية من القرآن ولو أقصر آية.

(٢) شرح العيني على الهداية للمرغيناني / طبعة الهند ٧٤١/١.

(٣) فتح القدير على الهداية ١/٢٦٠، ٢٦٦.

والمغني لابن قدامة (طبعة التركي والحلو) ٢٩/٣.

العناية بالوقف والتهام

الأصل في هذا الباب حديث أبي بكرة رضي الله عنه : أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : اقرأ القرآن على حرف . فقال : ميكائيل : استزده . فقال : اقرأ على حرفين . فقال ميكائيل : استزده . حتى بلغ سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ ما لم تحتّم آيةً عذابٍ بآيةٍ رحمةٍ أو آيةٍ رحمةٍ بآيةٍ عذابٍ^(١) .

معني آخر هذا الحديث أنه ينبغي أن يُقَطَّعَ^(٢) على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب وتُفَصَّلُ مما بعدها إذا كان بعدها ذكر الجنة والثواب ، وكذلك ينبغي أن يُقَطَّعَ على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب وتُفَصَّلُ مما بعدها إذا كان بعدها ذكر النار والعقاب .

مثاله : ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٣) هنا الوقف ولا يجوز أن يوصل ذلك بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ويُقَطَّعَ على ذلك وتُحْتَمَّ به الآية .

ومثله : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾^(٤) هنا الوقف ، ولا يجوز أن يوصل بقوله : ﴿ وَالظَّالِمِينَ ﴾ ويُقَطَّعَ على ذلك^(٥) .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥١/٥) والطبراني (انظر مجمع الزوائد ٧/١٥١) وابن جرير في

مقدمة تفسيره (٤٣/١) وأبو عمرو الداني في المكتفى / ص ١٣٠ .

(٢) القطع معناه هنا : الوقف . (٣) البقرة : ٨١ .

(٤) الإنسان : ٣١ (٥) انظر المكتفى للداني / ص ١٣٢ .

هذا هو معنى هذا الحديث، وليس معناه ماتوهمه بعضهم من أن الصحابة كان مرخصاً لهم تبديل كلمات القرآن .

وحديث أم سلمة رضي الله عنها: أنها سُئلت عن قراءة النبي ﷺ فإذا هي تنعت قراءةً مفسرةً حرفاً حرفاً، وقالت: كان يقطعُ قراءته يقول: الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف، وكان يقرأ ملك يوم الدين . رواه الترمذي وأبو داود .

وفي لفظ عند أبي داود: قالت: قراءة رسول الله: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، يُقطعُ قراءته آيةً آيةً^(١) .

فهذا الحديث يدل على أنه ينبغي الوقف على رؤوس الآي، ولعل من فوائد ذلك العناية بعدد الآي ومعرفة الفواصل، إذ ورد عنه ﷺ أنه كان يعلمهم ذلك كما يعلمهم القرآن^(٢) .

ولكن إذا اشتد تعلق ما بعد الآية بها، فنختار للقارئ أن يجمع بينها بأن يقف أولاً على رأس الآية، ثم يصلها بما بعدها .

مثاله: ﴿... لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة... ﴿...﴾^(٣) فإذا

(١) الترمذي (١٨٣/٥) وأبو داود (١٨١/٢) .

(٢) يدل على ذلك ما رواه ابن جرير في مقدمة تفسيره (٢٣/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تمارينا في سورة الفرقان فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيهِ، قال: فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة . قال: فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال: (إنها هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم) قال: ثم أسرَّ إلى علي شيئاً فقال لنا علي: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم .

(٣) البقرة: ٢١٩، ٢٢٠

وقف على «تفكرون» لا يبدأ بها بعده، بل يصل الآية بها بعدها لأن الجار والمجرور متعلق بالفعل «تفكرون» ولا يصح له معنى بدونه.

وأما إذا كان الوقف على رأس الآية يحيل المعنى ويفسده فالوقف عليه قبيح.

مثاله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(١).

فالوقف على قوله: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ يفسد المعنى، لأنه يوهم أن الوعيد للمصلين مطلقاً، فهذا مثل أن تحتّم آية عذاب برحمة، وقد ثبت أن السلف كانوا يراعون المعاني في الوقف والقطع^(٢).

فعن ميمون بن مهران قال: إني لأقشعر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتماً عليه ألا يقصُر عن العشر، إنما كانت القراءة تقرأ القصص إن طالت أو قصرت، يقرأ أحدهم اليوم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٣) ويقوم في الركعة الثانية فيقرأ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾^(٤).

يقصد بالقراءة: الصحابة، إذ ميمون بن مهران من كبار التابعين^(٥).

(١) الماعون: ٤، ٥.

(٢) القطع هنا معناه: الانصراف عن القراءة إما بركوع إذا كان في الصلاة أو بغير ذلك إذا كان في غير الصلاة، بخلاف الوقف فمعناه: قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة (انظر النشر ١/ ٢٤٠).

(٣) (٤) البقرة: ١١، ١٢.

والخبر في المكتفى للداني / ص ١٣٥، والقطع والانتناف للنحاس / ص ٩١.

(٥) ميمون بن مهران أبو أيوب الجزري الرقي، حدث عن أبي هريرة، وعائشة، =

وعن عامر الشعبي قال: إذا قرأت: ﴿كل من عليها فان﴾ فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(١).

وعن قتادة^(٢) في قوله عز وجل: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيباً...﴾^(٣) قال: أنزل الكتاب قيباً ولم يجعل له عوجاً^(٤).

قال النحاس: فيجب على هذا ألا يقطع عند (عوج) لأن «قيباً» راجع إلى ما قبله.

ومعنى هذا أن الصحابة كانوا يراعون تمام المعنى في التلاوة فلا يركعون إلا على التمام، ويدخل فيه الكافي^(٥) فقد ثبت من حديث عبد الله ابن مسعود لما طلب منه النبي ﷺ أن يقرأ عليه، فقرأ ابن مسعود من سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا

= وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، ولد سنة أربعين، وتوفي سنة (١١٧هـ) (سير أعلام النبلاء ٧١/٥).

(١) الرحمن: ٢٦، ٢٧، والخبر في النشر ٢٢٥/١.

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب، من كبار التابعين بالبصرة (مشاهير علماء الأمصار / ص ٩٦).

(٣) الكهف: ١، ٢.

(٤) الخبر رواه النحاس بإسناده (القطع والائتناف / ص ٩٠).

(٥) التمام أو التام: هو ما تم به المعنى ولم يبق تعلق لما بعده به، بخلاف الكافي فإنه يبقى تعلق لما بعده به وإن كان معناه تاماً فيكتفي بنفسه ويستغني عما بعده (النشر ٢٢٥/١، ٢٢٦).

بِكَ عَلَى هَوْلَاءِ شَهِيداً»^(١) قال له النبي ﷺ : حسبك الآن . الحديث^(٢) .

وهذا الوقف من الكافي ، لأن قوله بعده : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ متعلق به .

هذا مع أنه ثبت عنهم أنهم كانوا يتعلمون القرآن عَشْرًا عَشْرًا ، وفي رواية خَمْسًا خَمْسًا^(٣) ، لكن هذا في التعلُّم وذلك في التلاوة .

وكذلك فإن ما ثبت عنه ﷺ من تقطيع قراءته آية آية ليس على إطلاقه بل إنَّ فِعْلَ الصحابة يدل على أنه مقيد بتمام المعنى ، وأكثر رؤوس الآي من التمام ، أما إذا تعلق المعنى بين الآيتين تعلقاً شديداً فنختار للقارئ الوصل^(٤) ولو وقف على رأس الآية متمسكاً بظاهر حديث أم سلمة لم ننكر عليه ، فهو مذهب بعض القراء ، مع أن ما اخترناه أحسن للتدبر ، إلا إذا كان الوقف يفسد المعنى فننكر عليه كما بينا في آيات سورة الماعون .

(١) النساء : ٤١ .

(٢) متفق عليه : البخاري (١١٢/٦) ومسلم (١/ص ٥٥١ / الحديث رقم ٨٠٠) .

(٣) راجع / ص ٢٩ .

(٤) في قوله : « . . . لعلكم تفكرون » إذا وقف على هذه الآية ثم ابتداء : « في الدنيا والآخرة . . . » ووقف لأنه تام ، وابتداء : « ويسألونك عن اليتامى . . . » كيف يكون حال « في الدنيا والآخرة »؟ جار ومجرور متعلق بماذا؟ .

وسمعت بعض أئمة المساجد يقرأ : « فأما من ثقلت موازينه » ووقف ، ثم قال : « فهو في عيشة راضية » ثم قال : « وأما من خفت موازينه » ووقف ، ثم قرأ : « فأمه هاوية » ، لم تشفع الجملة الشرطية (وأما) القائمة مقام أداة الشرط . ولا الفاء الواقعة في جوابها ، كل ذلك لم يشفع للآية عند هذا الإسام وأمثاله حتى لا يقطع أوصال المعنى . فحديث أم سلمة عنده

ومن سننهم أنهم كانوا لا يَقْطَعُونَ حتى يتموا الآية، فلا ينبغي للقارئ خاصة في الصلاة أن يقف أثناء الآية ثم يركع أو ينصرف، روى الجزري بإسناده عن عبدالله بن أبي الهذيل^(١) قال: إذا قرأ أحدكم الآية فلا يقطعها حتى يتمها^(٢).

ومراعاة الوقوف. عند القراءة أكبر معين على التدبر، ومعرفتها متوقفة على معرفة التفسير والإعراب، فحسب أوجه التفسير أو أوجه الإعراب يختلف الوقف، ثم إذا تبصر المَجُودَّ بهما وأتقن الوقوف فإنه يُبرِز المعاني وُجُلَّى عن محاسنها، بل ويفسر الآيات بترتيبه^(٣).

= يفيد الوقف على رؤوس الآي مطلقاً مهما تقطعت أوصال المعاني لا يبالي بما يعترضها من تمزيق وتشتيت، ونحن نقول حديث أم سلمة يفيد أنه كان غالب حال النبي ﷺ الوقف على رؤوس الآي، ولعل من مقاصده في ذلك تعليم الصحابة رؤوس الآي، وهذا لا يمنع أنه كان يراعي اتصال المعاني وسلامتها، ولو أن ذلك التقطيع لأوصال المعنى والتشتيت وقع أثناء الآية لما خَالَفْنَا أحدٌ في الإنكار عليه، فكذلك هنا، وقد ورد أن النبي ﷺ استقبح الوقف على ما يجيل المعنى ويفسده في كلام الناس وأنكر على صاحبه كما ثبت في حديث الخطيب وسيأتي، فما بالك بكلام الله.

(١) عبد الله بن أبي الهذيل أبو المغيرة العنزي الكوفي، روى عن أبي بكر، وعمر، مرسلًا، وروى عن علي وعمار، وأبي، وابن مسعود، وخباب، وأبي هريرة، وعدة.
قال الحافظ ابن حجر: مات في ولاية خالد القسري في العراق (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٠)
(التقريب ١/ ٤٥٨).

(٢) النشر للجزري ١/ ٢٣٩.

(٣) وما يساعد على معرفة الوقوف وإتقانها: مطالعة كتب التفسير، ومطالعة كتب إعراب القرآن مثل: (إملاء مامن به الرحمن) للعكبري، و(الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون) للسمين الحلبي، ومطالعة كتب الوقوف، وقد نشر منها حتى الآن: (إيضاح =

ولذا نبه النبي ﷺ إلى وجوب العناية بهذا الشأن، ورد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: جاء رجلان إلى رسول الله ﷺ فتشهد أحدهما فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما. فقال رسول الله ﷺ: (بئس الخطيب أنت فقم)^(١).

وهذا الحديث أصله في الصحيح^(٢)، والمحذور الذي وقع فيه الخطيب حسب هذه الرواية الصحيحة هو وقوفه على: ومن يعصهما. فأفسد المعنى، إذ أوهم أن من يعصهما فقد رشد أيضاً، هذا هو سبب إنكار النبي ﷺ عليه، وليس ما ذكره بعضهم من أنه جمع بين الله ورسوله بضمير واحد، فقد وقع ذلك من النبي ﷺ نفسه في قوله: (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)^(٣).

فإذا كان النبي ﷺ استقبح هذا في كلام الخطيب، فلأن يستقبحه إذا وقع من أحد في كلام الله من باب أولى، كما لو قرأ أحد: ﴿إِنَّمَا

= الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة (٣٢٨هـ) والقطع والانتناف) لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨)، والمكتفى في الوقف والابتداء) للمحافظ أبي عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤)، والمقصد لتلخيص مافي المرشد/ للعسائي) والمقصد للنووي زكريا بن محمد المتوفى سنة (٩٢٦)، و(منار الهدى في الوقف والابتداء) للأشموني .

(١) رواه النحاس بإسناده في (القطع والانتناف) / ص٨٨، والداني في (المكتفى) من رواية أبي داود / ص١٣٣ .

(٢) مسلم في صحيحه في الجمعة ٢/٥٩٤ .

(٣) النسائي في سننه في الإيمان (٩٦/٨) وابن ماجه في الفتن من سننه / ص١٣٣٨، ١٣٣٩ .

يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى . . ﴿١﴾ ووقف، أو قرأ: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ
عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ . . ﴿٢﴾ ووقف، أو قرأ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ
مَعَهُ . . ﴿٣﴾ ووقف، أو قرأ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي . . ﴿ ووقف، وأمثال هذا
كثير.

وقد ورد ما يدل على عناية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بتعلم
الوقوف:

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: لقد عشنا برهة من دهرنا
وإن أهدنا لِيُؤْتَى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فتعلم
حلالها وحرامها وما ينبغي أن يُوقَفَ عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم
القرآن، ولقد رأيت رجلاً يُؤْتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين
فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يُوقَفَ عنده منه
ينثره نثر الدَّقْل (٤).

قال النحاس: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون التمام كما
يتعلمون القرآن، وقول ابن عمر: لقد عشنا برهة من الدهر. يدل على أن
ذلك إجماع من الصحابة (٥).

(٢) يوسف: ١٧ .

(٤) الحاكم (١/٣٥).

(١) الأنعام: ٣٦ .

(٣) الفتح: ٢٩ .

(٥) القطع والائتناف / ص ٨٧ .

وراجع في هذا الباب: جمال القراء للسخاوي (٢/٥٤٨ - ٥٦٢) ومنهاج الإيمان للحليمي
(٢/٢٤٦ - ٢٥٦).

قال أبو مجاهد: وقوله: ولا ما ينبغي أن يُوقَفَ عنده منه . يقصد الوقف والوصل في القراءة، بدليل قوله بعده: ينثره نثر الدَّقَل . فلا يُقال: أن يوقف عنده أي من الأحكام والأمر والزاجر.

الفتح والإمالة

روى ابن أبي شيبة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ «طه» وكسرها، ثم قال هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ^(١).

الكسر: هنا معناه الإمالة، سمي كسراً لأنه يميل الألف إلى جهة الكسرة ويسمى أيضاً إضجاعاً: كأنه يضحج الألف.

وقد وردت القراءات المتواترات بكل من الفتح والإمالة، كما وردت بالتقليل الذي يسميه بعض القراء بين^(٢).

فأما الفتح فهو قراءة ابن كثير، وغالب قراءة عاصم، لم يرد عنه إمالة إلا في موضع واحد من رواية حفص^(٣)، وأما الإمالة فقراءة حمزة، والكسائي، ورواية لابن ذكوان عن ابن عامر، وقراءة أبي عمرو البصري، ورواية لقالون عن نافع، والتقليل الذي هو بين بين رواية ورش عن نافع، ورواية للدوري عن أبي عمرو، فكل من الفتح والإمالة وبين وبين ثبتت قرآنيته بالتواتر، ثم زاد هذا الثبوت قوة أن الخليفة الراشد عثمان بن عفان

(١) راجع / ص ١١٩ .

(٢) وقد أفرد هذا الباب في مصنف الحافظ أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، له كتاب (الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة وبين وبين) منه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة .

(٣) في سورة هود في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِنَهَا وَمَرَسَاهَا...﴾ أمال حفص الألف الأولى في (مجريها) وليس له إمالة في غير هذا الموضع .

رضي الله عنه أثبت القراءتين في مصاحفه، فكتب بعض الألفات بالفتح، وبعضها بالإمالة^(١).

والفتح لغة أهل الحجاز، قريش وما جاورها، والإمالة لغة قيس وتميم وأسد، وعمامة أهل نجد^(٢)، فهما لغتان مشهورتان من لغات العرب الفصحى، وقراءتان ثابتتان متواترتان لا ترجيح لإحدهما على الأخرى. روى ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء، قال: يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة^(٣).

وبعضهم يرجح الفتح ويجعله الأصل، مستدلاً بقوله ﷺ: (نزل القرآن بالتفخيم)^(٤)، وليس الأمر كذلك، فالتفخيم المقصود في الحديث، في مثل: (الصدفين) (عذراً أو نذراً)^(٥) والمراد أن يحافظ القارئ على وقار القرآن وجلاله فلا يتشبهه في صوته ولا في نغمته بالنساء، فلا ينبغي أن يبالغ في ترقيق صوته، ولا ينبغي أن يتشبهه بالفساق أهل الغناء الشيطاني الذين اعتادوا على الخلاعات، والتأوهات، والتكسرات، مما لا يليق بكلام الله.

(١) بعض الألفات كتبت ياءً مثل «تغشها» و«مجرنها» و«الأولى» «يغشى» «الأنثى»، وبعضها كتبت بالألف مثل: «جاء» «شاء» «الناس» «النار»، وبعضها حذفت مثل «الكافرين».

(٢) انظر (إبراز المعاني) لأبي شامة/ ص ١٥٢، و(النشر للجزري ٣٠/٢)، و(شرح المفصل) لابن يعيش ٥٤/٩، و(مجمع الهوامع) للسيوطي ٢٠٤/٢، والإنتقان في علوم القرآن للسيوطي أيضاً (٣١٣/١).

(٣) انظر النشر للجزري (٣١/٢).

(٤) (٥) راجع / ص ١١٩.

وأما ما نقل عن بعض الأئمة^(١) من كراهة الإمالات الكثيرة في قراءة حمزة فيحمل على أحد وجهين:

١ - إما أنه سمع أناساً لم يتقنوا القراءة وبالغوا في الإمالة حتى خرجوا بها عن الحد، ونسبوا ذلك لحمزة^(٢).

٢ - وإما أن تواتر القراءة بالإمالة لم يبلغه، وهذا مع احتماله مستبعد، لأنها كانت شائعة مشهورة، خاصة في العراق، فعامة قراء الكوفة والبصرة كانوا يميلون، إما بكثرة كالكسائي وحمزة، وأبي عمرو، وإما على قلة كعاصم.

وأقول: إنه التخصص، فكل علم له أهله، وكما أن بعض أئمة القراءة كانوا لا يتقنون الحديث ولا يحفظون أسانيده، كحفص بن سليمان الغاضري الكوفي، ف كذلك بعض أئمة الحديث أو الفقه كانوا لا يتقنون القراءات ولا يعرفون عن أسانيدها كثيراً لأنهم لم يشتغلوا بذلك، هذا مع جلالة قدرهم وعلو مكانتهم.

(١) هو الإمام أحمد رحمه الله، وهو سبب إفرادنا هذا الباب من أصول القراء بالذکر، وقد نقل ذلك عنه ابن قدامة في المغني (٢/١٦٥/ طبعة التركي)، وابن القيم في إغاثة اللهفان/ ص ١٨١.

(٢) راجع: جمال القراء للسخاوي (٢/٥٢٦-٥٢٩).

تحزيب القرآن

هذا الباب يشمل مسألة أخرى هي : المدة التي يختتم فيها القرآن .

أما الأصل في (تحزيب القرآن) فحديث أوس بن حذيفة رضي الله عنه^(١) أن النبي ﷺ كان يأتي وقد ثقيف لما قدموا عليه فيحدثهم، وأنه أبطأ عليهم ليلة فقالوا: أبطأت عنا الليلة؟ قال: (إنه طرأ عليّ جزئي من القرآن فكرهتُ أجيء حتى أتمه) قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف يُحزَّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده. ومثله حديث ابن الهادي^(٢) قال: سألت نافع بن جبير بن مطعم^(٣) فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟

(١) أبو داود (٥٥/٢) وابن ماجه (٤٢٧/١) قال ابن معين: إسناده هذا الحديث صالح وحديثه عن النبي ﷺ في تحزيب القرآن ليس بالقائم (انظر هامش مختصر سنن أبي داود ١١٣/٢) (وأسد الغابة ١٦٧/١-١٦٩) واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن ترتيب السور كان مشهوراً لدى الصحابة كما هو معروف الآن في المصحف.

وهذا التحزيب النبوي رمز بعضهم لترتيبه بقوله: (فمي بشوق): فالأول منه: من الفاتحة إلى المائة، والثاني: من المائة إلى يونس، والثالث: من يونس إلى سورة بني إسرائيل (الإسراء)، والرابع: من سورة بني إسرائيل إلى الشعراء، والخامس: من الشعراء إلى الصافات، والسادس: من الصافات إلى ق، والسابع: حزب المفصل من ق إلى آخر القرآن. |

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي، مات بالمدينة سنة ١٣٩ (تهذيب التهذيب ٢٣٩/١١).

(٣) من التابعين، مات سنة تسع وتسعين (تهذيب التهذيب ٤٠٤/١٠).

فقلت: ما أحزبه. فقال لي نافع: لا تقل ما أحزبه فإن رسول الله ﷺ قال: (قرأت جزءاً من القرآن) قال: حسبت أنه ذكره عن المغيرة بن شعبه^(١).

ومما يدل على أن النبي ﷺ كان حزبه ما ذكر في حديث أوس قوله لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (اختمه في سبع ولا تزيدن على ذلك)^(٢).

فدل هذا الحديث على أن أفضل تحزيب لختم القرآن هو السبع، والنبي ﷺ أولى دائماً بالأفضل وأحرص عليه، فحزبه إذن هو الختم في سبع. وأما تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً. فأصله حديث عبد الله بن عمرو أيضاً، ففي رواية الصحيح أن النبي ﷺ بدأ بقوله: (اختمه في شهر)^(٣).

(١) أبو داود (٥٦/٢).

(٢) متفق عليه، وسيأتي.

(٣) ثم في زمن التابعين كان أول من قسم المصحف إلى هذه الأجزاء وهذه الأحزاب والأرباع وخمس وعشراً: نصر بن عاصم الليثي البصري المتوفى سنة (٩٠هـ) [انظر ترجمته في غاية النهاية للجزري ٣٣٦/٢]، وأول من نَقَطَ المصاحف نَقَطَ الإِعْجَامِ يحيى بن يعمر العدواني البصري المتوفى قبل سنة (٩٠هـ) [انظر ترجمته في غاية النهاية ٣٨١/٢]، وأول من نقطها نَقَطَ الإِعْرَابِ شيخهما أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم بن عمرو المتوفى سنة (٦٩هـ).

ويبدو لنا والله أعلم أن من جزأ القرآن إلى ثلاثين جزءاً وحدد أوائل الأجزاء بما نعرفه اليوم في المصاحف حرص على هذه التجزئة بصرف النظر عن ارتباط القصص والمعاني، فأوائل بعض الأجزاء مرتبط أشد الارتباط بما قبله، مثل: ﴿... والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيهاتكم...﴾ الجزء الخامس، ومثل: ﴿... إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء...﴾ الجزء الحادي عشر، ولا نستبعد أنه اتبع في ذلك شيئاً وجدّه عن الصحابة، فنحن نعلم أن من عادة السلف أنهم إذا وردهم الأثر لم يلتفتوا إلى غيره، وقد أشرنا إلى أن حديث أوس يدل على أن ترتيب السور المثبت اليوم في المصاحف كان معروفاً لدى الصحابة، وكذلك التجزئة إلى ثلاثين جزءاً كما يفهم من حديث عبدالله بن عمرو، بقي فقط تحديد أوائل هذه الأجزاء؟

وأما في كم يختم القرآن ؟

فالأصل فيه حديثُ عبدالله بن عمرو بن العاص المُشارُ إليه ، وهو :
ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود ، عن عبدالله بن عمرو قال :
قال لي رسول الله ﷺ : (ألم أُخبر أنك تصوم الدهر ، وتقرأ القرآن كل
ليلة؟) قلت : بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير . قال : (فصم صوم
داود - وكان أعبد الناس - واقراً القرآن في كل شهر) قال : قلت : يا نبي الله
إني أطيق أفضل من ذلك . قال : (فاقرأه في كل عشرين) قال : قلت يا نبي
الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : (فاقرأه في كل عشر) قال : قلت يا نبي
الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : (اقرأه في كل سبع لاتزد على ذلك)
قال : فشددتُ فشدد علي ، وقال لي : (إنك لاتدري لعلك يطول بك عمر)
قال : فصرتُ إلى الذي قال لي النبي ﷺ ، فلما كبرتُ وددتُ أني كنتُ
قبلتُ رخصةَ نبي الله ﷺ (١) .

وفي رواية الترمذي : أن رسول الله ﷺ أمره أن يقرأ القرآن في
أربعين (٢) .

وفي أخرى له ولأبي داود : أن رسول الله ﷺ قال : (لم يفقه من قرأ
القرآن في أقل من ثلاث) (٣) .

(١) البخاري في فضائل القرآن من صحيحه (١١٣/٦) ومسلم (انظر شرح النووي على
مسلم ٤٢/٨ ، ٤٣) .

(٢) سنن الترمذي (٥/١٩٧) .

(٣) سنن أبي داود (٥٤/٢) .

فهذا الحديث مع أحاديث أخرى ترتب طبقات الناس في هذا الباب كما يأتي :

١ - أفضل شيء في هذا الباب أن يقرأ سُبُحاً من القرآن ، أي ما يزيد قليلاً على أربعة أجزاء ، فيختم القرآن في سَبْع .

هذا أفضل ، لأنه حزب النبي ﷺ .

٢ - أن يقرأ كل يوم عَشْرًا ، أي ثلاثة أجزاء ، فيختم القرآن في عشرة أيام .

٣ - أن يقرأ كل يوم جزءاً ونصف ، فيختم القرآن في عشرين .

٤ - أن يقرأ كل يوم جزءاً ، فيختم القرآن في شهر .

٥ - أن يقرأ كل يوم ألف آية ، فإن لم يستطع فمائة آية ، فإن لم يستطع فعشر آيات . وذلك لما رواه أبو داود عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)^(١) .

٦ - أن يقرأ سورة يس ، أو حم الدخان كل ليلة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ، ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له)^(٢) .

٧ - أن يقرأ سورة الملك (تبارك الذي بيده الملك) فعن أبي هريرة عن

(١) أبو داود في سننه (٥٧/٢) .

(٢) قال ابن كثير : إسناده جيد (تفسير ابن كثير ٥٨٧/٣) .

رسول الله ﷺ قال: (إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك) (١).

وفي رواية: (سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: تبارك الذي بيده الملك) (٢).

٨ – أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة، ففي الصحيحين عن أبي مسعود عن النبي ﷺ قال: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) (٣).

٩ – أن يقرأ عشر آيات من أول الكهف، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) رواه مسلم (٤).

١٠ – أن يقرأ سورة (قل يأيها الكافرون)، ففي مسند أحمد عن نوفل ابن معاوية عن أبيه أن النبي ﷺ قال له: (اقرأ قل يأيها الكافرون ثم نم على خاتمها فإنها براءة من الشرك) (٥).

١١ – أن يقرأ سورة الإخلاص فإنها تعدل ثلث القرآن، فعن أبي

(١) انظر مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر (١٥/ص ١٢٧ / الحديث رقم ٧٩٦٢) والحديث رواه أهل السنن الأربعة.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤/٤١٩).

(٣) البخاري (٦/١٠٤) ومسلم (الحديث رقم ٨٠٨ من صلاة المسافرين ١/٥٥٥).

(٤) مسلم في صلاة المسافرين من صحيحه (١/٥٥٥).

(٥) أحمد في مسنده (انظر الفتح الرباني ١٨/٣٣٩) والإصابة ٦/٤٨٢).

سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددّها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقّالها، فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)^(١). وفي رواية أنه ﷺ قال: (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟) فشق ذلك عليهم وقالوا: أينما يطيق ذلك يارسول الله؟ فقال: (قل هو الله أحد ثلث القرآن)^(٢).

١٢ – وأفضل من ذلك أن يجمع القواقل الأربعة: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾. فإن قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين فخير عظيم:

عن عقبه بن عامر أن النبي ﷺ قال له: يا عقبه ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم) قال: قلت بلى جعلني الله فداك. قال: فأقرأني قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. وقال: (يا عقبه لاتنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن)^(٣).

وفي الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما

(١) (٢) البخاري (١٠٥/٦) وانظر تفسير ابن كثير (٦٠١/٤).

(٣) ابن كثير (٦٠٥/٤).

استطاع من جسده يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات . رواه البخاري^(١)

وأما إذا خلا المسلم في يومه وليلته من كل هذه الفضائل القرآنية فلينتبه لنفسه فهو من الغافلين .

وقد التزم بعض قراء الصحابة بحزب النبي ﷺ :

منهم عبد الله بن مسعود: عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: كان عبدالله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة^(٢) .

وعن أبي المهلب^(٣) قال: كان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان، وكان تميم الداري يختمه في كل سبع^(٤) .

وبعضهم كان يختمه في أقل من ذلك :

فعن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال: يارسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: (نعم) قال: فكان يقرأه حتى توفي^(٥) .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن

(١) البخاري (١٠٦/٦) .

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (مخطوط / ص ٣٤) .

(٣) اسمه عمرو بن معاوية، روى عن عمر، وعثمان، وأبي بن كعب، وهو عم أبي قلابة (تهذيب التهذيب ١٢ / ٢٥٠) .

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد (مخطوط / ص ٣٤) .

(٥) أبوداود (٢ / ٥٥) .

في شهر رمضان في ثلاث^(١).

وأما الختم في ليلة فلم يكن من فعل النبي ﷺ، وسبق ذكر نبيه عن الختم في أقل من سبع، ثم في أقل من ثلاث، ولكنه روي عن بعض الصحابة والتابعين:

فعن ابن سيرين أن نائلة بنت القرافصة الكلبية قالت حين دخلوا على عثمان ليقتلوه: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحمي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن^(٢).

وروي مثل ذلك عن تميم الداري، وعن بعض التابعين كسعيد بن جبير، وعلقمة النخعي^(٣).

ويحمل هذا وأمثاله من الأخبار^(٤) على أنه لم يبلغهم النبي عن ختم القرآن في أقل من ثلاث.

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٥).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (مخطوط / ص ٣٥) قال: وحدثنا هشام قال أخبرنا منصور، عن ابن سيرين. وذكره.

وروى عن حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني ابن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال: إن شبيب أخبرك عن صلاة عثمان؟ قال: نعم، وفيه ذكر أنه رأى عثمان بالحجر قرأ القرآن في ركعة.

(٣) نفس المصدر.

(٤) ومن غرائب ذلك ما رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٣٦ من نسخة ألمانيا) قال: حدثنا سعيد بن عفير عن بكر بن مضر: أن سليم بن عتير التجيبي كان يجتم القرآن في الليلة ثلاث مرات ويجمع ثلاث مرات، فلما مات قالت امرأته: يرحمك الله إنك كنت لترضي ربك وترضي أهلك. قالوا لها: وكيف ذلك؟ قالت: كان يقوم من الليل فيختم القرآن ثم يلم =

فصل : فيمن نام عن حزبه :

عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل) أخرجه مسلم^(١).

= بأهله ثم يغتسل ، ويعود فيقرأ حتى يجتم ثم يلم بأهله ثم يغتسل ، ثم يعود فيقرأ حتى يجتم ثم يلم بأهله ثم يغتسل ، فيخرج إلى صلاة الصبح .
قلت : إسناده جيد ، وهذا من باب الكرامات لا من باب الأسباب .
(١) صحيح مسلم (١/ص ٥١٥ / الحديث رقم ٧٤٧) .

قيام الليل بالقرآن

من سنن النبي ﷺ قيام الليل بالقرآن، فيحى ليله بالصلاة وقراءة القرآن، ولم يكن يزيد في رمضان وغيره على إحدى عشرة ركعة، لا تسأل عن حسنهن وطولهن، كما ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها^(١)، وكان يطيل القيام والقراءة والسجود، سجوده على قدر ما يقرأ أحد الصحابة خمسين آية^(٢).

هذا فعله ﷺ. ولا يطيقه إلا أولوا العزائم، ولذلك من شفقتة على أمته لما سئل عن قيام الليل أجاب بغير ذلك فقال: (صلاة الليل مثني مثني، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما صلى)^(٣).

هذا أرفق بالأمة، وهذا الأسلوب النبوي يدل على أنه لا حد لعدد الركعات في صلاة الليل خاصة، وفي النوافل عموماً، إلا ما ورد فيه نص خاص، بل يصلي المؤمن حسبما يتيسر له، إن شاء سبع ركعات أو تسعاً، أو إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة. أو أكثر، أو أقل، وبعض الصحابة كعثمان بن عفان، وتميم الداري، ومعاوية رضي الله عنهم صح عنهم أنهم

(١) البخاري في التهجد (انظر فتح الباري ٧٣/٣).

(٢) روى البخاري في التهجد من صحيحه (فتح الباري ١٩/٣) عن عبد الله بن مسعود قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء، قالوا ما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ.

(٣) البخاري في الوتر من التهجد (انظر فتح الباري ٤٧٧/٢، ٧/٣).

قاموا بركعة واحدة^(١)، فعدد الركعات أمر فيه سعة والحمد لله على يسر الشريعة.

واقتردى السلف أصحاب رسول الله ﷺ بسيدهم ونببيهم، فكانوا يحيون الليل بالقرآن، في حياته ﷺ، وبعده، قال ﷺ: (إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل)^(٢). وهذا ثناء منه ﷺ على حالهم هذا.

وأما قيام رمضان، أو صلاة التراويح : جمع ترويح، وهي المرة الواحدة من الراحة، سميت بذلك صلاة القيام جماعة في ليالي رمضان لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمين.

سناها رسول الله ﷺ جماعة في المسجد، ففي صحيح البخاري في أبواب صلاة التراويح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس

(١) انظر (فتح الباري ٤٨٢/٢) وقيام الليل لمحمد بن نصر المروزي (انظر مختصره/ص ٦٨).

(٢) البخاري في المغازي من صحيحه (٨٠/٥).

فتشهد ثم قال : (أما بعد فإنه لم يخفَ عليَّ مكانكم ولكني خشيت أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها) فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك - أي على ترك الجماعة في التراويح - بل كانوا يصلون أوزاعاً - أي متفرقين .

ثم أحيا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك السنة النبوية ، فجمع الناس مرة أخرى في صلاة التراويح على جماعة واحدة في المسجد ، كما في صحيح البخاري :

عن عبدالرحمن بن عبدالقاري أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل . ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله^(١) .

أخذ عمر الفاروق رضي الله عنه هذه السنة من فعل النبي ﷺ وتقريره من صلى معه في تلك الليالي فإنه لم ينكر عليهم ، وبين سبب عدم خروجه إليهم من الليلة الرابعة وهو خشيته من أن تفرض عليهم .

وأما قول عمر : (نعم البدعة هذه) فمعنى البدعة لغة : هو ما اخترع على غير مثال سابق ، وهنا استخدم عمر هذا اللفظ لأنه مضى

(١) البخاري في التراويح من صحيحه (انظر فتح الباري ٤/٢٥٠) .

صدر من خلافته، ومضت خلافة أبي بكر، ومضى قسم من العهد النبوي والتراويح لا تُقام جماعة واحدة في المسجد منذ أن امتنع النبي ﷺ عن الخروج إليهم، فهي بدعة باعتبار ذلك، وليست بدعة مطلقاً، لأنه سبق لها أصل من فعل النبي ﷺ، فهذا من التجوز في التعبير، وهو أسلوب عربي فصيح.

ومضى فقه الفاروق رضي الله عنه وأرضاه، وجرى العمل عليه في مساجد المسلمين على مر العصور، والله الحمد والمنة، فلو ترك أهل قرية صلاة التراويح في المسجد فقد هجروا سنة من سنن المصطفى ﷺ.

وأما كم ركعة كانوا يصلونها في عهد عمر؟

فقد ثبت أنهم صلوها إحدى عشرة ركعة، روى ذلك مالك في موطنه عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد^(١)، وثبت أنهم صلوها عشرين ركعة، أي بدون الوتر، ومع الوتر ثلاث وعشرون، روى ذلك سعيد بن منصور في سننه عن يزيد بن خُصَيْفَة^(٢) عن السائب، وروى مثل ذلك عن يزيد بن رومان^(٣) وعن عطاء^(٤)، ودل عمل التابعين بعد ذلك على أن

(١) السائب بن يزيد صحابي صغير، هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. وأما محمد بن يوسف فهو الكندي المدني، والسائب بن يزيد عمه، ذكره ابن جبان وابن شاهين في الثقات (تهذيب التهذيب ٥٣٥/٩).

(٢) يزيد بن عبدالله بن خُصَيْفَة الكندي المدني، ثقة (تقريب التهذيب ٣٦٧/٢).

(٣) يزيد بن رومان المدني، مولى آل الزبير، ثقة (تقريب ٣٦٤/٢).

(٤) عطاء بن أبي رباح، من كبار التابعين بمكة.

الأصل في هذه السنة النبوية أنه لا حد لعدد ركعاتها مادامت مثني مثني ،
على ما قال النبي ﷺ : (صلاة الليل مثني مثني) .

قال داود بن قيس^(١) : أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان^(٢)
وعمر بن عبدالعزيز - يعني بالمدينة - يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون
بثلاث^(٣) .

قال مالك : وهو الأمر القديم عندنا^(٤) .

قال الشافعي : رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة
بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق^(٥) .

والسبب في لجوء السلف إلى تكثير عدد الركعات التخفيف على
الناس ، لأن تقليل عدد الركعات يقتضي طول القيام ، واناس ليسوا سواء
فيهم الضعيف وذو الحاجة ، ولذلك تأمل كيف أن النبي ﷺ الذي ما زاد
في تهجده على إحدى عشرة لم يجب بذلك من سألته عن قيام الليل ، بل
أجابها بما يقتضي التخفيف ، وهو الإكثار من الركعات على أن تكون مثني
مثني : (صلاة الليل مثني مثني ، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى واحدة

(١) داود بن قيس الفراء الدباج أبو سليمان القرشي مولا هم المدني ، ثقة فاضل
(تقريب ١/٢٣٤) (مشاهير علماء الأمصار/ص ١٣٦) .

(٢) أبان بن عثمان بن عفان ، أبو سعيد ، مات في ولاية يزيد بن عبد الملك (مشاهير علماء
الأمصار/ص ٦٧) .

(٣) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٩٥) .

(٤) فتح الباري (٤/٢٥٣) .

(٥) فتح الباري (٤/٢٥٣) .

توتر له ما قد صلى^(١) هذا هو الذي يناسب حال الناس ، وذلك هو الذي يناسب حال من كان من الخواص إذا كان وحده^(٢) .

وهذه السنة (صلاة التراويح) من مقاصدها تلاوة القرآن وسماعه ، لذلك ينبغي تقديم الحفاظ المتقنين المجودين ذوي الأصوات الحسنة ، يؤخذ هذا من اختيار عمر لأبي بن كعب الذي كان يقول عنه : أقرؤنا أبي^(٣) .

ومن سنتهم إضاءة المسجد بالمصابيح وتجميره خاصة في ليالي رمضان ،

(١) متفق عليه : البخاري في التهجد (٤٥/٢) ومسلم في صلاة المسافرين (١/٥١٦/١) الحديث (٧٤٩) .

(٢) زعم بعضهم أن صلاة التراويح عشرين ركعة بدعة ، محتجاً بحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها : «لم يكن رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة» وبأن رواية يزيد بن خصيفة بأنهم صلوا في زمن عمر عشرين لا تصح للاختلاف في يزيد هذا ما بين موثق ومضعف ، وأرى أن هذا من التجاوز والعدوان ، إذ لا يحق لأحد أن يطلق وصف البدعة في هذه المسألة مادام هناك أصل بنيت عليه ، وهو ما فهمناه من قوله ﷺ : «صلاة الليل مثنى مثنى . . .» الحديث . ومادام جماهير التابعين بالمدينة ومكة قالوا به وجرى عليه العمل عندهم ، مع أن الراجح أيضاً أنه ثابت من عمل الصحابة ، فكان ينبغي الاحتياط والتزام الأدب مع السلف ، والضعف الذي زعموه في إسناد حديث العشرين ليس مسلماً لهم ، ومع افتراض التسليم بذلك فهناك من الشواهد ما يكفي لثبوت المتن (انظر لمزيد من البحث صلاة التراويح عشرين ركعة للشيخ إسماعيل الأنصاري) .
وأما من صلاها عشر ركعات مع تخفيف القراءة فنرى أنه لم يصب السنة ، لأن السنة تطويل القراءة إذا اقتصر على العشرة .

(٣) انظر (ص ٣٣) .

وذلك إظهاراً للسرور والابتهاج، ويقال إن عمر بن الخطاب هو أول من فعل ذلك بمسجد النبي ﷺ (١).

(١) أما تجمير المساجد وتطيبها فثابت: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد في الدور وأن تنظف وتُطَيَّب. (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه/ انظر شرح السنة للبغوي ٢/٣٩٩).

وأما إضاءة المسجد بالقناديل ونحوها فقد روى أبو داود (١/١٢٥) عن أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله أفنتا في بيت المقدس؟ قال: (ائتوه فصلوا فيه) وكانت البلاد إذ ذاك حرباً (فإن لم تأتوه فابعثوا بزيت يُسرج في قناديله) ورواه ابن ماجه (١/٢٠٨) والبيهقي في السنن (٥/٣٠) فإذا كان تعليق القناديل ببيت المقدس وتزويدها بما يلزمها من وقود أمراً مندوباً إليه فالمسجد النبوي والمسجد الحرام هما أولى بذلك.

التدبر أثناء القراءة

قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٢).

وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٣).

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت يصلي بها ركعة فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ (٤).

قلت : فإذا كان هذا في الصلاة ففي خارج الصلاة من باب أولى، يشرع للقارئ إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيز بالله من الشر والعذاب، وإذا مر بآية فيها تسبيح لله

(١) ص : ٢٩ .

(٢) النساء : ٨٢ .

(٣) محمد : ٢٤ .

(٤) مسلم في صحيحه في صلاة المسافرين (١ / ص ٥٣٧) .

تعالى وتنزيهه أن يسبح الله وينزهه فيقول : سبحانه وتعالى ، أو تبارك وتعالى ، أو جلت عظمة ربنا^(١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح - وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يردد آية حتى أصبح وبها يركع وبها يسجد - ، والآية : ﴿إِنْ تَعَدَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) .

وهذا من غاية التدبير وكمال التفكير واستحضار معاني القرآن في القلب ، واستحضار عظمة الله تعالى المتكلم بهذا القرآن العظيم . وهذا هو شأن السلف اقتداءً بنبيهم ﷺ :

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رجلاً سأله : كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال : ذلك حسن ، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشرين أحب إليّ ، وسلني لم ذلك؟ قال : فإني أسألك؟ قال زيد : لكي أتدبر وأقف عليه^(٣) .

(١) انظر التبيان للنوي (ص ٤١) .

(٢) المائدة : ١١٨ .

والحديث رواه أحمد في مسنده (١٤٩/٥) والحاكم في مستدركه (٢٤/١) وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩٧/١١) . والبيهقي في السنن (١٤/٣) ، وروى أحمد مثله عن أبي سعيد (المسند ٦٢/٣) .

(٣) رواه مالك في الموطأ (٢٠٠/١) وعبدالرزاق في المصنف (٣٥٤/٣) والبيهقي في الشعب (٩/٥) .

وعن أبي جهمرة^(١) قال : قلت لابن عباس : إني سريع القرآن إني أقرأ القرآن في ثلاث . قال : لأن أقرأ البقرة في ليلة أتدبرها وأرتلها أحب إليّ من أن أقرأه كما تقرأ^(٢) .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً قال له : إني لأقرأ المفصل في ركعة . . فقال ابن مسعود : هَذَا كَهَذَا الشُّعْرُ ! إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع . . الحديث^(٣) .

وفي رواية قال : لا تهذؤوا القرآن هَذَا الشُّعْرُ ولا تنثروه نثر الدَّقْل ، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب .

وفي رواية : اقرأوا القرآن وحركوا به القلوب ، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة^(٤) .

وعن سفيان بن عيينة قال : سمعت مِسْعَرَ بن كِدَام^(٥) يقول : قال رجل لعبدالله بن مسعود : أوصني . قال : إذا سمعت الله عز وجل يقول :

-
- (١) هو نصر بن عمران الضبعي .
 - (٢) عبدالرزاق في مصنفه (٤٨٩/٢) والبيهقي في الشعب (٧/٥) .
 - (٣) مسلم في صحيحه في صلاة المسافرين (٥٦٣/١) .
 - (٤) ابن أبي شيبة (٥٢١/٢) والبيهقي في الشعب (٨/٥) .
 - (٥) . . ابن ظهير الهلالي العامري أبو سلمة ، من أتباع التابعين بالكوفة ، مات سنة (١٥٠) (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان / ص ١٦٩) .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ فَأَصْنَعِ إِلَيْهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ تَوْتَى بِهِ أَوْ سَوْءَ تُصْرَفُ عَنْهُ^(١).

ومن آداب هذا الباب : ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ منكم ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ فانتهى إلى قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل : وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فانتهى إلى قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُجِئَ الْمُوتَى﴾ فليقل : بلى وعزة ربنا ، ومن قرأ : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل : آمناً بالله^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقراً عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال : (لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد^(٣)).

(١) رواه أحمد في كتاب الزهد (ص ١٥٨) وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٠) والبيهقي في الشعب (١٠/٥).

(٢) رواه الترمذي في التفسير من سننه (٥/٤٤٣/٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧).

(٣) الترمذي (٥/٣٩٩/٣٢٩١).

ومن طرائف هذا الباب ما رواه ابن أبي شيبه (١/٣٥٤) أن معاذ بن جبل رضي الله عنه صلى الصبح باليمن ، فقراً بالنساء ، فلما أتى على هذه الآية : ﴿...﴾ وانخذ الله إبراهيم خليلاً قال رجل من خلفه : لقد قرت عين أم إبراهيم .

وكذلك من الآداب إذا سمع أو قرأ قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) أن يصلي ويسلم على النبي ﷺ .

ومن آداب هذا الباب أن يخفض صوته قليلاً إذا قرأ : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢) أو ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٣) أو ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٤) أو ﴿... وَلَدَ اللَّهِ﴾^(٥) ونحو ذلك ، ذكره النووي^(٦) ، وهو أدب حسن فيه تعظيم لله تعالى ، والله يقول : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾^(٧) وهذه المقولات وأشباهاها مما قاله الكفار هو من أقبح السوء .

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الطاهرين

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) التوبة : ٣٠ .

(٣) المائدة : ٦٤ .

(٤) مريم : ٨٨ .

(٥) الصافات : ١٥٢ .

(٦) عزاه في التبيان لإبراهيم النخعي أنه كان يفعله (ص ٥٦) .

(٧) النساء : ١٤٨ .

البكاء عند قراءة القرآن

ومن كمال التدبر وفوائد التفكير في معاني ما يقرأ من كلام الله أو يسمع أن يخشع قلبه، ويرق فؤاده، ويلين جلده لله تعالى، فيغلبه البكاء. قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا. وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (٢).

عن عبد الأعلى التيمي (٣) قال: من أوتي من العلم مالا يبكيه فليس بخليق أن يكون أوتي علماً ينفعه لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ...﴾ وتلا الآيتين (٤).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ عليّ القرآن) فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (إني أحب أن أسمع من غيري) قال: فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩.

(٣) له ترجمة في الحلية (٨٧/٥).

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد / ص ٢٣، والحلية (٨٨/٥).

شَهِيداً^(١) قال: (حسبك الآن) فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه^(٢).

قال ابن بطال^(٣): إنما بكى ﷺ عند سماعه هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية إلى شهادته لأمته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يحق له طول البكاء^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم^(٥).

وهكذا كان حال السلف رضي الله عنهم وأرضاهم، فهم اقتداءً بنبيهم كانوا عند قراءة القرآن أو سماعه يغلبهم الوجل أو البكاء، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٦).

وهذا بخلاف حال أهل الغفلة القاسية قلوبهم، تجدهم عند سماعهم آيات القرآن لاهين، وعنهما متشاغلين، قلوبهم مقفلة عن معانيها.

(١) النساء: ٤١.

(٢) انظر / ٤٦.

(٣) أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي / ت سنة (٤٤٩هـ).

(٤) فتح الباري ٩/٩٩.

(٦) الأنفال: ٢ - ٤.

وبخلاف حال أهل البدع الذين يتصارخون عند سماع القرآن،
ويتكلفون ما ليس فيهم، ويتصنعون الصعق والغشيان عليهم، فنعوذ بالله
من الشيطان.

وماذا يجدي تصنع البكاء بدون تدبر، ولا خشوع في القلوب، ولا لين
في الجلود؟ إنها ليست صنعة ليتخذها المتأكلون بالقرآن المشترون به عرضاً
قليلاً من الدنيا.

وقد رويت أحاديث بأسانيد ضعيفة تدل على أن التباكي مطلوب
منها :

ما رواه ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه
فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا)^(١).

وعن عبد الملك بن عمير^(٢) أن رسول الله ﷺ قال : (إني قارىء
عليكم سورة فضن بكى فله الجنة) فقرأها فلم يبك أحد، ثم أعاد الثانية،
ثم الثالثة، فقال : (ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا)^(٣).

(١) ابن ماجه (٤٢٤/١) وفي إسناده أبو رافع : اسمه إساعيل بن رافع، متروك.
(٢) عبد الملك بن عمير القرشي القبطي أبو عمير، كان مولده لثلاث سنين بقرين من خلافة
عثمان بن عفان، ومات سنة ست وثلاثين ومائة [مشاهير علماء الأمصار/ص ١١٠].
(٣) أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٢٢) والبيهقي في الشعب (١٧/٥، ١٨) والحديث
مرسل، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف، وروي الحديث عند البيهقي من طريق أخرى
ضعيفة أيضاً.

فإن كان هذا مما يُحتج به فإن التباكي المندوب إليه هنا معناه أن يتدبر القارئ آيات القرآن ويستحضر معانيها، ويستحضر عظمة الخالق، مع الحرص على الخشوع والخضوع، والتذلل بين يديه سبحانه فإن ذلك يجلب البكاء، وليس المقصود ما يفعله بعض أهل المحارِب من تصنع البكاء.

وقد كان البكاء الصادق الذي يجلبه التدبر من عادة السلف :

فغن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه ابنتى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فتتصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبوبكر رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن^(١).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بالآية في ورده فتخنفه فيبكي حتى يسقط، ويلزم بيته اليوم واليومين حتى يُعاد، يحسبونه مريضاً^(٢).

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد^(٣) قال : سمعت نشيخ عمر بن الخطاب وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح يقرأ في سورة يوسف : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٤).

(١) أبو نعيم في الحلية (٢٩/١).

(٢) أبو نعيم (٥١/١) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٩/١٣) وأحد في الزهد (ص ١١٩) والبيهقي في الشعب (٢٠/٥).

(٣) عبد الله بن شداد بن الهاد اللبني، من تابعي الكوفة، مات سنة ثلاث وثمانين [مشاهير علماء الأمصار / ص ١٠٤].

(٤) عبد الرزاق في مصنفه (١١٤/٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥/١)، والبيهقي في الشعب (٢٠/٥).

ورواه أبو عبيد عن عبيد بن عمير^(١) أنه لما بلغ قوله تعالى :
﴿وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ بكى حتى انقطع فركع^(٢).

وعن أبي بردة^(٣) قال : كان أبو موسى الأشعري إذا قرأ : ﴿أَفْتَنَّاخُذُونَهُ
وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ بكى^(٤).

وعن عبدالله بن أبي مليكة قال : صحبت ابن عباس من مكة إلى
المدينة ومن المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر
الليل، ويرتل القرآن يقرأ حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب
ويقرأ : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٥).

وعن أبي وائل^(٦) قال : خرجنا مع عبدالله بن مسعود ومعنا الربيع بن
خثيم^(٧) فمررنا على حداد فقام عبدالله ينظر إلى حديده في النار، فنظر
الربيع إليها فتمايل ليسقط، ثم إن عبدالله مضى كما هو حتى أتينا على

(١) عبيد بن عمير بن قتادة أبو عاصم الليثي المكي من كبار التابعين توفي سنة ٩٤. (غاية
النهاية ٤٩٦/١).

(٢) فضائل القرآن (ص ٢٣).

(٣) أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري واسمه عامر، مات سنة أربع ومائة [مشاهير علماء
الأمصار / ص ١٠٤].

(٤) البيهقي في الشعب (٥/٢٢).

(٥) سورة ق : ١٩.

والخبر رواه أبو نعيم في الحلية (١/٣٢٧) وابن أبي شيبة (١٤/٦١) والبيهقي في الشعب
(٥/٢٣).

(٦) هو شقيق بن سلمة الأسدي.

(٧) الربيع بن خثيم الثوري التميمي أبو يزيد، من عباد أهل الكوفة، مات بها سنة ثلاث
وستين. [مشاهير علماء الأمصار/ ص ٩٩].

شاطيء الفرات على أتون^(١) فلما رآه عبدالله والنار يلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾^(٢) قال : فصعق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله ، قال : وربطه عبدالله إلى الظهر فلم يفق ، فربطه إلى المغرب فأفاق ، ورجع عبدالله إلى أهله^(٣) .

وعن يحيى بن أبي كثير^(٤) قال : استمع كعب على رجل قراءته أو دعاءه ، أو بكاءه ، أو نحو هذا ، فمضى وهو يقول : واهاً للنواحين على أنفسهم قبل يوم القيامة^(٥) .

وعن نافع قال : كان ابن عمر يصلي بالليل فيمر بالآية فيها ذكر الجنة فيقف فيسأل الله الجنة ويدعو ، وربما بكى ، ويمر بالآية فيها ذكر النار فيقف ويتعوذ بالله من النار ويدعو ، وربما بكى ، وكان إذا أتى على هذه الآية : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ . . ﴾^(٦) بكى وقال : بلى يارب بلى يارب .

(١) في نسخة ألمانيا من فضائل القرآن لأبي عبيد «أثور» وصححناه من نسخة بالظاهرة رقمها (٧٦١٦) .

(٢) الفرقان : ١٢ ، ١٣ .

(٣) أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٢٣) .

(٤) يحيى بن أبي كثير اليمامي أبو نصر البصري ، سكن اليمامة ، لا يصح له عن صحابي سماع ، فالخبر مرسل (مشاهير علماء الأمصار/ ص ١٩١) .

(٥) أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٢٣) .

(٦) الحديد : ١٦ .

وقرأ يوماً ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فلما أتى على هذه الآية : ﴿يَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بكى حتى خُنَّ (١).

وبكى عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فبكت امرأته ، فقال لها : ما
يبكيك؟ قالت : أبكاني الذي أبكاك . قال : أبكاني أني وارد النار فلا
أدري أناج منها أم لا؟ (٢).

وقرأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الصلاة : ﴿فَمَنْ آلَهُ عَلَيْنَا
وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (٣) فبكت وقالت : اللهم من عليّ وقني عذاب
السموم إنك أنت البر الرحيم (٤).

وعن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن في زمن أبي بكر سمعوا القرآن
فجعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب (٥).

وعن عبدالله بن عروة بن الزبير (٦) قال : قلت لجدتي أسماء : كيف كان

(١) انظر هذا الأثر والذي قبله في (مختصر قيام الليل للمروزي / ٦١).

وخنُّ معناه : انقطع من شدة البكاء .

(٢) أبو عبيد (ص ٢٥) والمروزي في قيام الليل (المختصر / ٦٢).

(٣) الطور : ٢٧ .

(٤) ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢١١) والمروزي في قيام الليل (المختصر / ٦٢).

(٥) أبو عبيد (ص ٢٢) وأبو صالح لعله السمان واسمه ذكوان ويقال له أبو صالح الزيات لأنه
كان يجلب الزيت والسمن من المدينة إلى الكوفة ، مات سنة إحدى ومائة (مشاهير علماء
الأمصار/ ص ٧٥).

(٦) أبو بكر الأسدي ، ثقة ثبت فاضل ، مولده سنة خمس وأربعين ، وبقي إلى أواخر دولة بني
أمية (تقريب ١/ ٤٣٣).

أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم، وتتشعر جلودهم، كما نعتهم الله. قال: قلت: فإن ناساً هاهنا إذا سمع أحدهم القرآن خر مغشياً عليه. قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم^(١).

وإنما أنكرت أسماء رضي الله عنها هذه الحال، لأنها لم تكن حال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

كما روى عن عامر بن عبدالله بن الزبير^(٢) - ابن عم عبدالله بن عروة - أنه قال: جئت أُمِّي فقلت: وجدت قوماً ما رأيت خيراً منهم قط يذكرون الله تعالى فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله. فقالت: لا تقعد معهم. ثم قالت: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن فلا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشى من أبي بكر وعمر؟^(٣).

وعن عبدالله بن عمر أنه مر برجل من أهل العراق ساقط، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط. قال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط. وقال: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ^(٤).

يبدو أن الصعق والغشيان عليهم عند قراءة القرآن أو سماعه كان من

(١) البيهقي في الشعب (٢٤/٥) والبعوي في التفسير (٧٧/٤).

(٢) أبو الحارث المدني، ثقة عابد، مات سنة إحدى وعشرين ومائة (تقريب ٣٨٨/١).

(٣) الدر المنثور للسيوطي (٣٢٦/٥).

(٤) رواه البعوي في تفسيره (٧٧/٤).

أحوال أهل البدع، وأكثرهم يتصنعونه، وقد بدأ يظهر في زمن الصحابة .
 عن قتادة أنه تلا قوله تعالى ﴿... تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) قال: هذا نعت أولياء الله
 تعالى، نعتهم الله فقال: تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم
 إلى ذكر الله تعالى، ولم ينعتهم الله تعالى بذهاب عقولهم، والغشيان
 عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان^(٢).

ولهذا كانوا يقولون: القرآن أكرم من أن يزيل عقول الرجال.

قلت: وإن كان وقع شيء من ذلك لأحد من السلف فهو نادر، ولم
 يكن هو الغالب على حالهم، وإنما يقع لهم بدون تكلف ولا تصنع، وربما
 كان سببه إذا حدث لبعضهم ضعف في قلبه وعدم احتمالها، كما سبق ذكره
 عن الربيع بن خثيم.

عن بهز بن حكيم^(٣) قال: قرأ زرارة بن أوفى^(٤) وهو يؤم في المسجد

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٢/٢) وانظر تفسير ابن كثير (٥٥/٤) والدر المنثور
 (٣٢٦، ٣٢٥/٥).

(٣) بهز بن حكيم بن معاوية أبو عبد الملك القشيري البصري، مات قبل الخمسين ومئة (سير
 أعلام النبلاء ٢٥٣/٦).

(٤) زرارة بن أوفى الحرشي قاضي البصرة وإمامها، أبو حاجب العامري، قال ابن سعد،
 مات فجأة سنة ثلاث وسبعين في خلافة الوليد بن عبد الملك (طبقات ابن سعد ١٥٠/٧).

الأعظم^(١): ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(٢) فخر ميتاً، قال بهز: فكنت فيمن حملة^(٣).

(١) في الحلية وطبقات ابن سعد: في مسجد بني قشير.

(٢) المدثر: ٩، ١٠.

(٣) طبقات ابن سعد (١٥٠/٧) والحلية لأبي نعيم (٢٥٨/٢)، وقيام الليل للمروزي (المختصر ص ٦٢).

إذا قرأت السورة فأنفذها

روى أبو عبيد عن سعيد بن المسيب . أن النبي ﷺ مر بأبي بكر وهو يخافت، ومر بعمر وهو يجهر، ومر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال: لأبي بكر: (مررت بك وأنت تخافت؟) فقال: إني أسمع من أناجي . فقال: (ارفع من صوتك شيئاً)، وقال لعمر: (مررت بك وأنت تجهر؟) فقال: أطرده الشيطان وأوقف الوسنان . فقال: (اخفض شيئاً)، وقال لبلال: (مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة؟) فقال: اخلط الطيب بالطيب . فقال: (اقرأ السورة على وجهها) وفي رواية: (إذا قرأت السورة فأنفذها)^(١).

(١) فضائل القرآن (ص ٣٨) ورواه أيضاً عبدالرزاق في مصنفه (٤٩٥/٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٥/١٠) ورواه بهذا السياق أيضاً محمد بن نصر المروزي في قيام الليل (انظر مختصره/ ص ٦٦).

وهذا الحديث رواه الترمذي (٢/ص ٣٠٩) وأبو داود (٩/٣٧/ رقم الحديث ١٣٢٩) كلاهما من طريق ثابت البناني عن عبدالله بن أبي رباح عن أبي قتادة، ولم يذكر فيه بلالاً، وروى أبو داود عن أبي سلمة عن أبي هريرة وزاد فيه ذكر بلال ولفظه: (وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة وهذه السورة . قال: كلام طيب يجمع الله تعالى بعضه إلى بعض . فقال: النبي ﷺ: (كلكم قد أصاب). رواه بمثله البيهقي في الشعب (٥/٢٤٨) ورواه أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه إلا أنه ذكر عمراً بدلاً من بلال (انظر الفتح الرباني ٣/٢٣٦) وهذا كله يخالف رواية أبي عبيد، فإن في روايته إنكار النبي ﷺ وفي رواية هؤلاء إقراره، قال أبو عبيد مرجحاً رواية الإنكار: وذلك أثبت عندي وهو الأشبه بفعل العلماء (انظر في نقد رواية عمارة كلام الحلبي في المتهاج في شعب الإبان ٢/٢٣٨).

وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أم الناس بالحيرة فقرأ من سور شتى ، ثم التفت إلى الناس حين انصرف قال : شغلني الجهاد عن تعلم القرآن^(١) .

وعن ابن عون^(٢) قال : سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها ويأخذ في غيرها ، ثم يدعها ويأخذ في غيرها . فقال : ليتق أحدكم أن يأثم إثماً كبيراً وهو لا يشعر^(٣) .

وروى أبو عبيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا ابتدأت في سورة فأردت أن تتحول عنها فتحول ، إلا قل هو الله أحد فإذا ابتدأت فيها فلا تتحول حتى تختتمها^(٤) .

قال أبو عبيد : الأمر عندنا على الكراهية في قراءة القراءة هذه الآيات المختلفة كما أنكر رسول الله ﷺ على بلال ، وكما اعتذر خالد من فعله ، وكراهية ابن سيرين له ، وأما حديث عبدالله فإنما وجهه عندي أن يبتدىء الرجل في السورة يريد إتمامها ثم يبدو له في أخرى ، فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لأي القرآن فليس هذا عندنا من فعل أهل العلم ، إنما يفعلها الأحداث ومن لا علم له ، لأن الله جل

(١) أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٣٨) .

(٢) عبدالله بن عون بن أربطبان المزني مولاهم أبو عون الخزار البصري ، من جلة التابعين بالبصرة (تهذيب التهذيب ٥/٣٤٦) .

(٣) أبو عبيد (ص ٣٨) .

(٤) نفس المصدر .

ثناؤه لو شاء لأنزله على ذلك، أو لفعله رسول الله ﷺ^(١).

قال أبو مجاهد : كان هذا الذي رواه أبو عبيد واختاره هو الغالب على حال النبي ﷺ أنه كان يقرأ السورة على وجهها، واتباعاً له ﷺ كان هذا هو حال السلف في الغالب .

لكن ثبت أنه أحياناً كان يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة .

ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منها : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾^(٢) الآية التي في البقرة، وفي الآخرة منها : ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣) وفي رواية : كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ والتي في آل عمران : ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾^(٤).

فدل هذا الحديث على إباحة ذلك، والأفضل أن يقرأ السورة على وجهها، أي على ترتيبها وتأليفها، فإن اتباع تأليف القرآن أولى .

(١) فضائل القرآن (ص ٣٨) .

(٢) البقرة : ١٣٦ .

(٣) آل عمران : ٥٢ .

(٤) آل عمران : ٦٤ .

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في صلاة المسافرين (٢/٥٠٢ / الحديث ٧٢٧) .

ويكره له أن يخالف ترتيب السور أيضاً، فلو قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ﴾ ثم قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ خشيت أن يكون ممن قرأ القرآن
منكوساً.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له : إن فلاناً يقرأ القرآن
منكوساً فقال عبدالله : ذاك منكوس القلب^(١).

قال أبو عبيد : وجهه عندي أن يبدأ من آخر القرآن من المعوذتين ثم
يرتفع إلى البقرة، كنهوما يتعلم الصبيان في الكتاب، لأن السنة خلاف
هذا، وإنما جاءت الرخصة في تعليم الصبي والعجمي في المفصل لصعوبة
السور الطوال عليهما.

وقال : وقد روي عن الحسن وابن سيرين من الكراهية فيما دون
هذا.

قال أبو عبيد : حدثني ابن أبي عدي، عن أشعث، عن الحسن وابن
سيرين أنهما كانا يقرآن القرآن من أوله إلى آخره، ويكرهان الأوراد.
قال : وقال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم.

قال أبو عبيد : وتأويل الأوراد أنهم كانوا أحدثوا أن يجعلوا القرآن
أجزاء، كل جزء منه فيه سور مختلفة من القرآن على غير التأليف، ولكن

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٦٤/١٠) وعبدالرزاق في مصنفه (٣٢٣/٤) والبيهقي
في الشعب (٢٥٤/٥).

جعلوا السورة الطويلة مع أخرى دونها في الطول، ثم يزيدون، وكذلك حتى يختموا الجزء، فهذه الأوراد التي كرهها الحسن وابن سيرين، والنكس أكثر من هذا وأشد^(١).

قال أبو مجاهد : حرص السلف على ترتيب المصحف مبني على أن النبي ﷺ كان حريصاً على ترتيبه، فإذا نزلت عليه الآية دعا كتاب الوحي فقال لهم : (ضعوا هذه الآية في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا)^(٢).

وفي العرضة الأخيرة التي اعتمدوا عليها في كتابة المصاحف قرأ النبي ﷺ القرآن كله على جبريل مرتين مُرتَّبَ الآيات والسور، ولا يتصور إلا ذلك^(٣) فلا يجوز لأحد أن يخالف ذلك الترتيب الذي قرأه عليه، فهو توقيفي في الآيات والسور.

فإذا احتج أحد بحديث حذيفة - وقد سبق ذكره -^(٤) وفيه أن النبي ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، قلنا : إنما كان هذا قبل أن يستقر ترتيب السور في العرضة الأخيرة، أما بعد ما استقر الأمر على هذا

(١) البيهقي في الشعب (٥/٢٥٥).

(٢) رواه أبو داود في أبواب الصلاة من سننه (١/٢٠٩).

(٣) عندما عرض النبي ﷺ القرآن كله على جبريل مرتين، في العام الذي توفي فيه، ومعناه أنه ختمه من أوله إلى آخره مرتين لا يتصور أن يقع ذلك منه ﷺ إلا مرتباً، سواءً في ذلك الآيات والسور، وقد ثبت أنهم في جمعهم للمصاحف كانوا يتحرون هذه العرضة الأخيرة، فإذن هذا الترتيب الموجود الآن في المصاحف هو عينه الترتيب الذي قرأ به النبي ﷺ القرآن على جبريل فلا يجوز مخالفته.

(٤) ص / ١٥٨

التأليف، وأجمع عليه الصحابة فلا يحل لأحد أن يخالفهم فيها أجمعوا عليه .
قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(١) .

(١) النساء : ١١٥ .

القراءة في الصلاة

من سنة النبي ﷺ في القراءة في الصلاة حين يؤم الناس تطويل القراءة أحياناً، وتخفيفها أحياناً، والتوسط بين الحالين أحياناً أخرى، ويظهر من هذا أنه ﷺ كان يراعي أحوال المأمومين^(١).

وقد ورد النص على ذلك : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به)^(٢).

وفي رواية : (والله إني لأسمع بكاء الصبي وأنا في الصلاة فأخفف مخافة أن تُفتنَ أمه)^(٣).

وقال أنس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة^(٤).

وكان الغالب على حاله ﷺ التخفيف، كما قال أنس : إن النبي ﷺ كان يوجز في الصلاة ويتم.

وفي رواية : إن رسول الله ﷺ كان من أخف الناس صلاة في تمام.

(١) انظر شرح النووي على مسلم (١٧٤/٤).

(٢) مسلم في الصلاة (١/٣٤٣/١، الحديث (٤٧٠).

(٣) الترمذي (٢/٢١٤/٢) الحديث (٣٧٦).

(٤) مسلم (١/٣٤٣/١).

وفي أخرى : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من رسول الله ﷺ (١).

وأوصى ﷺ الأئمة بالتخفيف فقال : (إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء) (٢).

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا . فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : (أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة) (٣).

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال : صلى معاذ بن جبل الأنصاري لأصحابه العشاء فطوّل عليهم فانصرف رجل منا فصلي ، فأخبر عنه معاذ فقال : إنه منافق . فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ ، فقال له النبي ﷺ : (أتريد أن تكون فتاناً يامعاذ؟ إذا أمت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى واقراً باسم ربك والليل إذا يغشى) (٤).

(١) هذه الأحاديث في مسلم (٣٤٢/٢) / الأحاديث ٤٦٩ ، ٤٧٠).

(٢) مسلم (٤٦٧/٣٤١/١).

(٣) متفق عليه : البخاري (١٧٢/٢) ، ومسلم (٣٤٠/١) / الحديث (٤٦٦).

(٤) متفق عليه : البخاري (١٧٣/٢) ، ومسلم (٣٣٩/١) / الحديث (٤٦٥).

وفي رواية في الصحيح أيضاً أن معاذاً كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي ﷺ ثم أتى قومه فأمَّهُمْ فافتتح بسورة البقرة فانحرف رجل فسلم، ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له : أنافتت يافلان؟ قال : لا والله، ولأتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه . فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار وإن معاذاً صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال : يا معاذ أفتان أنت اقرأ بكذا وكذا^(١) .

ولكن تأمل كيف جمع أنس رضي الله عنه في وصفه لصلاة رسول الله ﷺ بين التخفيف والتمام، وهذا يدل على ميزان التخفيف المطلوب، وأنه ليس كما يشتهي الكسالى، ولا كصلاة النقارين الذين اتخذوا قراءة قصار المفصل عادة دائمة، ولا يطمثون في ركوع ولا سجود، وقد أنكر النبي ﷺ على مثل هذه الصلاة، وقال لمن نقرأها : (ارجع فصل فإنك لم تصل)^(٢) .

وأنكر زيد بن ثابت رضي الله عنه على مروان بن الحكم لما رآه يداوم على قراءة قصار المفصل، وسيأتي^(٣) .

وكان النبي ﷺ يطوّل في القراءة في الركعة الأولى مالا يطوّل في

(١) قال البغوي : قوله (أفتان أنت) أي تصرف الناس عن الدين وتحملهم على الضلال، ومنه قوله تعالى ﴿وما أنتم عليه بفاتنين﴾ أي بمضلين .

(٢) البخاري في الصلاة (١/١٨٤) .

(٣) ص / ١٩٩ .

الثانية ، كما جاء في حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من فلان - وفي رواية : من إمامكم - .

قال سليمان : كان يطيل الركعتين الأوليين من الظهر، ويخفف الآخرين ويخفف العصر، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل، ويقرأ في العشاء بوسط المفصل، ويقرأ في الصبح بطول المفصل .

وفي رواية : ويقرأ في العشاء بالشمس وضحاها وأشباهها، ويقرأ في الصبح بسورتين طويلتين (٢) .

والإمام الذي يشير إليه أبو هريرة رضي الله عنه هو عمر بن عبدالعزيز رحمه الله نص على ذلك زيد بن أسلم راوي الحديث (٣) .

وهذا يدل على ما قلناه من أنه كان غالب حال النبي ﷺ التخفيف ولذا كان أكثر ما يقرأ من المفصل .

(١) متفق عليه : البخاري (١/١٨٩) ومسلم (١/٣٣٣) رقم الحديث (٤٥١) وجاء في حديث سعد بن أبي وقاص في الصحيحين أيضاً أن عمر بن الخطاب قال له : لقد شكوك في كل شيء حتى الصلاة؟ قال : أما أنا فأمد في الأوليين وأحذف في الآخرين ولا ألوما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ . قال : صدقت ذاك ظني بك .

هذا في الصلوات الرباعية، وإنما يطول في الركعتين لأنه بعد دعاء الاستفتاح يقرأ بالفاتحة وسورتين وفي الركعتين الآخرين يقصرهما لأنه يقرأ فيهما بالفاتحة فقط .

(٢) النسائي (٢/١٦٧) .

(٣) نفس المصدر .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة وإلا قد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة^(١).

وقال الترمذي : روي عن عمر أنه كتب إلى أبي موسى أن اقرأ في الصبح بطوال المفصل . قال الترمذي : وعلى هذا العمل عند أهل العلم وبه قال سفيان الثوري ، وابن المبارك ، والشافعي^(٢).

وروى عبدالرزاق عن سفيان الثوري ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن الحسن وغيره ، قال : كتب عمر إلى أبي موسى أن اقرأ في المغرب بقصار المفصل ، وفي العشاء بوسط المفصل ، وفي الصبح بطوال المفصل^(٣).

قال النووي : وأما اختلاف قدر القراءة في الصلوات فهو عند العلماء على ظاهره ، قالوا : فالسنة أن يقرأ في الصبح والظهر بطوال المفصل ، وتكون الصبح أطول ، وفي العشاء والعصر بأوساط المفصل ، وفي المغرب بقصاره ، قالوا : والحكمة في إطالة الصبح والظهر أنها في وقت غفلة بالنوم آخر الليل وفي القائلة فيطولها ليدركهما المتأخر بغفلة ونحوها ، والعصر ليست كذلك بل تفعل في وقت تعب أهل الأعمال فخففت عن ذلك ، والمغرب ضيقة الوقت فاحتيج إلى زيادة تخفيفها لذلك ولحاجة الناس إلى

(١) أبو داود (انظر معالم السنن ١/٣٨٧).

(٢) الترمذي (١١٠/٢).

(٣) مصنف عبدالرزاق (١٠٤/٢) وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف ، لكن الحديث له شواهد.

عشاء صائمهم وضيئهم ، والعشاء في وقت غلبة النوم والنعاس ولكن وقتها واسع فأشبهت العصر^(١)

هذه سنته ﷺ من حيث الإجمال، أما تفصيل هذا الباب فما يأتي :
صلاة الفجر : كان يصلي الفجر أحياناً بستين آية إلى مائة آية روى ذلك أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه^(٢).

وعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه قال : صلى لنا النبي ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهارون ، أو ذكر عيسى أخذت النبي ﷺ سعدة فركع^(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (٤/١٧٤).
والمفصل هو السُّبع الأخير من القرآن، قال الطيبي : أوله سورة الحجرات، وسمي بذلك لأن سورة قصار كل سورة كفصل من الكلام.
قلت : وهذا الذي ذكره في بداية المفصل هو الراجح، وإلا ففي ذلك عشرة أقوال ذكرها الفيروزبادي في القاموس.
والمفصل على ثلاثة أقسام : طوال، وأوساط، وقصار.
وقد اختلف العلماء في تحديد ذلك : فعند الحنفية طوالة من «الحجرات» إلى «البروج»، وأوساطه من «البروج» إلى «لم يكن»، وقصاره من «لم يكن» إلى آخر القرآن، وعند المالكية طوالة من «الحجرات» إلى «النازعات»، وأوساطه من «عبس» إلى «والليل» وقصاره من «والضحى» إلى آخر القرآن، وعند الشافعية طوالة من «الحجرات» إلى «عم يتساءلون»، وأوساطه من «النازعات» إلى «والضحى»، وقصاره إلى آخر القرآن، وعند الحنابلة طوالة من «ق» إلى «عم يتساءلون» وأوساطه منها إلى «والضحى»، وقصاره منها إلى آخر القرآن (انظر الفتح الرباني (٣/٢١١)).

(٢) متفق عليه : البخاري (١/١٨٧) ومسلم : (١/٣٣٨ / رقم الحديث ٤٦١).

(٣) مسلم (١/٣٣٦ / الحديث ٤٥٥) وذكره البخاري تعليقاً (١/١٨٨).

هذا الحديث يدل على أن من سنته ﷺ القراءة بأوائل السور، وتقسيم
السورة على ركعتين .

وعن شبيب أبي روح^(١) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي
ﷺ صلى صلاة الصبح فقرأ الروم فالتبس عليه، فلما صلى قال : (ما بال
أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور فإنها يلبس علينا القرآن أولئك)^(٢) .

وعن سماك بن حرب^(٣) عن رجل من أهل المدينة أنه صلى خلف
النبي ﷺ فسمعه يقرأ في صلاة الفجر ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ و﴿بِسْمِ
وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^(٤) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر
﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ وكانت صلاته بعد تخفيفاً .

وفي رواية عن زهير بن حرب^(٥) قال : سألت جابر بن سمرة عن صلاة
النبي ﷺ فقال : كان يخفف الصلاة ولا يصلي صلاة هؤلاء . قال : وأنبأني

(١) هو شبيب بن نعيم أبو روح ثقة (التقريب ١/٣٤٦) .
(٢) النسائي (١٥٦/٢) وعبدالرزاق (١١٧/٢) وفي هذا الحديث فقه عجيب : أن الصحبة
لها تأثير على الأكملين وأنهم وهم في أكمل حالاتهم يظهر فيهم أدنى أثر .
(٣) سماك بن حرب أبو المغيرة، من تابعي الكوفة، مات في آخر ولاية هشام بن عبدالملك
(مشاهير علماء الأمصار/ ص ١١٠) .
(٤) رواه أحمد (انظر الفتح الرباني ٣/٢٣١) .
(٥) زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة النسائي، ثقة ثبت (تقريب التهذيب ١/٢٦٤) .

أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ونحوها^(١) .
وعن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال : صليت وصلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ حتى قرأ : ﴿وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ﴾^(٢) قال : فجعلت أرددها ولا أدري^(٣) .
وعن جابر بن سمرة أيضاً : كان رسول الله ﷺ يصلي الصلاة كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم ، كان يقرأ في الفجر «الواقعة» ونحوها من السورة^(٤) .
وذكر البخاري تعليقاً عن أم سلمة قالت : قرأ النبي ﷺ بالطور^(٥) .
وعن عمرو بن حريث رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في الفجر ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٦) .
وفي رواية : كاني أسمع صوت النبي ﷺ يقرأ في صلاة الغداة ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾^(٧) .

(١) مسلم (١/٣٣٦ / الحديث ٤٥٨) وقوله : «وكانت صلاته بعد تخفيفاً» أي ما بعد الفجر من الصلوات يخففها ولا يطولها كصلاة الفجر .

(٢) سورة ق : ١٠ .

(٣) مسلم (١/٣٣٦ / الحديث ٤٥٧) .

(٤) عبدالرزاق في مصنفه (٢/١١٣) والحاكم في مستدرکه (١/٢٤٠) وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٥) صحيح البخاري (١/١٨٧) .

(٦) النسائي (٢/١٥٦) .

(٧) انظر معالم السنن للخطابي (١/٣٨٧) .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أمَّهم بالمعوذتين في صلاة الفجر^(١).

قلت : هذا في السفر كما ورد في الرواية الأخرى^(٢) والحكم في السفر التخفيف حتى في الصبح كما سيأتي، أو يقال : هذا لبيان الجواز.

وعن معاذ بن عبد الله الجهني^(٣) : أن رجلاً من جهينة أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في الصبح : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ في الركعتين كلتيهما، فلا أدري أنسي رسول الله ﷺ أم قرأ ذلك عمداً.

وقد بوب أبو داود لهذا الحديث بقوله : «باب الرجل يعيد سورة واحدة في الركعتين»^(٤).

قوله : «فلا أدري أنسي رسول الله ﷺ أم قرأ ذلك عمداً» هذا القول من معاذ الجهني يستشكل فيه إعادة النبي ﷺ السورة نفسها في الركعة الثانية، ونقول : فعله هنا تشريع لأنه أقرَّ عليه، فهو وإن كان يجوز عليه النسيان كما قال : (إني لأنسى أو أنسى لأسن)^(٥)، لكنه لا يُقرُّ عليه، فإذا أقرَّ عَلِمَ أنه تشريع.

(١) النسائي (١٥٨/٢).

(٢) ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٦/١).

(٣) معاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني المدني، من الثقات (تهذيب التهذيب ١٠/١٩١).

(٤) أبو داود (٢١٥/١) وانظر معالم السنن للخطابي (٣٨٧/١).

(٥) من بلاغات مالك، في الموطأ (١/ حس ١٠٠).

وعليه فهذا الحديث يدل على جواز ذلك ، وتعلم فائدته في البوادي
والمناطق النائية عندما لا يتوافر من يحفظ من سور القرآن ما يكفي .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : صليت خلف أبي بكر الفجر
فاستفتح البقرة فقرأها في ركعتين ، فقام عمر حين فرغ قال : يغفر الله لك
لقد كادت الشمس تطلع قبل أن تسلم . قال : لو طلعت لألفتنا غير
غافلين^(١) .

وعن عبدالله بن عامر بن ربيعة^(٢) قال : ما حفظت سورة يوسف
وسورة الحج إلا من عمر من كثرة ما كان يقرؤهما في صلاة الفجر . فقال :
كان يقرؤهما قراءة بطيئة^(٣) .

وعن عبدالله بن شداد^(٤) قال : سمعت نشيج عمر وإني لفي الصف
خلفه في صلاة الصبح ، وهو يقرأ سورة يوسف حتى انتهى إلى : ﴿ إِنَّمَا
أَشْكُو بَنِي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ . . ﴾^(٥) .

(١) عبدالرزاق في مصنفه (١١٣/٢) .

(٢) العنزي العدوي ، كان من عنزة من اليمن وهم حلفاء بني عدي ، أتاهم النبي ﷺ في
بيتهم وهو غلام ، وأكثر روايته عن الصحابة ، مات سنة (٨٩) بالمدينة (مشاهير علماء
الأمصار/ ص ١٧) .

(٣) عبدالرزاق (١١٣/٢) وهذا الخبر لا يدل على أنه يقرأ بهما معاً ، إذ يحتمل أنه رضي الله
عنه كان يقرأ أحياناً بهذه السورة ، وأحياناً بالأخرى .

(٤) سبقت ترجمته (ص ١٦٦) .

(٥) عبدالرزاق في مصنفه (١١٣/٢) .

وعن أبي بردة^(١) أن عمر رضي الله عنه قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾
الفجر^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عمر قرأ في الفجر بيونس وهود^(٣).
وعن ربيعة بن عبدالله بن الهدير^(٤) قال: كان عمر يقرأ بالحديد
وأشباهها^(٥).

وعن حصين بن سبرة^(٦) أن عمر قرأ في الفجر بيوسف، ثم قرأ في
الثانية بالنجم فسجد، فقام فقرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾^(٧).

وذكر البخاري تعليقاً أن عمر قرأ في الركعة الأولى من الفجر بهائة
وعشرين آية من البقرة، وفي الثانية بسورة من المثاني^(٨).

وقرأ الأحنف^(٩) بالكهف في الأولى وفي الثانية بيوسف أو يونس، وذكر

(١) ترجمته (ص ١٦٧).

(٢) عبدالرزاق في مصنفه (١١٨/٢).

(٣) نفس المصدر.

(٤) التيمي القرشي، من أفاضل قريش وعباد أهل المدينة وكبار التابعين بها، مات سنة ثلاث
وتسعين (مشاهير علماء الأمصار/ ص ٧٠).

(٥) عبدالرزاق (١١٦/٢).

(٦) التاريخ الكبير للبخاري (٢/٣).

(٧) عبدالرزاق (١١٦/٢).

(٨) صحيح البخاري (١٨٨/١).

(٩) الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي السعدي أبو بحر البصري، أدرك زمان النبي ﷺ
ولم يره، مات سنة سبع وستين، وقيل اثنين وسبعين (تهذيب الكمال ٢/٢٨٢).

أنه صلى مع عمر الصبح بهما^(١).

وفي رواية قال: صليت خلف عمر الغداة فقرأ يونس وهو د
ونحوهما^(٢).

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بأربعين آية من الأنفال، وفي الثانية
بسورة من المفصل^(٣).

وفي رواية أنه قرأ ذلك في العشاء^(٤).

فجر يوم الجمعة : وكان ﷺ يقرأ أحياناً في صلاة الصبح يوم الجمعة
﴿الْم تَنْزِيلٌ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ روى ذلك
أبو هريرة^(٥).

قلت : ولا ينبغي للإمام أن يداوم على ذلك، وإن قرأ ﴿الْم تَنْزِيلٌ﴾
السجدة فلا يداوم على السجود، فإن بعض العوام قد يظن أن
الصلاة فجر يوم الجمعة ثلاث ركعات، أو بزيادة سجدة فيها عن باقي
الصلوات.

تخفيف الصلاة في السفر في صلاة الصبح :

ذكرنا حديث عقبه بن عامر الجهني رضي الله عنه : وفيه أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري (١/١٨٨).

(٢) ابن أبي شيبة (١/٣٥٣).

(٣) البخاري تعليقاً (١/١٨٨).

(٤) ابن أبي شيبة (١/٣٥٩).

(٥) النسائي (٢/١٥٩).

صلى الصبح في السفر بالمعوذتين^(١) .

عن عمرو بن ميمون^(٢) قال : صليت مع عمر بندي الحليفة - وهو يريد مكة - صلاة الفجر فقرأ بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣) .

وعنه أيضاً قال : صليت مع عمر في العام الذي قتل فيه بمكة صلاة الصبح فقرأ : ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ و﴿الَّتِينَ وَالزَّيْتُونَ﴾^(٤) .

وعن المعرور بن سويد^(٥) قال : كنت مع عمر بين مكة والمدينة فصل بنا الفجر فقرأ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ و﴿لِثِيَابِ قُرَيْشٍ﴾^(٦) .

وعن أبي وائل قال : صلى بنا ابن مسعود في السفر فقرأ بآخر بني إسرائيل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا . . .﴾ الخ . ثم ركع^(٧) .

قلت : هذا يدل على جواز القراءة في الصلاة بآية من آخر السورة .

(١) راجع / ص ١٨٧ .

(٢) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبدالله ، أدرك الجاهلية ولم يلق النبي ﷺ (تهذيب التهذيب ١٠٩/٨) .

(٣) عبدالرزاق في مصنفه (١١٦/٢) .

(٤) نفس المصدر .

(٥) المعرور بن سويد الأسدي أبو أمية الكوفي ، من ثقات التابعين بالكوفة (تهذيب التهذيب ٢٣٠/١٠) .

(٦) عبد الرزاق (١١٦/٢) .

(٧) ابن أبي شيبة (٣٦٦/١) .

وعن ثابت البناني^(١) قال : كنت مع أنس بن مالك وأقبل عن أرضه يريد البصرة، وبينها وبين البصرة ثلاثة أميال، أو ثلاثة فراسخ، فحضرت صلاة الغداة، فقام ابن له يقال له أبوبكر فصلى بنا فقرأ سورة «تبارك»، فلما سلّم قال له أنس : طَوَّلْتَ عَلَيْنَا^(٢).

وعن عمران بن أبي الجعد^(٣) قال : كنت مع ابن عمر في سفر فصلى بنا الفجر فقرأ : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٤).

وعن إبراهيم^(٥) قال : كانوا يقرأون في صلاة الفجر في السفر : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(٦).

صلاة الظهر والعصر :

قال الترمذي : ورأى بعض أهل العلم أن القراءة في صلاة العصر كنحو القراءة في صلاة المغرب يقرأ بقصار المفصل، وروي عن إبراهيم النخعي أنه قال : تعدل صلاة العصر بصلاة المغرب في القراءة.

وقال إبراهيم : تضاعف صلاة الظهر على صلاة العصر في القراءة أربع مرار^(٧).

(١) ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري (تهذيب التهذيب ٢/٢).

(٢) عبدالرزاق (١١٦/٢).

(٣) هكذا في المصنف، ولم أجده .

(٤) ابن أبي شيبة (٣٦٦/١).

(٥) النخعي .

(٦) عبد الرزاق في مصنفه (١١٦/٢).

(٧) سنن الترمذي (١١٢/٢).

وقد مر في وصف أبي هريرة لصلاة عمر بن عبد العزيز وتشبيهها بصلاة رسول الله ﷺ أنه كان يطول في الركعتين الأوليين من الظهر ويخفف العصر.

وذكرنا حديث أبي قتادة وفيه أنه ﷺ كان يطول في الركعة الأولى من الظهر.

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يُطوّل في الأولى ويقصر في الثانية، ويسمع الآية أحياناً، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، يُطوّل في الأولى، وكان يُطوّل في الركعة الأولى من صلاة الصبح ويقصر في الثانية^(١).

والحكمة من تطويل الركعة الأولى هو إمهال المصلين حتى يدركوا الصلاة. وفي حديث أبي قتادة عند أبي داود^(٢) قال أبو قتادة مفسراً تطويله ﷺ للركعة الأولى: فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى.

وروى عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقوم في الركعة الأولى من صلاة الظهر حتى لا يسمع وقع قدم^(٣).

(١) البخاري (١/١٨٥).

(٢) سنن أبي داود (١/٢١٢).

(٣) نفس المصدر.

ولكن ما مقدار هذا التطويل ؟

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : كانت صلاة الظهر تُقام فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد ورسول الله ﷺ في الركعة الأولى مما يُطوّلها^(١).

لكن ليس هذا باطراد، بل كان الغالب على فعله ﷺ أنه يخفف القراءة في الظهر مراعاة لحال الناس .

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى ، وفي العصر نحو ذلك ، وفي الصبح أطول من ذلك .

وعنه أيضاً : أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر بسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الصبح بأطول من ذلك^(٢).

(١) مسلم (٣٣٧/١) وورد فيه أيضاً عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية، وفي الأخيرين قدر خمس عشرة آية، وفي العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر خمس عشرة آية، وفي الأخيرين قدر نصف ذلك . وهذا يدل على أنه ﷺ كان يساوي بين الركعتين الأولى والثانية، ويؤيده ما ورد في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يركد في الأوليين ويقصر في الأخيرين . وقد جمعوا بين هذا وبين ما ثبت من أنه كان يطول في الركعة الأولى ما لا يطول في الركعة الثانية بأنه ﷺ كان يقرأ مقداراً واحداً من الآيات مع الفاتحة في كل ركعة من الأوليين، إلا أن الأولى تكون أطول مع دعاء الاستفتاح .

أقول : ولعل الأقرب أن نقول : إن هذه النصوص الثابتة تحكي اختلاف أحوال القراءة في صلاة النبي ﷺ ، فهو تارة يفعل هذا، وتارة يفعل ذلك، لكن يبدو أن الغالب على فعله ﷺ هو تطويل الركعة الأولى دون الثانية .

(٢) مسلم (٣٣٧/١) .

وعن جابر بن سمرة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق، والسماء ذات البروج، ونحوهما من السور^(١).

وعنه أيضاً : كان رسول الله ﷺ إذا دحضت الشمس صلى الظهر وقرأ بنحو من ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ والعصر كذلك، والصلوات، إلا الصبح فإنه كان يطيلها^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقرأ لنا بهاتين السورتين في الركعتين، بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(٣).

وكان أحياناً يقرأ ﷺ أكثر من ذلك، كأنه ﷺ كان إذا رأى حال المصلين موتياً زاد في مقدار القراءة، أو أنه فعله لبيان الجواز.

فمن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كنا نصلي خلف النبي ﷺ الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان، والذاريات^(٤).

وعن مورو^(٥) قال : صلينا مع ابن عمر رضي الله عنهما العصر، فقرأ بـ ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٦).

(١) نفس المصدر.

(٢) راجع / ص ١٨٢ .

(٣) ابن ماجه (١/٢٧٢ / الحديث ٨٣٣).

(٤) اسمه عبدالرحمن بن عسيلة بن عسل المرادي، رحل إلى النبي ﷺ فوجده قد مات قبله بخمس ليال أو ست (تهذيب التهذيب ٦/٢٢٩).

(٥) عبدالرزاق (٢/١٠٨).

(٦) نفس المصدر.

وعن ثابت : كان أنس يصلي بنا الظهر والعصر، فربما أسمعنا من قراءته : ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١).

صلاة المغرب :

كان ﷺ أكثر ما يقرأ في المغرب قصار المفصل أو أوساطه، كما سبق ذكره^(٢).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يقرأ في المغرب : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

وعن أبي عبد الله الصنابحي^(٤) أنه صلى وراء أبي بكر الصديق رضي الله عنه المغرب فقرأ في الركعتين الأوليين بأَم القرآن وسورتين من قصار المفصل^(٥).

وعن عمرو بن ميمون قال : صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ﴿الَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ﴾ وفي الركعة الأخيرة : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ و﴿لَيْسَ لَكَ﴾^(٦). يقصد بالركعة الأخيرة

(١) الترمذي (٢/١١١) / الحديث (٣٠٧) والنسائي (٢/١٦٦).

(٢) النسائي (٢/١٦٦، ١٦٧).

(٣) النسائي (٢/١٦٣).

(٤) نفس المصدر.

(٥) مورو بن مشمرج العجلي أبو معتمر البصري، من الثقات (تهذيب التهذيب ١٠/٣٣٢).

(٦) عبد الرزاق في مصنفه (٢/١٠٧).

الثانية، وهذا يدل على جواز الجمع بين سورتين في ركعة، وسيأتي^(١).

وعن هشام بن عروة أن أباه كان يقرأ في صلاة المغرب بنحو ما تقرأون ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ ونحوها من السور^(٢).

وعن أبي عثمان النهدي^(٣) أنه صلى خلف ابن مسعود المغرب فقرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بسورة ﴿الْقَارِعَةُ﴾^(٥).

ولكنه ﷺ كان أحياناً يقرأ في المغرب بطوال المفصل، وهذا قليل فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٦).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب. متفق عليه^(٧).

وفي رواية: سمعته ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية

(١) ص / ٢٠٥ .

(٢) أبو داود (انظر معالم السنن ١/٣٨٧).

(٣) هو عبدالرحمن بن مل (انظر / ص ٨٨) .

(٤) معالم السنن (١/٣٨٧) .

(٥) أبو يعلى (انظر المطالب العالية ١/١٢١) .

(٦) سورة محمد : ١ .

والحديث أخرجه ابن حبان (انظر الإحسان ٥/ص ١٥٤٣) .

(٧) البخاري (١/١٨٦) ومسلم (١/٣٣٨) الحديث (٤٦٣) .

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ كاد قلبي يطير^(١).

وفي رواية عند أحمد^(٢): أن جبير بن مطعم رضي الله عنه أتى النبي ﷺ في فداء المشركين، قال بهز^(٣): في فداء أهل بدر، وقال ابن جعفر^(٤): وما أسلم يومئذ. قال جبير: فانتهيت إليه ﷺ وهو يصلي المغرب وهو يقرأ فيها بالطور، قال: فكأنها صدع قلبي حين سمعت القرآن.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنها قال: إن أم الفضل بنت الحارث^(٥) رضي الله عنها سمعته وهو يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فقالت: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب. متفق عليه^(٦).

وعن عبدالله بن عتبة بن مسعود^(٧) أن رسول الله ﷺ قرأ في المغرب

(١) البخاري في أبواب التفسير (٤٩/٥).

ورواه أيضاً ابن ماجه (٢٧٢/١) الحديث (٨٣٢).

(٢) انظر الفتح الرباني (٢٢٥/٣).

(٣) بهز بن أسد العمي.

(٤) محمد بن جعفر غندر.

(٥) وهي أم عبدالله، زوج العباس بن عبدالمطلب واسمها ليابة، وهي أيضاً أخت ميمونة

أم المؤمنين رضي الله عن الجميع (تقريب ٦١٣/٢).

(٦) البخاري (١٨٥/١) ومسلم (٣٣٨/١) الحديث (٤٦٢).

(٧) ابن أخي عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، كان يؤم الناس بالكوفة.

مات سنة (٧٤). (مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٢).

بـ ﴿حَمَّ﴾ الدخان^(١).

وقرأ النبي ﷺ مرة في صلاة المغرب بسورة الأعراف، قسمها على الركعتين : فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال لمروان بن الحكم : يا أبا عبد الملك أتقرأ في المغرب بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُرَ﴾؟ - وفي رواية : مالك تقرأ في المغرب بقصار المفصل؟ - قال : نعم . قال : فمحلوفة لقد رأيت رسول الله ﷺ يقرأ فيها بأطول الطولين . وفي رواية : قال مروان : يا أبا عبد الله ما أطول الطولين؟ قال : الأعراف^(٢).

وفي رواية : الأعراف والأنعام^(٣).

صلاة العشاء :

عن أبي رافع^(٤) قال : صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، فسجد، فقلت له، قال : سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه^(٥).

(١) النسائي (١٦٩/٢).

(٢) البخاري (١٨٦/١) والنسائي وهذا لفظه (١٦٩/٢).

(٣) أبو داود (انظر معالم السنن ١/٣٨٦).

(٤) عبد الله بن رافع القبطي أبو رافع مولى النبي ﷺ (تقريب ٢/٤٢١) وتهذيب الكمال (٣٧٠/٣٤).

(٥) البخاري (١٨٦/١).

وعن عبدالله بن بريدة^(١) عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء بـ ﴿الْشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ونحوها من السور^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر أن يقرأ بالسماوات في العشاء .

وفي رواية : إن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسما - يعني : ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ و﴿السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾^(٣).

وهذا هو مقدار ما يُقرأ في العشاء فيقاس عليه ، لكنه ﷺ كان يخفف القراءة فيها في السفر فيقرأ بقصار المفصل : فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بـ ﴿الَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ .

وفي رواية : سمعت النبي ﷺ يقرأ ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ في العشاء ما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة^(٤).

وكان ﷺ يصلي العشاء أحياناً بأطول من ذلك حتى في السفر : فعن

(١) عبدالله بن بريدة بن الحصبب الأسلمي ، من مشاهير التابعين بخراسان ، ولي القضاء بمر، ومات بها سنة (١١٥) (مشاهير علماء الأمصار/ ص ١٢٥) .

(٢) الترمذي (١١٤/٢) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (انظر الفتح الرباني ٣/ ٢٢٩) وفي سنده أبو المهزم التيمي البصري واسمه يزيد .

(٤) مسلم (١/ ٣٣٩/ الحديث ٤٦٤) .

أبي مجلز^(١) قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بأصحابه وهو مرتحل من مكة إلى المدينة، فصلى العشاء ركعتين ثم قام فقرأ مائة آية من سورة النساء في ركعة، فأنكروا ذلك عليه، فقال: ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدمه، وأن أصنع مثل ما صنع رسول الله ﷺ^(٢).

وعن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب^(٣): أن عمر قرأ بآل عمران في الركعتين الأوليين من العشاء قطعها فيهما^(٤).

وهذا دليل على ما سبق ذكره من أن تقسيم السورة على ركعتين من السنة، وثبت مثله عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقسم السورة في ركعتين^(٥).

وعن عامر الشعبي، وعطاء، قالوا: لا بأس أن يقسم السورة في ركعتين^(٦).

(١) اسمه لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري (تهذيب الكمال ٣١ / ص ١٧٦).
(٢) أحمد في مسنده (انظر الفتح الرباني ٣ / ٢٣٠).
(٣) يروى عن عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعن أبيه عبدالرحمن، وأبي سعيد الخدري (تهذيب الكمال ٣١ / ٤٣٥).
(٤) ابن أبي شيبة (١ / ٣٦٩).
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

ماذا يصنع الإمام إذا تردد في آية؟ :

إذا تردد الإمام في آية، أو ترك آية، ثم تذكرها، يعود فيقرأ الآية ثم يمضي من حيث وصل في قراءته .

عن أبي عبدالرحمن السلمى قال : أمنا علي رضي الله عنه في الفجر، فقرأ بالأنبياء، فترك آية، ثم قرأ برزخاً^(١)، ثم عاد إلى الآية فقرأ بها، ثم عاد احداثه ورجع إلى ما كان يقرأها^(٢) .

وعن حفصة بنت سيرين^(٣) أن عمر قرأ في الفجر بسورة يوسف، فتردد، فعاد إلى أولها، ثم قرأ فمضى في قراءته^(٤) . .

وعن صفية بنت أبي عبيد^(٥) أن عمر قرأ في الفجر بالكهف ويوسف - أو يوسف وهود - قال : فتردد في يوسف، فلما تردد رجع إلى أول السورة فقرأ، ثم مضى فيها كلها^(٦) . .

(١) البرزخ ما بين الشيتين، ويراد به هنا ما بين الآية التي تركها وبين الآية التي وصل إليها (النهاية ١/٢٢٤).

(٢) عبدالرزاق (١١٢/٢).

(٣) وهي أم الهذيل الأنصارية، ثقة، ماتت بعد المائة (تقريب التهذيب ٢/٥٩٤).

(٤) عبدالرزاق (١١٢/٢).

(٥) الثقفية، زوج ابن عمر رضي الله عنها، ثقة (تقريب التهذيب ٢/٦٠٣).

(٦) عبدالرزاق (١١٢/٢).

القراءة في الجمعة والعيدين والوتر :

كان ﷺ يقرأ في الوتر ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في الركعة الأولى
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ في الثانية، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الثالثة^(١).

وفي رواية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقرأ في
الثالثة مع سورة الإخلاص الموعودتين^(٢).

وفي رواية عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع
سور من المفصل، يقرأ في الركعة الأولى ﴿أَهْلَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ وفي الركعة الثانية ﴿وَالْعَصْرِ﴾
و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وفي الثالثة ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

وكان يقرأ في العيدين والجمعة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ
أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما^(٤).

وفي رواية أنه يقرأ في الجمعة سورة الجمعة، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
الْغَاشِيَةِ﴾^(٥).

(١) الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما (١/٣٢٦/١) الحديث (٤٦٢).

(٢) نفس المصدر.

(٣) أحمد في مسنده (انظر الفتح الرباني ٤/٣٠٤).

(٤) أي إذا اجتمع العيد والجمعة فإنه يقرأ فيهما السورتين المذكورتين.

والحديث رواه أبو داود (١/٢٩٣/١) الحديث (١١٢٢، ١١٢٥).

(٥) أبو داود عن النعمان بن بشير (١/٢٩٣/١) الحديث (١١٢٣) والترمذي (١/٤١٣/١)

الحديث (٥٣٣).

وفي رواية أنه ﷺ يقرأ سورة الجمعة في الركعة الأولى، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ في الركعة الآخرة^(١).

وكان يقرأ في الأضحى والفطر ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ و﴿أَقْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٢).

وفي رواية أنه كان يقرأ فيهما بـ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ و﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾^(٣).

صلاة الكسوف :

وكان ﷺ يقرأ في صلاة الكسوف في الركعة الأولى بسورة البقرة وفي الثانية بآل عمران، أو نحوهما^(٤).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى بهم صلاة الكسوف فقرأ بسورة من الطول^(٥).

وعن رجل يدعى حنشاً^(٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ

(١) أبو داود عن أبي هريرة (٢٩٣/١ / الحديث ١١٢٤) وأحمد عن ابن عباس (انظر الفتح الرباني ١١١/٦).

(٢) أبو داود (٣٠٠/١ / الحديث ١١٥٤) والترمذي (٤١٥/١ / الحديث ٥٣٤).

(٣) رواه البزار وفي سننه أيوب بن سيار ضعيف (مجمع الزوائد ٢/٢٠٤).

(٤) أبو داود عن عائشة رضي الله عنها (٣٠٩/١).

(٥) أحمد (انظر الفتح الرباني ٢١٦/٦) والسبع الطول هي : البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة.

(٦) لعله حنش بن المعتمر الكناني الكوفي، يرسل عن الصحابة، (تقريب ١/٢٠٥).

في الركعة الأولى من صلاة الكسوف بسورة يس^(١).

الجمع بين سورتين فكثر :

يجوز أن يقرأ أحياناً سورتين فأكثر في كل ركعة، خاصة من المفصل،
فقد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ :

فعن عبدالله بن شقيق^(٢) قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : هل كان
رسول الله ﷺ يجمع بين السور في ركعة؟ قالت : المفصل^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في
مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح
بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، فكان
يصنع في كل ركعة، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال : (وما
يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟) قال : إني أحبها. قال ﷺ :
(حبك إياها أدخلك الجنة)^(٤).

(١) أحمد (انظر الفتح الرباني ٢١٦/٦).

(٢) عبدالله بن شقيق العقيلي أبو عبد الرحمن البصري (تهذيب الكمال ٨٩/١٥).

(٣) أحمد (الفتح الرباني ٢١١/٣).

(٤) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب (٢٩٠١ / ١٦٩ / ٥) وذكره البخاري تعليقاً
(١٨٨/١). ورواه الحاكم في مستدرکه (٢٤١/١) وقال : صحيح على شرط مسلم، وأقره
الذهبي، والرجل قيل هو كلثوم بن الهدم من بني مالك بن عوف من الأوس
(الإصابة ٦١٨/٥).

وعن نافع قال : ربما أمتنا ابن عمر رضي الله عنهما بالسورتين والثلاث
في الفريضة^(١)

القراءة بالنظائر :

ومن الباب السابق يتفرع هذا الباب، والنظائر : جمع نظيرة، وهي
المثل والشُّبُه، أراد اشتباه بعضها ببعض في الطول^(٢) وهي عشرون سورة
من المفصل، من السنة الجمع بين كل سورتين منها في الصلاة ففي
الصحيحين : عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال : جاء رجل إلى ابن
مسعود، فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال : هذا كهذا الشعر؟!
لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهما . فذكر عشرين سورة
من المفصل سورتين في كل ركعة^(٣) .

وفي صحيح مسلم : أن الرجل من بني بجيلة اسمه نهيك بن سنان .
وفي أبي داود : أنه قال : إني أقرأ المفصل في ركعة، فقال ابن مسعود :
أهدأ كهذا الشعر ونثراً كثر الدقل؟! لكن النبي ﷺ كان يقرأ النظائر
السورتين في ركعة : الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة،
والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت ونّ في ركعة، وسأل سائل

(١) رواه أحمد، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٢/١١٤).

(٢) النهاية لابن الأثير (٥/٧٨).

(٣) البخاري (١/١٨٩) ومسلم (١/٥٦٣-٥٦٥).

والنازعات في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة.

قال أبو داود : هذا تأليف ابن مسعود رحمه الله^(١).

والقراءة بسورتين من هذه النظائر وغيرها قال بعضهم إنه مقيد بالمفصل، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وعن سعيد بن جبير أنه قال : أما ما كان من المثني فاركع بكل سورة، وأما ما كان من المثاني والمفصل فاقرن إن شئت^(٢).

قلت : ولكن ثبت عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ بالبقرة والنساء وآل عمران في ركعة^(٣)، فلعل هذا في النفل دون الفريضة، أو إذا كان القارئ منفرداً دون أن يكون إماماً، أما إذا أم الناس فعليه أن يرفق بهم كما سبق^(٤).

(١) أبو داود (٢/٥٦ / الحديث ١٣٩٦).

وانظر الفتح الرباني (٣/٢١٢) والتذكار للقرطبي (ص ١١٠).

(٢) ابن أبي شيبة (١/٣٦٧).

والمثني : هي السور التي عدد آياتها مائة فأكثر، والمثاني ما كان عدد آياتها أقل من مائة وأكثر من المفصل.

(٣) راجع (ص ١٥٨).

(٤) راجع (ص ١٨٠).

هل القراءة بالنظائر خاص بالنافلة، أم يشرع حتى في الفريضة؟

قال بعضهم : إن هذا خاص بالنافلة .

والذي يظهر أنه يشرع حتى في الفريضة، فلا بأس بأن يفعله الإمام أحياناً إذا لم يشق على المصلين، وإذا فعله فليكن أكثر ما يقرن بينه من السور من المفصل .

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقرن بين السورتين في ركعة من الصلاة المكتوبة^(١) .

وسئل عطاء عن الرجل يصلي المكتوبة فيقرأ بسورتين في ركعة أو بسورة في ركعتين؟ قال : لا بأس به^(٢) .

(١) ابن أبي شيبة (١/٣٦٧) .

(٢) نفس المصدر .

التكبير عند الختم

من سنن القراء أنهم إذا بلغوا في الختم سورة ﴿وَالضُّحَى﴾ كبروا في خاتمة كل سورة حتى يجتموا القرآن .

هذه سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن جلة التابعين بمكة وغيرها . . .

والذي اشتهر لدى المصنفين برواية حديث التكبير: البزي، وهو أبو الحسن المكي أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بزة البزي^(١) :

أسند حديثه الحاكم في (مستدركه)^(٢)، وأبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، الحلبي في (التذكرة)^(٣)، والحافظ أبو عمرو

(١) مقرأء مكة ومؤذن المسجد الحرام، قال الحافظ ابن الجزري : أستاذ محقق ضابط متقن، ولد البزي سنة سبعين ومائة، وتوفى سنة خمسين ومائتين، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٠/١٢) وفي الميزان (١٤٤/١) وانظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري (١١٩/١).

(٢) المستدرک (٣٠٤/٣) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولكن تعقبه الذهبي بالبزي .

(٣) التذكرة في القراءات الثمان (ص ٦٥٦) وابن غلبون طاهر بن عبد المنعم نزيل مصر، قال ابن الجزري : أستاذ عارف وثقة ضابط وحجة محرم شيخ الداني ومؤلف التذكرة . توفي ابن غلبون بمصر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (غاية النهاية ١/٣٣٩) . قال في التذكرة : «قرأ على أبي الحسين اللغوي وأجازه له، قال ثنا ابن مجاهد، قال ثنا الحسن بن مخلد، قال ثنا ابن أبي بزة . . .» .

عثمان بن سعيد الداني في (جامع البيان) رواه عن البيهقي بأسانيد كثيرة^(١)، ورواه ابن الباذش أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، في (الإقناع) بأسانيد كثيرة^(٢)، ورواه الشهرزوري أبو الكرم المبارك بن

= وأبو الحسين اللغوي هو عبدالله بن الحسين البغدادي نزيل مصر، مسند القراء في زمانه، توفي سنة (٣٨٦هـ)، وأما ابن مجاهد فهو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الحافظ الأستاذ البغدادي شيخ الصنعة ومصنف كتاب (السبعة) ولد ببغداد سنة خمس وأربعين ومائتين وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (معرفة القراء ١/٢٦٩) (غاية النهاية ١/١٣٩).

(١) الحافظ المشهور أبو عمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي، قال ابن الجزري: أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين، صاحب المصنفات المعروفة في القراءات وعلومها: كالتيسير في القراءات السبع وجامع البيان، والمنقح في مرسوم المصاحف، والمحكم في ضبطها، توفي بدانية بالأندلس سنة أربع وأربعين وأربعمائة (معرفة القراء ١/٤٠٦) و(غاية النهاية ١/٥٠٣).

قال في جامع البيان (ق ٣٧١/أ) من نسخة خطية: «حدثنا أبو الفتح فارس بن أحمد ابن موسى المقرئ، قال ثنا عبدالله بن الحسين البغدادي قال ثنا أحمد بن موسى . .

(ح) وثنا أبو الفتح، قال ثنا أبو الحسن عبد الباقي بن الحسن المقرئ، قال ثنا أحمد بن صالح وأحمد بن مسلم، قالوا ثنا الحسن بن مخلد . .

(ح) وثنا أبو الفتح، قال ثنا أبو الحسن، قال ثنا علي بن يعقوب بن إبراهيم، قال ثنا أحمد بن محمد بن مقاتل الهروي، قالوا: ثنا ابن أبي بزة . .

قال الداني: ثنا فارس بن أحمد، قال ثنا أبو الحسن المقرئ، قال ثنا علي بن محمد الحجواوي، قال ثنا محمد بن عبدالعزيز المكي المقرئ الضريبر، قال ثنا موسى بن هارون، قال ثنا أحمد بن أبي بزة . .

قال أبو عمرو: وهذا أتم حديث روي في التكميل وأصح خبر جاء فيه .

(٢) مشهور بابن الباذش. قال ابن الجزري: أستاذ كبير وإمام محقق ثقة ألف كتاب (الإقناع) في السبع من أحسن الكتب ولكنه لا يخلو من أوهام نبهت عليها في كتابي (الأعلام) وألف كتاب الطرق المتداولة في القراءات حرر أسانيد وطرقه ولم يكمله لمفاجأة الموت . =

الحسن بن أحمد في (المصباح)^(١). وشمس الدين ابن الجزري محمد بن

= توفي سنة أربعين وخمسة (غاية ٨٣/١). قال في (الإقناع ص ٨١٩):
حدثنا أبو القاسم خلف بن إبراهيم المقرئ شيخنا رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع، ثنا
أبو معشر الطبري، ثنا الحسين بن علي، ثنا محمد بن جعفر الخزاعي، ثنا أبو علي الحسين بن
محمد بن حبش، ثنا محمد بن عمران بن خزيمة، ومحمد بن صالح الكليلي . .
(ح) وحدثنا أبي رضي الله عنه، ثنا أبو داود، وعلي بن عبد الرحمن، حدثنا إجازة قالاً: ثنا
أبو عمرو، ثنا فارس بن أحمد، ثنا عبد الباقي بن الحسن، ثنا أحمد بن مسلم، ثنا الحسن بن
مخلد . .

(ح) وحدثنا عبد الملك بن علي بن عبد الملك، ثنا مروان بن عبد الملك، ثنا محمد بن إبراهيم
المقرئ، ثنا أبو الحسن بن الهمامي، ثنا أبوطاهر، ثنا الحسن بن مخلد . .
(ح) وحدثنا عبد القادر بن محمد الصدفي، ثنا أبو العباس بن نفيس، ثنا أبو أحمد السامري،
أخبرني أبو عبد الله بن عبد العزيز، ثنا موسى بن هارون .
(ح) وحدثنا عبد الله بن علي، ثنا مروان، ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا ابن الهمامي، ثنا أبو بكر
التقاش، ثنا أبو ريعة . .

(ح) وثنا الحسين بن محمد الغساني الحافظ، ثنا أبو عمر ابن عبد البر، ثنا أبو الوليد بن
الفضي، ثنا يحيى بن مالك بن عائد، ثنا علي بن أبي غسان الدقاق، ثنا أبو بكر محمد بن
محمد بن سليمان، والعباس بن أحمد أبو الخبيب البرقي . .
(ح) وحدثنا أبو القاسم المقرئ، ثنا أبو معشر، ثنا الحسين بن علي، ثنا محمد بن جعفر
الخبزاعي، ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المزني بواسط، ثنا الوليد بن بيان، ويحيى بن
محمد بن صاعد، ومحمد بن أحمد الشطوي، قالوا جميعاً: ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي
بزة . .

(١) أبو الكرم الشهرزوري . قال ابن الجزري : إمام كبير متقن محقق أحد مشايخ هذا العلم
ثقة صالح . توفي ببغداد سنة خمسين وخمسة (غاية النهاية ٤٠/٢)، (معرفة
القراء ١/ص ٥٠٦) .

قال في كتابه (المصباح الزاهر في العشر البواهر) (ص ٢٦٦ من نسخة خطية): أخبرنا
الشيخان : الإمام أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل، وأبو القاسم عبد السيد بن
عتاب الحطاب، قراءة عليهما، قالاً : أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب، =

محمد بن محمد أبو الخير الدمشقي في (النشر)^(١) وخرجه من طريقه النشار
عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري في (البدور الزاهرة)^(٢)،
وغيرهم .

كلهم عن البزي، قال: سمعت عكرمة بن سليمان^(٣) يقول: قرأت

= ثنا أبو الطيب عبدالغفار بن عبدالله المقرئ بواسط، وأبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد،
وأبو الحسين عبدالله بن أحمد بن يعقوب بن البواب ببغداد، وأبو علي إسماعيل بن وهبان
الصباحي بها، قالوا: قالوا: ثنا أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، قال: ثنا
الحسن بن مخلد، ثنا ابن أبي بزة . .

(ح) وأخبرنا الشيخان أبو القاسم عبدالسيد بن عتاب، وأبو البركات ابن الركبان، قالنا ثنا
القاضي أبو العلاء محمد بن علي بن يعقوب، قال ثنا أبو الفرج المعافي بن زكريا، وأبو الفرج
محمد بن أحمد بن إبراهيم الشبوزي قال ثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن
شنيوة، ثنا محمد بن يوسف بن موسى، والحسن بن العباس الرازي، وإبراهيم بن موسى بن
إسحاق، قالوا: ثنا ابن أبي بزة . .

(ح) وأخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن موسى الخياط المقرئ، أن أبا الحسن علي بن أحمد بن
عمر الحماي أخبرهم، قال: ثنا شيخنا أبو طاهر عبدالواحد بن عمر بن أبي هاشم المقرئ،
ثنا الحسن بن الحباب الدقاق، قال ثنا ابن أبي بزة . .

(ح) وأخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن موسى الخياط المقرئ، أن أبا الحسن علي بن أحمد بن
عمر الحماي أخبرهم قال ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الأنصاري، وقرأت عليه
القرآن، قال ثنا أبو ربيعة وقرأت عليه القرآن، قال ثنا ابن أبي بزة . .

قلت: أبو ربيعة هو محمد بن إسحاق الربيعي المكي .

(١) انظر (النشر في القراءات العشر ٢/٤١١-٤١٥) فقد روى ابن الجزري حديث البزي
بأكثر من ستة أسانيد .

(٢) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص ٤٦٨ من نسخة خطية) .

(٣) عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر أبو القاسم المكي، قال الذهبي: شيخ مستور
ما علمت أحداً تكلم فيه، قال ابن الجزري: بقي إلى قبيل المائتين (معرفة القراء ١/١٤٦)
(وإغاية النهاية ١/٥١٥) .

على إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين^(١)، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَى﴾ قال :
كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختتم ، فإني قرأت على عبدالله بن كثير^(٢) فلما
بلغت ﴿وَالضُّحَى﴾ قال لي : كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختتم ، وأخبره
أنه قرأ على مجاهد^(٣) فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ،
وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، وأخبره أبي بن كعب أن
النبي ﷺ أمره بذلك .

وقد ضعف بعضهم هذا الحديث بسبب البزي^(٤)، ولكن تابعه في
رواية التكبير عن ابن كثير قبيل واسمه محمد بن عبدالرحمن أبو عمر

أبو عمر

}

(١) إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين أبو إسحاق المخزومي مولاهم المكي المعروف
بالقسط، مقرئ مكة، قرأ على ابن كثير، وعلى صاحبيه شبل بن عباد، ومعروف بن
مشكان، ومن قرأ عليه الإمام الشافعي محمد بن إدريس، توفي سنة سبعين ومائة (معرفة
القراء ١/١٤١) و(غاية النهاية ١/١٦٥).

(٢) عبدالله بن كثير بن المطلب أبو معبد المكي الداري إمام أهل مكة في القراءة، وأحد
القراء السبعة، ولد بمكة سنة خمس وأربعين ولقي بها عبدالله بن الزبير، وأبا أيوب
الأنصاري، وأنس بن مالك، وأخذ القراءة عرضاً عن عبدالله بن السائب، وروى عن
مجاهد بن جبر، ودراس مولى ابن عباس، قال ابن معين: ثقة، توفي سنة عشرين ومائة
(معرفة القراء الكبار ١/٨٦) و(غاية النهاية ١/٤٤٣).

(٣) مجاهد بن جبر المخزومي المكي، من كبار التابعين بمكة، توفي سنة ثلاث ومائة (معرفة
القراء ١/٦٦) و(غاية النهاية ٢/٤١).

(٤) قال ابن أبي حاتم عن البزي: ضعيف الحديث لا أحدث عنه، وقال العقيلي منكر
الحديث ولكن قال الذهبي في الميزان بعد أن نقل هذه الأقوال في تضعيفه: إمام في القراءة
ثبت فيها (ميزان الاعتدال ١/١٤٤)، (الضعفاء للعقيلي) وانظر معرفة القراء الكبار
للذهبي ١/١٧٣) وقد روى فيه حديث التكبير عن البزي بإسناده.

المخزومي المكي شيخ القراء بالحجاز^(١) وأحد الراويين لقراءة ابن كثير، يروها عنه بالإسناد كالبيزي^(٢) وقد اتفق الرواة عن البيزي بالتكبير واختلفوا

(١) ولد قبل سنة خمس وتسعين ومائة، وقرأ على أبي الحسن القواس، وأخذ القراءة أيضاً عن البيزي، وقرأ عليه خلق كثيرون منهم أبو بكر بن مجاهد، وأبو الحسن بن شنبوذ، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين. (معرفة القراء الكبار ١/٢٣٠) و(غاية النهاية ٢/١٦٥) وانظر شرح أبي شامة على الشاطبية (ص ٥٠٧) عند قول الشاطبي: «وقال به البيزي من آخر الضحي وبعض له من آخر الليل وصلاً».

(٢) قال السخاوي في جمال القراء (٢/٤٤١): «وأما ابن كثير فكان إمام الناس في القراءة بمكة إلى أن مات سنة عشرين ومائة، وهو ينقل قراءته عن مجاهد بن جبر، عن عبد الله بن عباس، عن أبي بن كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله ﷺ» ثم قال: «وقال مجاهد بن جبر: كنا نفخر على الناس بقراءتنا على عبد الله بن السائب. وقال مجاهد: ختمت القرآن على ابن عباس تسع عشرة ختمة» ثم قال السخاوي: «... ولو لم يكن لابن كثير إلا أن الشافعي رحمه الله قرأ بقراءته، قال محمد بن عبد الحكم: أخبرنا الشافعي رحمه الله قال: قرأت على ابن قسطنطين، وأخبرني ابن قسطنطين أنه قرأ على شبيل بن عباد، وأخبرني شبيل أنه قرأ على عبد الله بن كثير، وأخبره عبد الله أنه قرأ على مجاهد، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب، وقرأ أبي عن النبي ﷺ، قال ابن عبد الحكم: وأخبرنا الشافعي رحمه الله: أنه قرأ على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، وقرأ إسماعيل على شبيل، وقرأ شبيل على ابن كثير، وقرأ ابن كثير على مجاهد، وقرأ مجاهد على عبد الله بن السائب، وقرأ عبد الله بن السائب على أبي بن كعب، وقرأ أبي عن النبي ﷺ».

هذا إسناد ابن كثير، ثم إن قراءته نقلت من طريقين عن البيزي: من طريق أبي ربيعة محمد بن إسحاق الربيعي، ومن طريق الحسن بن الحباب عن البيزي، ومن طريقين عن قنبل من طريق أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، ومن طريق ابن شنبوذ محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبي الحسن البغدادي، وقرأ البيزي وقنبل على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عون المكي النبال المعروف بالقواس، وقرأ القواس على أبي الإخريط وهب بن واضح المكي، وزاد البيزي فقرأ أيضاً على أبي القاسم عكرمة بن سليمان بن كثير المكي، وعلى عبد الله بن زياد بن عبد الله بن يسار المكي، وقرأ الثلاثة على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المكي المعروف بالقسط، وقرأ القسط على أبي الوليد معروف بن مشكان المكي، وعلى شبيل بن عباد المكي، وكلاهما قرأ على ابن كثير.

عن قنبل، فروى عنه هذه السنة العراقيون دون المغاربة^(١) ووردت عن غير ابن كثير من القراء : عن أبي عمرو البصري^(٢) من رواية السوسي^(٣)،

(١) روى التكبير عن قنبل العراقيون كما في الجامع في القراءات العشر، والتلخيص في القراءات الثمان كلاهما لأبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد، والمستنير لابن سوار أحمد بن علي البغدادي، والوجيز للأهوازي الحسن بن علي بن إبراهيم، والإرشاد لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي، والكفاية لسبط أبي منصور الخياط عبدالله بن علي البغدادي، والمبهج في القراءات الثمان له أيضاً، والغاية لأبي العلاء الهمداني الحسن بن أحمد، وكما في الهداية للمهدوي أبي العباس أحمد بن عمار فقد ذكر الوجهين، وكذا ذكر الوجهين الشاطبي في حزره فقال: «... وعن قنبل بعض بتكبير تلا» وذكر الوجهين أيضاً عن قنبل الداني في غير تيسره، فقال في المفردات: «قرأت لقنبل بالتكبير وحده من غير طريق ابن مجاهد». انظر النشر (٤١٧/٢) أما المغاربة فجمهورهم على عدم التكبير لقنبل: كما في التيسير للداني، والكافي لأبي عبدالله محمد بن شريح، والعنوان لإسماعيل بن خلف، والتذكرة لابن غلبون، والتبصرة لمكي، وتلخيص العبارات لأبي علي الحسن بن خلف القيرواني. والهادي لأبي عبدالله محمد بن سفيان المالكي القيرواني، والإرشاد لأبي الطيب ابن غلبون.

(٢) أحد القراء السبعة واسمه زبان بن العلاء التميمي المازني البصري، وأحد جلة التابعين بالبصرة، ولد سنة ثمان وستين، وسمع من أنس بن مالك، وقرأ على الحسن بن أبي الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وحيد الأعرج المكي، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، وغيرهم، وهو أكثر القراء السبعة شيوخاً، مات سنة أربع وخمسين ومائة (مشاهير علماء الأمصار/ص ١٥٣)، (معرفة القراء الكبار/١ ص ١٠٠)، (غاية النهاية/١/٢٨٨).

(٣) أبو شعيب السوسي الرقي واسمه صالح بن زياد، أحد الراويين لقراءة أبي عمرو، قال أبو حاتم: صدوق. قال الذهبي: مات في أول سنة إحدى وستين ومائتين وقد قارب تسعين سنة رحمه الله تعالى (معرفة القراء/١/١٩٣). غاية النهاية/١/٣٣٣.

وعن أبي جعفر^(١) من رواية العمري^(٢).

بل ورد التكبير عن سائر القراء، روى ذلك أبو الفضل الرازي^(٣)
وأبو القاسم الهذلي^(٤) وأبو العلاء الهمداني^(٥).

(١) اسمه يزيد بن الققعاق أبو جعفر المخزومي المدني، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور،
عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقال الذهبي: قال غير
واحد: قرأ أيضاً على أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم، ويقال إنه قرأ على زيد بن ثابت،
وصلى وراءه ابن عمر رضي الله عنهم، توفي بالمدينة سنة ثلاثين ومائة (معرفة القراء ٧٢/١)،
(مشاهير علماء الأمصار/ ص ٧٦)، (غاية النهاية ٣٨٢/٢).

(٢) اسمه الزبير بن محمد بن عبدالله بن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب أبو عبدالله
العمري، كان إمام المسجد النبوي قال ابن الجزري: وهو ثقة تلقى الناس روايته عن أبي
جعفر بالقبول مع ما فيها من غرائب التسهيل. توفي بعد السبعين ومائتين (غاية
النهاية ٢٩٣/١).

(٣) عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار أبو الفضل الرازي العجلي، مصنف كتاب
اللوامح، والوقوف وغيرها، ولد بمكة ثم مازال ينتقل في البلدان إحدى وسبعين سنة، حتى
توفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة عن أربع وثمانين سنة (غاية النهاية ٣٦٣/١).

(٤) يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي الشكري، الأستاذ الكبير الرجال والعلم
الشهير الجوال. كذا وصفه ابن الجزري وقال: ولد في حدود التسعين وثلاثمائة تخميناً.
وظاف البلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته ولا لقي
من لقي من الشيوخ. قال في كتابه «الكامل»: «فجملة من لقيت من الشيوخ في هذا العلم
ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة». قال: «وألفت هذا الكتاب
فجعلته جامعاً للطرق المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي كالوجيز والهادي» قلت:
عندي منه نسختان: نسخة مكتبة جامع الأزهر بالقاهرة، ثم النسخة التي نقلها عنها بقلمه
شيخ المقارئ المصرية عامر بن السيد عثمان المدفون بالبقيع بالمدينة النبوية. ترجمة الهذلي في
(معرفة القراء ٤٢٩/١) و(غاية النهاية ٣٩٧/٢).

(٥) هو الحسن بن أحمد بن الحسن الإمام الحافظ الأستاذ أبو العلاء الهمداني العطار، شيخ
همذان وإمام العراقيين، قال ابن الجزري: أحد حفاظ العصر ثقة دين خير كبير القدر. توفي
سنة تسع وستين وخمسمائة (معرفة القراء ٥٤٢/٢). (غاية النهاية ٢٠٤/١).

وبه كان يأخذ ابن حبش^(١) وأبو الحسين الخبازي^(٢).
وورد عن حميد الأعرج^(٣) وابن محيصن^(٤) وابن شنبوذ^(٥).

(١) هو الحسين بن محمد بن حبش أبو علي الدينوري، قال ابن الجزري: حاذق ضابط متقن. وقال الداني: متقدم في علم القراءات مشهور بالإتقان ثقة مأمون. توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة. (معرفة القراء ١/٣٢٢). (غاية النهاية ١/٢٥٠).

(٢) علي بن محمد بن الحسن بن محمد أبو الحسين الخبازي الجرجاني نزيل نيسابور وشيخ القراء بها، قال ابن الجزري: إمام ثقة مؤلف محقق. وقال الحاكم: كان من أقرأ الناس وأحسنهم أداءً وأكثرهم اجتهاداً في التلقين وبلغني أنه تخرج به أكثر من عشرة آلاف رجل. توفي بنيسابور سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (غاية النهاية ١/٥٧٧).

انظر (الكامل) للبهذلي نسخة الشيخ عامر (ص ٣٠٩) والنشر لابن الجزري (٢/٤١٠).

(٣) حميد بن قيس أبو صفوان المكي الأعرج، قال ابن الجزري: ثقة أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر وعرض عليه ثلاث مرات. روى عنه القراءة عرضاً أبو عمرو بن العلاء، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن أبي حية، وسمع منه مالك، والثوري، وحدث عنه معمر، وثقه أبو داود، قال ابن عيينة: لم يكن بمكة أقرأ منه ومن ابن كثير. توفي حميد سنة ثلاثين ومائة (معرفة القراء ١/٩٧)، (غاية النهاية ١/٢٦٥).

(٤) محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ مكة مع ابن كثير. قال ابن الجزري: ثقة. وقال أبو بكر ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه.

قال الهذلي: توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة (معرفة القراء ١/٩٨). (غاية النهاية ٢/١٦٧).

(٥) محمد بن أحمد بن أيوب بن أنصت أبو الحسن ابن شنبوذ البغدادي، قال ابن الجزري: شيخ الإقراء بالعراق أستاذ كبير أحد من جال في البلاد في طاب القراءات مع الثقة والخير والصلاح والعلم. توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (معرفة القراء ١/٣١٦). (غاية النهاية ٢/٥٢)

وثبت موقوفا على ابن عباس، كما رواه الداني بإسناده، عن مجاهد قال: ختمت على ابن عباس بضعاً وعشرين ختمة كلها يأمرني أن أكبر من ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾^(١).

وروى الداني بإسناده عن حنظلة بن أبي سفيان، قال: قرأت على عكرمة بن خالد المخزومي، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَى﴾ قال: هياها. قلت: وما تريد بهيها؟ قال: كبر، فإنني رأيت مشايخنا ممن قرأوا على ابن عباس يأمرهم بالتكبير إذا بلغوا ﴿وَالضُّحَى﴾^(٢).

(١) قال الداني: ثنا فارس بن أحمد، قال ثنا عبدالله بن الحسين، قال ثنا أحمد بن موسى، قال ثنا عبدالله بن سليمان قال: ثنا يعقوب بن سفيان، قال ثنا الحميدي أبو بكر، قال ثنا سفيان، قال ثنا إبراهيم بن أبي حية واسم أبي حية اليسع بن أشعث اليماني، قال ثنا حميد عن مجاهد... فذكره.

قلت: الحميدي هو عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي أبو بكر المكي. وإبراهيم بن أبي حية قال أبو حاتم منكر الحديث. وقال يحيى بن معين: شيخ ثقة. قال الداني: كذا قال: الحميدي، عن سفيان عن إبراهيم. زاد فيه سفيان وهو غلط، ولا أدري ممن هو أمن يعقوب بن سفيان أم ممن دونه، فحدثنا أبو الفتح [هو فارس بن أحمد] قال ثنا عبدالله، قال ثنا علي بن الحسين، قال ثنا شاذان بن سلمة، قال ثنا الحميدي قال ثنا إبراهيم بن أبي حية التميمي قال ثنا حميد الأعرج، عن مجاهد... وهذا هو الصواب لم يذكر فيه سفيان. ١/هـ.

(٢) قال الداني: حدثنا أبو الفتح، قال ثنا عبدالله، قال ثنا ابن الرقي، قال ثنا شاذان، قال ثنا الوليد بن عطاء قال أخبرني الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي، قال ثنا حنظلة بن أبي سفيان، قال: قرأت على عكرمة بن خالد المخزومي...

قلت: ابن الرقي هو أبو الحسن علي بن الحسين، وأما عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي فمن جلة التابعين بمكة. توفي سنة ست عشرة ومائة (مشاهير علماء الأمصار/ ص ٨٢)، (غاية النهاية ١/ ٥١٥).

وروى الداني بإسناده^(١) عن شبل بن عباد^(٢) قال: رأيت عبد الله بن محيصر، وعبد الله بن كثير القاريء إذا بلغا ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ كبرا حتى يحنثا ويقولان: رأينا مجاهداً يفعل ذلك، وذكر مجاهد أن ابن عباس كان يأمر بذلك.

وعن عبد الملك بن جريج^(٣) عن مجاهد: أنه كان يكبر من ﴿الضْحَى﴾ إلى الحمد^(٤).

(١) قال في جامع البيان (ق ٣٧١/ب): حدثنا فارس بن أحمد، قال ثنا عبد الله بن الحسين، قال ثنا أبو الحسن علي بن الحسين يعرف بابن الرقي، قال ثنا شاذان بن سلمة، قال ثنا الوليد بن عطاء، عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: أخبرني شبل بن عباد . .

قلت: شاذان هو النضر بن سلمة المروزي أثنى عليه أبو عروبة، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه إلا للاعتبار (الميزان ٤/٢٥٧).

(٢) شبل بن عباد المكي صاحب ابن كثير ومقرئ أهل مكة، حدث عنه سفيان بن عيينة ووثقه ابن معين وحديثه مخرج في البخاري وأبي داود والنسائي، توفي بعد سنة ثمان وأربعين ومائة (معرفة القراء ١/١٢٩).

(٣) في النسخة الخطية من جامع البيان (ق ٣٧٢/ب): عبد الحميد بن جريج، والذي يروي عن مجاهد هو عبد الملك وفي روايته عنه اختلاف. أما عبد الحميد فلم أعرفه.

(٤) إسناده عند الداني: ثنا أبو الفتح، قال ثنا عبد الله، قال ثنا علي بن الحسين، قال ثنا قنبل بن عبد الرحمن بن قنبل، قال ثنا أحمد بن عون القواس، قال ثنا عبد الملك بن جريج . .

قال: وحدثنا أبو الفتح، قال ثنا عبد الباقي بن الحسن المقرئ، قال ثنا جماعة عن الزيني، وابن الصباح، عن قنبل وعن الحلواني وابن شريح كلهم عن القواس عن عبد الملك بن جريج عن مجاهد: أنه كان يكبر من خاتمة «والضحى» إلى خاتمة «قل أعوذ برب الناس» وإذا ختمها قطع التكبير.

قال ابن جريج : وأرى أن يفعله الرجل إماماً كان أو غير إمام .
وعن سفيان بن عيينة قال : رأيت حميداً الأعرج يقرأ والناس حوله
فإذا بلغ ﴿وَالضُّحَى﴾ كبر إذا ختم كل سورة حتى يجتم^(١) .
قال الحميدي : سألت سفيان بن عيينة قلت : يا أبا محمد رأيت شيئاً
ربما فعله الناس عندنا، يكبر القارئ في شهر رمضان إذا ختم؟ فقال :
رأيت صدقة بن عبدالله بن كثير^(٢) يؤم الناس منذ أكثر من سبعين سنة،
وكان إذا ختم القرآن كبر^(٣) .

وعن الحميدي أيضاً قال : أخبرنا محمد بن عمر بن عيسى أن أباه
أخبره أنه قرأ بالناس في شهر رمضان فأمره ابن جريج أن يكبر من

= وحدثنا أبو الفتح : قال ثنا عبدالله ، قال ثنا ابن مجاهد ، قال حدثني عبدالله بن سليمان ،
قال ثنا يعقوب بن سفيان قال ثنا الحميدي ، قال ثنا غير واحد عن ابن جريج ، عن حميد ،
عن مجاهد : أنه كان يكبر من «والضحى» .

قلت : الزيني هو محمد بن موسى بن سليمان الهاشمي أبوبكر البغدادي ، وابن الصباح هو
محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن الصباح أبو عبدالله المكي ، وأما الحلواني فهو أحمد بن
يزيد بن أزداد الصفار أبو الحسن الحلواني ، وأما ابن شريح فهو محمد بن شريح العلاف
المكي .

(١) قال الداني : حدثنا أبو الفتح ، قال ثنا عبدالله ، قال ثنا أحمد [أي ابن موسى ابن مجاهد]
قال : ثنا عبدالله [هو ابن سليمان] قال ثنا يعقوب [بن سفيان] قال ثنا الحميدي ، قال ثنا
سفيان [بن عيينة] : فذكره .

(٢) له ترجمة موجزة في (غاية النهاية ١/٣٣٦) .

(٣) رواه الداني في جامع البيان (ق ٣٧٢/ب) بإسناده السابق .

﴿وَالضُّحَى﴾ حتى يختم^(١).

وعن الحميدي قال : سمعت عمر بن عيسى صلى بنا في شهر رمضان يكبر من ﴿وَالضُّحَى﴾ وأنكر بعض الناس عليه فقال : أمرني به ابن جريج فسألنا ابن جريج فقال : أنا أمرته^(٢).

وعن قبل ، قال : حدثني ابن المقرئ^(٣) قال : سمعت ابن الشهيد الحجبي كبر خلف المقام في شهر رمضان^(٤).

فهذه السنة - سنة التكبير - مشهورة عند أهل مكة ، يتناقلونها عن شيوخهم ، لا يعتبرون في ذلك البزي ولا غيره ، فهي أثبت عندهم وأشهر من أن تعزى روايتها لفرد .

قال الأهوازي^(٥) : والتكبير عند أهل مكة في آخر القرآن سنة مأثورة

(١) رواه الداني بنفس الإسناد السابق .

(٢) نفس المصدر .

(٣) هو محمد بن عبدالله بن يزيد القرشي العدوي أبو يحيى بن أبي عبدالرحمن المقرئ المكي مولى آل عمر بن الخطاب ، توفي سنة ست وخمسين ومائتين (تهذيب الكمال للمزي ٥٧٠ / ٢٥).

(٤) قال الداني : ثنا فارس بن أحمد ، قال ثنا عبدالله ، قال ثنا أبو الحسن الرقي ، قال أخبرني قنبل .

(٥) الأهوازي هو : الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأستاذ أبو علي ، قال ابن الجزري : شيخ القراء في عصره وأعلى من بقي في الدنيا إسناداً إمام كبير محدث . توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة (معرفه القراء ٤٠٢ / ١) ، (غاية النهاية ٢٢١ / ١).

يستعملونه في قراءتهم في الدروس والصلاة^(١).

وقال مكّي^(٢): وروي أن أهل مكة كانوا يكبرون في آخر كل ختمة من خاتمة ﴿وَالضُّحَى﴾، لكل القراء، لابن كثير وغيره، سنة نقلوها عن شيوخهم^(٣).

وقال أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون^(٤): وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ عن الصحابة والتابعين، وهي سنة بمكة لا يتركونها البتة ولا يعتبرون رواية البزني ولا غيره^(٥).

روى الداني بإسناده عن موسى بن هارون^(٦) قال: قال لي البزني: قال لي أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك ﷺ^(٧).

(١) النشر (٢/٤١٠).

(٢) مكّي بن أبي طالب أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، قال ابن الجزري: إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء والمجودين. توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (معرفة القراء ١/٣٩٤)، (غاية النهاية ٢/٣٠٩).

(٣) هكذا نقل عنه ابن الجزري في النشر (٢/٤١٠) قارن بها في (التبصرة ص ٥٦٥).

(٤) عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون أبو الطيب الحلبي المقرئ، والد أبي الحسن صاحب التذكرة والتلخيص، أما أبو الطيب فمؤلف (الإرشاد) في القراءات، قال ابن الجزري: أستاذ ماهر كبير كامل محرر ضابط ثقة خير صالح دين. توفي بمصر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة (معرفة القراء ١/٧٥٥)، (غاية النهاية ١/٤٧٠).

(٥) نقله عنه ابن الجزري في النشر (٢/٤١١).

(٦) مرسى بن محمد بن هارون أبو محمد المكّي المقرئ (غاية النهاية ٢/٣٢٣).

(٧) قال الداني: حدثنا فارس بن أحمد، قال ثنا أبو الحسين المقرئ، قال ثنا علي بن محمد الحجازي، قال ثنا محمد بن عبدالعزيز المكّي المقرئ الضرير، قال ثنا موسى بن هارون =

وعن أبي محمد الحسن القرشي^(١) قال: صليت بالناس في المسجد الحرام خلف المقام التراويح، فلما كانت ليلة الختمة كبرت من خاتمة ﴿وَالضُّحَى﴾ إلى آخر القرآن في الصلاة، فلما سلمت فإذا بأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي قد صلى ورائي، فلما أبصرني قال: أحسنت وأصبت السنة^(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره^(٣) بعد إirاده هذا الخبر

= أبو الحسين المقرئ هو عبدالله بن الحسين البغدادي، وفي نسخة جامع البيان (أبو الحسن) بينما كنيته عند الذهبي أبو أحمد (معرفة القراء ١/٣٢٧).

(١) الحسن بن محمد بن عبدالله بن أبي يزيد أبو محمد المكي. ترجمته في (غاية النهاية ١/٢٣٢).

(٢) رواه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد: عن أبي محمد مضر بن محمد بن خالد الضبي عن حامد بن يحيى بن هانئ البلخي نزيل طرسوس، عن الحسن بن محمد بن عبدالله بن أبي يزيد أبي محمد القرشي المكي.

ورواه الأهوازي: عن أبي الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذي، عن ابن شنبوذ، عن مضر.

قلت: ابن شنبوذ هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ أبو الحسن البغدادي. ترجم له الخطيب البغدادي وذكر قصة استتابته من القراءة بالقرآت الشاذة، ولم يذكر فيه جرحاً (تاريخ بغداد ١/٢٨٠)، وأما الشنبوذي فهو الذي يعرف بسلام شنبوذ، فهو أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم قال الخطيب: كتب في القرآت وتكلم الناس في رواياته (تاريخ بغداد ١/٢٧١) لكن تابعه هنا عن مضر أحمد بن موسى بن مجاهد وهو ثقة وإمام، أما مضر بن محمد بن خالد الضبي فذكر الخطيب عن الدارقطني توثيقه، ويدل صنيع الحافظ ابن حجر في اللسان على توثيقه (أنظر لسان الميزان ٦/٤٦).

وأما حامد بن يحيى البلخي أبو عبدالله ثقة حافظ (تقريب التهذيب ١/١٤٦). إلا أن الحسن بن محمد المكي نفسه فيه ضعف. لكن روايته هنا عن الشافعي تنجبر برواية البيهقي.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٥٥٢) ويدل كلام الحافظ ابن كثير على احتجاجه بخبر أبي محمد الحسن بن محمد القرشي المكي. ثم هذا الخبر يدل على مشروعية التكبير في الصلاة. كما سبق من كلام ابن جريج.

عقب حديث البزي في التكبير : وهذا يقتضي صحة هذا الحديث .
ثم استفاضت هذه السنة واشتهرت لدى القراء في جميع الأمصار،
وجرى العمل بها عندهم، بل قرئ بها لجميع القراء كما بينا^(١) .
وهذا استغنت هذه السنة في ثبوتها عن الإسناد^(٢) .

قال ابن الجزري : « اعلم أن التكبير صح عند أهل مكة قرائهم
وعلمائهم وأئمتهم ومن روى عنهم صحة استفاضت واشتهرت وذاعت
وانتشرت حتى بلغت حد التواتر، وصحت أيضاً عن أبي عمرو من رواية

(١) انظر / ص ٢١٦ .

(٢) إذا كان الخبر ضعيف الإسناد، وتلقى أهل العلم معناه بالقبول فإنه لا يضره ضعف
إسناده، ويعد عمل العلماء به قرينة قوية على صحته، ألا ترى هنا في سنة التكبير كيف
استدل الحفاظ ابن كثير في تفسيره على صحة هذه السنة بعمل أهل مكة وكلمة الإمام
الشافعي . وهذه القاعدة أمثلة كثيرة .

قال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/١٨٩ من طبعة الشيخ إسماعيل الأنصاري)
وذلك عند كلامه على حديث معاذ في القضاء : « إن أهل العلم قد تلقوه واحتجوا به فوقنا
بذلك على صحته عندهم كما وقفنا على صحة قول رسول الله ﷺ (لا وصية لوارث) وقوله في
البحر (هو الطهور ماؤه) وقوله (إذا اختلف المتبايعان في الثمن والسلعة قائمة تحالفا وترادا
البيع) وقوله (الدية على العاقلة) وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، ولكن
لما تلقفتها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد . . . » .

قال أبو مجاهد : وهنا في مسألة التكبير كذلك، مع أن التكبير ثابت موقفاً على ابن عباس ولو
لم يرد فيه إلا هذا لكفى، فكيف وقد رواه التابعون بمكة عن النبي ﷺ كما تدل عليه كلمة
الإمام الشافعي، وكيف والبزي لم ينفرد بروايته عن ابن كثير، بل تابعه قبله، والقواس،
وإبن كثير لم ينفرد بروايته بل ورد أيضاً عن أبي عمرو بن العلاء، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع،
وإبن محبصن، وغيرهم من التابعين .

السوسي، وعن أبي جعفر من رواية العمري، ووردت أيضاً عن سائر القراء، وبه كان يأخذ ابن حبش وأبو الحسين الخبازي عن الجميع، وحكى ذلك الإمام أبو الفضل الرازي وأبو القاسم الهذلي والحافظ أبو العلاء، وقد صار على هذا العمل عند أهل الأمصار في سائر الأقطار عند ختمهم في المحافل واجتماعهم في المجالس لدى الأمثال، وكثير منهم يقوم به في صلاة رمضان ولا يتركه عند الختم على أي حال كان»^(١).

(١) النشر (٢/٤١٠).

دعاء ختم القرآن والحال المرتحل

من سنن القراء أنهم إذا فرغوا في الختم من قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ﴾ قرأوا الفاتحة، ومن البقرة خمس آيات إلى قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ ويسمون هذا الحال المرتحل، ثم يدعون بدعاء الختم، فإن
هذا من مواطن الإجابة .

ثبتت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ : أنه سئل أي العمل
أحب إلى الله؟ قال : (الحال المرتحل) قال : وما الحال المرتحل؟ قال : (الذي
يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل)^(١) .

(١) رواه الترمذي في السنن (١٩٨/٥) والدارمي (٣٣٧/٢) وغيرهما، عن صالح المري عن
قتادة عن زرارة بن أوفى . . قال الترمذي : «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن
عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي» قلت : يضعفون إسناده من جهة صالح
المري فهو ضعيف كما قال الحافظ في التقریب (٣٥٨/١) لكن تابعه على رواية هذا الحديث
الحصين بن نافع العنبري التميمي أبونصر الوراق (أنظر الجرح والتعديل لابن أبي
حاتم ١٩٧/٣) فرواه عن قتادة : قال الحافظ أبو عمرو الداني في جامع البيان : ثنا أبو بكر
الوراق، قال ثنا أبوطاهر الحلبي المقرئ، قال ثنا عبدة الله بن الحسين بن عبدالرحمن
الأنطاكي، قال ثنا سليمان بن شعيب الكسائي، قال ثنا الحصين بن نافع، قال ثنا صالح
المري، وقتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة . . فذكر الحديث .

وروى الحافظ أبو عمرو الداني^(١) بإسناده : عن عبدالله بن كثير،
عن درباس مولى ابن عباس ، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، عن
أبي بن كعب عن النبي ﷺ :

أنه كان إذا قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ افتتح من ﴿الْحَمْدُ﴾ ثم
قرأ من «البقرة» إلى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ثم دعا بدعاء الختم ، ثم
قام^(٢).

وروى الداني بإسناده عن الأعمش عن إبراهيم^(٣) قال : كانوا
يستحبون إذا ختموا القرآن أن يقرأوا من أوله آيات^(٤).

(١) قال الداني في جامع البيان (ق ٣٧٣/ب) : قرأت علي عبدالعزیز بن محمد ، عن
عبدالواحد بن عمر ، قال ثنا العباس بن أحمد البزي ، قال ثنا عبدالوهاب بن فليح المكي ،
قال ثنا عبدالملك بن عبدالله بن سعوة ، عن خاله وهب بن زمعة بن صالح ، عن عبدالله بن
كثير . فذكره .

وقال : وأخبرني أبو الحسن علي بن محمد الربيعي ، قال ثنا علي بن مسرود ، قال ثنا أحمد بن
أبي سليمان ، قال ثنا سحنون بن سعيد ، قال ثنا عبدالله بن وهب ، قال أخبرني ابن لهيعة ،
عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ سئل : أي الأعمال أفضل ؟ فقال :
(الحال المرتحل) .

قال ابن وهب : وسمعت أبا حيان المدني يقول ذلك عن رسول الله ﷺ يقول : (هذا خاتم
القرآن وفاتحه) .

(٢) راجع النشر لابن الجزري فقد روى هذا الحديث وحديث صالح المري بأسانيد كثيرة ،
وتكلم عليهما بهالا مزيد عليه (٢/٤٤١-٤٥٠) .

(٣) إبراهيم النخعي .

(٤) قال الداني في إسناده : قرأت علي عبدالعزیز بن محمد ، عن عبدالواحد بن عمر ، قال ثنا
أحمد بن صالح الأكماني قال ثنا سليمان بن موسى الحموي ، قال ثنا حمدون بن الحارث ، قال
ثنا أم عمارة ، عن المسيبي بن شريك عن الأعمش .

قال أبو مجاهد : والذي أدركنا العمل عليه في الحرمين ، في صلاة التراويح ، إذا فرغ الإمام من قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ رفع يديه ودعا قبل أن يركع .

قال العباس بن عبدالعظيم^(١) : وكذلك أدركت الناس بالبصرة وبمكة ، ويروى أهل المدينة في هذا شيئاً ، وذكر عن عثمان بن عفان .

قال حنبل^(٢) : سمعت أحمد يقول في ختم القرآن : إذا فرغت من قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فارفع يديك في الدعاء قبل الركوع . قلت : إلى أي شيء تذهب في هذا؟ قال : رأيت أهل مكة يفعلونه وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم بمكة^(٣) .

ولأن وقت ختم القرآن ثبت أنه مكان للدعاء ، فقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم .

ولا فرق في دعاء الختم بين أن يكون في الصلاة أو خارج الصلاة لأن الدعاء من أعمال الصلاة ، وقد مر من حديث حذيفة أن النبي ﷺ قرأ في صلاة الليل بالبقرة والنساء وآل عمران فكان إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ،

(١) العباس بن عبدالعظيم العنبري البصري الحافظ أبو الفضل ، قال أبو حاتم : صدوق ، وقال النسائي : ثقة مأمون توفي سنة ست وأربعين ومائتين (تهذيب الكمال للمزي ٢٢٢/١٤) .

(٢) حنبل ابن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد رحمه الله (ترجمته في طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١٤٣/١) .

(٣) المغني (٢/٦٠٨) .

المصادر

- مالك بن أنس / ت ١٧٩ هـ :
- الموطأ / طبعة الحلبي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني / ت ٢١١ هـ :
- المصنف / بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .
- أبو عبيد القاسم بن سلام / ت ٢٢٤ هـ :
- فضائل القرآن / نسخة خطية من ألمانيا .
- فضائل القرآن / نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق (٧٦١٦) .
- محمد بن سعد / ت ٢٣٠ هـ :
- الطبقات الكبرى / طبعة دار صادر ببيروت .
- ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد / ت ٢٣٥ هـ :
- المصنف / طبعة المكتبة السلفية في بمباي - الهند .
- أحمد بن حنبل / ت ٢٤١ هـ :
- المسند / طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق وتعليق الشيخ أحمد شاکر .
- الزهد / طبعة قديمة بمكة المكرمة مطابع أم القرى بدون تاريخ .
- الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن / ت ٢٥٥ هـ :
- السنن / طبعة عبد الله هاشم اليماني بالمدينة ١٣٨٦ هـ .
- البخاري محمد بن إسماعيل / ت ٢٥٦ هـ :
- الجامع الصحيح / طبعة المكتبة الإسلامية باسطنبول .
- التاريخ الكبير / طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد بدون تاريخ .

- مسلم بن الحجاج النيسابوري / ت ٢٦١هـ :
- الجامع الصحيح / طبعة الحلبي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- ابن ماجه محمد بن يزيد / ت ٢٧٣هـ :
- السنن / طبعة الحلبي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني / ت ٢٧٥هـ :
- السنن / طبعة التجارية بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم / ت ٢٧٦هـ :
- المعارف / طبعة دار المعارف بمصر .
- الفسوي يعقوب بن سفيان / ت ٢٧٧هـ :
- المعرفة والتاريخ / طبعة مكتبة الدار بالمدينة ١٤١٠هـ .
- الترمذي محمد بن عيسى / ت ٢٧٩هـ :
- السنن / طبعة الحلبي بمصر .
- النسائي أحمد بن علي بن شعيب / ت ٣٠٣هـ :
- السنن الصغرى / طبعة محمد عبد اللطيف بمصر .
- فضائل القرآن / طبعة المغرب بتحقيق فاروق حمادة .
- أبو يعلى أحمد بن علي / ت ٣٠٧هـ :
- المسند / طبعة دار المأمون بدمشق ١٤٠٤هـ .
- محمد بن جرير الطبري / ت ٣١٠هـ :
- التفسير / طبعة بولاق .
- الخلال أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون / ت ٣١١هـ :
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر /
- ابن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث / ت ٣١٦هـ :
- المصاحف / طبعة الخانجي بمصر .

- الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي المصري / ت ٣٢١هـ :
معاني الآثار / مطبعة الأنوار المحمدية بمصر.
- العقيلي محمد بن عمرو / ت ٣٢٢هـ :
الضعفاء / طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ.
- ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى / ت ٣٢٤هـ :
السبعة / طبعة دار المعارف بمصر.
- ابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد / ت ٣٢٧هـ :
منابغ الشافعي / بتحقيق الشيخ عبدالغني عبدالخالق.
الجرح والتعديل / طبعة مصورة عن طبعة حيدر أباد.
- أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم / ت ٣٢٨هـ :
إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله / طبعة المجمع العلمي بدمشق.
- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد المرادي المصري / ت ٣٣٨هـ :
القطع والائتناف / طبعة العراق ١٣٩٨هـ.
- محمد بن حبان البستي / ت ٣٥٤هـ :
مشاهير علماء الأمصار / طبع لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٧٩هـ.
الاحسان بتقريب صحيح ابن حبان / طبعة مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ.
- الآجري أبو بكر محمد بن الحسين / ت ٣٦٠هـ :
أخلاق حملة القرآن / طبعة مكتبة الدار بالمدينة بتحقيق الدكتور عبدالعزيز القاري ١٤٠٨هـ.
- محمد بن نصر المروزي / ت ٣٩٤هـ :
قيام الليل (بواسطة مختصره للمقرئزي) طبعة مصورة عن طبعة هندية قديمة
نشر عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ.
- ابن غلبون طاهر بن عبد المنعم / ت ٣٩٩هـ :

- التذكرة في القراءات العشرة / طبعة بتحقيق أيمن سويد ١٤١٢هـ .
- الحلبي الحسين بن الحسن / ت ٤٠٣هـ :
- المنهاج في شعب الإيمان / طبعة دار الفكر ١٣٩٩هـ .
- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب / ت ٤٠٣هـ :
- الانتصار
- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري / ت ٤٠٥هـ :
- المستدرک / طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد .
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله / ت ٤٣٠هـ :
- حلية الأولياء / مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٤هـ .
- أخبار أصبهان / طبعة الدار العلمية بالهند ١٤٠٥هـ .
- مكّي بن أبي طالب القيسي / ت ٤٣٧هـ :
- الإبانة عن معاني القراءات / بتحقيق الدكتور عبدالفتاح شلبي .
- التبصرة في القراءات السبع / طبعة حيدر آباد ١٣٩٩هـ .
- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد / ت ٤٤٤هـ :
- جامع البيان في القراءات المشهورات / نسخة خطية بدارا لكتب المصرية .
- المكتفى في الوقف والابتدا / مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ .
- أبو الفضل الرازي عبد الرحمن بن أحمد / ت ٤٥٤هـ :
- اللوامح (أو شرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف) / نسخة خطية
بالمدرسة الأحمدية بحلب .
- البيهقي أحمد بن الحسين / ت ٤٥٨هـ :
- شعب الإيمان / طبعة الدار السلفية في بمباي – الهند .
- السنن الكبرى / طبعة حيدر آباد ١٣٤٤هـ .

- القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين / ت ٤٥٨ هـ :
طبقات الخنابلة / طبعة السنة المحمدية بمصر.
- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي / ت ٤٦٣ هـ :
الفتية والمتفقه / بتحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري .
- أبو حامد الغزالي محمد بن محمد / ت ٥٠٥ هـ :
إحياء علوم الدين / طبعة لجنة الثقافة الإسلامية بمصر.
- البغوي الحسين بن مسعود الفراء / ت ٥١٦ هـ :
التفسير / طبعة دار المعرفة ببيروت بدون تاريخ .
- شرح السنة / طبعة المكتب الإسلامي بدمشق بدون تاريخ .
- الزنجشيري محمود بن عمر / ت ٥٣٨ هـ :
الكشاف / طبعة المكتبة التجارية بمصر .
- أساس البلاغة / طبعة دار الكتب المصرية .
- ابن الباذش أحمد بن علي بن خلف الأنصاري / ت ٥٤٠ هـ :
الاقناع في القراءات السبع / طبعة جامعة أم القرى بمكة ١٤٠٣ هـ .
- عياض بن موسى / ت ٥٤٤ هـ :
ترتيب المدارك / طبعة المغرب ١٤٠٣ هـ .
- الشهرزوري أبو الكرم المبارك بن الحسن / ت ٥٥٠ هـ :
المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر/ نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- قاضيخان حسن بن منصور الحنفي / ت ٥٩٢ هـ :
الفتاوى / طبعة بولاق .
- ابن الأثير المبارك بن محمد / ت ٦٠٦ هـ :
النهاية في غريب الحديث / طبعة

- برهان الدين محمود بن أحمد البخاري / ت ٦١٦ هـ :
- المحيط البرهاني / من نسخة خطية هندية .
- ابن قدامة موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي / ت ٦٢٠ هـ :
- المغني / طبعة هجر بتحقيق الدكتور عبدالله التركي والدكتور عبدالفتاح
الخلو ١٤٠٦ هـ
- ابن الأثير الجزري علي بن الحسن بن محمد / ت ٦٣٠ هـ :
- أسد الغابة في معرفة الصحابة / طبعة دار الشعب بمصر .
- يعيش بن علي بن يعيش النحوي / ت ٦٤٣ هـ :
- شرح المفصل / طبعة المنيرية .
- السخاوي علم الدين علي بن محمد / ت ٦٤٣ هـ :
- جمال القراء وكمال الإقراء / طبعة مكتبة التراث بمكة .
- المنذري عبد العظيم بن عبد القوي / ت ٦٥٦ هـ :
- مختصر سنن أبي داود / مع معالم السنن طبعة السنة المحمدية بمصر .
- أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل / ت ٦٦٥ هـ :
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / طبعة دار صادر .
- إبراز المعاني (شرح الشاطبية) طبعة الحلبي بمصر ١٣٤٩ هـ .
- القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد / ت ٦٧١ هـ :
- الجامع لأحكام القرآن / طبعة دار الكتب المصرية .
- التذكار في أفضل الأذكار / طبعة الخانجي بمصر ١٣٥٥ هـ .
- النووي يحيى بن شرف / ت ٦٧٦ هـ :
- شرحه على صحيح مسلم / طبعة محمد عبد اللطيف .
- التبيان في آداب حملة القرآن / طبعة دار الفكر بدمشق .
- الكمال بن الهمام محمد بن عبد الواحد / ت ٦٨١ هـ :

- فتح القدير شرح الهداية / طبعة بولاق ١٣١٥هـ .
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم / ت ٧٢٨هـ :
- الفتاوى المصرية / مطبعة كردستان العلمية بمصر ١٣٢٦هـ .
- المزي جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن / ت ٧٤٢هـ :
- تهذيب الكمال / طبعة مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ .
- الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان / ت ٧٤٨هـ :
- معرفة القراء الكبار / طبعة مؤسسة الرسالة .
- سير أعلام النبلاء / طبعة مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ .
- ميزان الاعتدال / طبعة الحلبي بمصر ١٣٨٢هـ .
- ابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر / ت ٧٥١هـ :
- زاد المعاد / طبعة مؤسسة الرسالة .
- إغاثة اللهفان / طبعة الحلبي بمصر .
- الزيلعي عبد الله بن يوسف / ت ٧٦٢هـ :
- نصب الراية بتخريج أحاديث الهداية .
- الفيومي أحمد بن محمد / ت ٧٧٠هـ :
- المصباح المنير / طبعة بولاق .
- السبكي عبد الوهاب بن علي / ت ٧٧١هـ :
- طبقات الشافعية الكبرى / طبعة الحلبي .
- ابن كثير إسماعيل بن عمر / ت ٧٧٤هـ :
- التفسير / طبعة عبد الشكور فدا طبعت بمصر سنة ١٣٨٨هـ .
- فضائل القرآن / في آخر التفسير من الطبعة المذكورة .
- الكرمانى محمد بن يوسف / ت ٧٨٦هـ :
- شرحه علي البخاري / طبعة

- ابن فرحون إبراهيم بن علي / ت ٧٩٩هـ :
الديباج المذهب / طبعة دار التراث بمصر.
- الهيثمي علي بن أبي بكر / ت ٨٠٧هـ :
مجمع الزوائد / طبعة القدسي بمصر ١٣٥٢هـ
- ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي المقرئ / ت ٨٣٣هـ :
غاية النهاية في طبقات القراء / طبعة الخانجي بمصر ١٣٥١هـ .
النشر في القراءات العشر / طبعة التجارية بمصر بتحقيق محمد علي الضباع .
- العيني محمود بن أحمد / ت ٨٥٥هـ :
عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري / طبعة المنيرية .
شرحه على الهداية للمرغيناني / طبعة الهند نشرتها المكتبة الإمدادية بمكة .
- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر / ت ٨٥٦هـ :
فتح الباري بشرح صحيح البخاري / طبعة المكتبة السلفية بمصر .
المطالب العالية / بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .
تلخيص الحبير بتخريج أحاديث الرافعي الكبير / طبعة هاشم اليمني بالمدينة المنورة .
الإصابة في تراجم الصحابة / طبعة دار نهضة مصر .
تهذيب التهذيب / طبعة حيدر آباد الهند .
تقريب التهذيب / طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
لسان الميزان / طبعة حيدر آباد .
- ابن مفلح إبراهيم بن محمد / ت ٨٨٤هـ :
المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد / طبعة مكتبة الرشد بالرياض ١٤١٠هـ .

- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر / ت ٩١١ هـ :
الاتقان في علوم القرآن / طبعة الهيئة العامة المصرية .
الدر المنثور في التفسير بالمأثور / طبعة إيران .
جمع الهوامع .
- القسطلاني أحمد بن محمد / ت ٩٢٣ هـ :
لطائف الإرشادات / طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر .
- العليمي عبد الرحمن بن محمد / ت ٩٢٨ هـ :
المنهج الأحمد في تراجم رجال مذهب الإمام أحمد / طبعة المدني بمصر
١٣٨٣ هـ .
- النشار عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري / ت ٩٣٨ هـ :
البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة / نسخة خطية بمكتبة الحرم
المكي رقمها ٣٩١ قراءات .
- الحاجي خليفة مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي / ت ١٠٦٧ هـ :
كشف الظنون .
- الملا علي بن محمد سلطان القاريء / ت ١١١٤ هـ :
المنح الفكرية بشرح الجزرية / طبعة الحلبي بمصر .
- البنا أحمد بن محمد / ت ١١١٧ هـ :
إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر / طبعة مكتبة الكليات الأزهرية
بمصر .
- الصفاقسي علي النوري بن محمد / ت ١١١٨ هـ :
غيث النفع في القراءات السبع ، على هامش سراج القاريء طبعة التجارية
بمصر ١٣٥٢ هـ .
- اللكنوي محمد بن عبد الحي / ت ١٣٠٤ هـ :

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية / طبعة مصورة بدار المعرفة ببيروت .
التهانوي أشرف علي / ت ١٣٦٤هـ :
إعلاء السنن / طبعة دار القرآن بكراتشي .
البنّا أحمد بن عبد الرحمن / ت بعد ١٣٧١هـ :
الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد / طبعة مصرية بدون تاريخ .
القارىء عبد العزيز بن عبد الفتاح
حديث الأحرف السبعة / طبعة دار النشر الدولي بالرياض .

الفهرس

٥	مقدمة المؤلف
٩	(تمهيد) عن أسماء القرآن الكريم
	الباب الأول :
٢١	(منهج النبي ﷺ في تعلم قراءة القرآن وتعليمها) :
٢٣	العرض والسماع
٢٧	منتهى سلسلة السماع في القراءة
٢٩	تلقي ما في القرآن من علم وعمل
٣٢	تعلم قراءات القرآن المختلفة
٣٦	جمع القراءات
٤٥	تلقي القرآن من القراء الضابطين
٥٠	تعليم الصغار القرآن
٥٣	المرأة تحفظ القرآن
٥٧	أخذ الأجرة على تعليم القرآن
	الباب الثاني :
٦١	(صفة قراءة النبي ﷺ وقراءة أصحابه) :
٦٣	كانوا يعربون القرآن ويتجنبون اللحن
٦٧	ترتيل القراءة
٧٦	سنة التغني بالقرآن
٩٣	القراءة بالألحان

١١٠	حكم تجويد القرآن
١٢٠	حكم اللحن في القراءة
١٣٠	العناية بالوقف والتمام
١٣٩	الفتح والإمالة
١٤٢	تمزيب القرآن
١٥١	قيام الليل بالقرآن
١٥٨	التدبر أثناء القراءة
١٦٣	البكاء عند قراءة القرآن
١٧٣	إذا قرأت السورة فأنفذها
١٧٩	القراءة في الصلاة :
١٨٤	في صلاة الفجر
١٩٠	فجريوم الجمعة
١٩٠	تخفيف الصلاة في السفر في صلاة الصبح
١٩٢	في صلاة الظهر والعصر
١٩٦	في صلاة المغرب
١٩٩	في صلاة العشاء
٢٠٢	ماذا يصنع الإمام إذا تردد في آية؟
٢٠٣	القراءة في الجمعة والعيدين والوتر
٢٠٤	صلاة الكسوف
٢٠٥	الجمع بين سورتين فأكثر
٢٠٦	القراءة بالنظائر
٢٠٩	التكبير عند الختم
٢٢٦	دعاء ختم القرآن والحال المرتحل

كِتَابُ يُكْتَبُ بِمَاءِ الزَّهَبِ

غفر الله ذنبا مؤلفه وقارنه آمين

عبد الرحمن

٧/٢٨
١٤٣١٤

